الفقه

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

من فقه الزهراء

عليها السلام

المجلد الأول

حديث الكساء

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

(أعلى الله درجاته)

الطبعة الأولى / للناشر

١٤٢٨ هـ ٢٠٠٨م

تهميش وتعليق:

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الفقه

من فقه الزهراء عليها السلام

المجلد الأول

حديث الكساء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

السلام عليك أيتها الرضية المرضية

السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية

السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية

السلام عليك أيتها التقية النقية

السلام عليك أيتها المحدثة العليمة

السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة

السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة

السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله

ورحمة الله وبركاته

البلد الأمين: ص٢٧٨. مصباح المتهجد: ص٧١١
بحار الأنوار: ج٩٧ ص١٩٥ ب١٢ ح٥ ط بيروت

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، سيما المحدّثة العليمة، التقيّة النقيّة، الرضيّة المرضيّة، الصدّيقة الكبرى، فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها)، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

إن سيدة النساء فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) مجهولةٌ قدراً، ومهضومةٌ حقاً، ولعلّ من مصاديق مجهولية قدرها: عدمَ الاستفادة من كلماتها وخطبها في (الفقه) وعدمَ إدراجها ضمن الأدلة أو المؤيدات التي يُعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية، ولذلك فقد استعنتُ بالباري جل وعلا في الكتابة حول ذلك[1] رجاءَ المثوبة، وأداءً لبعض الواجب، والله الموفِّق.

---

(١) لقد قام الإمام المؤلف دام عزه باستخدام أسلوب (فقه الحديث) في تحليل كلماتها عليها السلام حيث تناول كل كلمة بالبحث والدراسة وربما في العديد من جوانبها،وقد ورد في الحديث الشريف:

والروايات المذكورة في هذا الكتاب بعضها صحيح من حيث السند، وبعضها حسن أو موثق، وبعضها الآخر وإن لم يطلق عليها ذلك اصطلاحاً ـ حسب ما جرى عليه علماء الدراية والرجال ـ إلاّ أن الغالب منها قد ورد في باب المستحبات والآداب، مما يشمله حديث: «من بلغه ... »[٢] وغيره.

بالإضافة إلى الشواهد الكثيرة المؤيدة لها في الآيات والروايات الأُخر، وهي قرينة خارجية، إضافة على قوة المضمون في بعضها ـ وهي قرينة داخلية ـ مما يجعل للأحكام المذكورة قوة، بحيث تصلح للاستدلال بها أو لاعتبارها مؤيداً على الأقل.

كما أن بعضها يؤيد بنحو الملاكات[٣]..

وقد ذكرنا في بعض المباحث[٤] أن الحجية قد تكون من جهة تمامية السند بمقتضى بناء العقلاء والآيات والروايات، ومنها: قوله عليه السلام: «لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا»[٥] الحديث.

وقد تكون من جهة قوة المتن، مما تكون دليلاً على الورود عنهم عليهم السلام وإن لم يكن قوي السند، لبناء العقلاء أيضاً، ولشمول ملاك (ثقاتنا) له[٦].

وقد تكون من جهة قوة المؤلف، فيما كان بناء العقلاء الاعتماد على إسناده

«أنتم أفقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا» ـ الاختصاص: ص٢٨٨ حديث في زيارة ◄ ► المؤمن لله ـ. ومن الواضح أن للكلمات دلالات جلية وأخرى خفية، كما أن لها ظهراً وبطناً، ويظهر ذلك بجلاء أكبر في آيات الذكر الحكيم وفي القواعد الفقهية.

(٢) راجع وسائل الشيعة: ج١ ص٨٠ ب١٨ ح١٨٢.

(٣) ربما يكون المراد تنقيح المناط، أو كون الحكم المذكور صغرى لكبرى كلية، ويكون المراد من الشواهد: المعاضد الموافق.

(٤) راجع (الأصول) و(الوصول إلى كفاية الأصول) للإمام المؤلف قدس سره.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٤٩-١٥٠ ٢٧ ب١١ ح٣٣٤٥٥.

(٦) الملاك: (الوثاقة) كما تطرق له الإمام المؤلف قدس سره في (الأصول).

أو أفاد الاطمينان وذلك كالشريف الرضي رحمه الله[٧]، ونحن نرى حجية (نهج البلاغة) وإن لم يتسلسل إسناد العديد من الخطب والكلمات الواردة فيها ـ لمجموعة من القرائن الخارجية والداخلية ـ.

وقد تكون من جهة القرائن الخارجية[٨]، كما ذكر ذلك العديد من علماء الأصول.

وقد تكون من جهة الشهرة المضمونية، لشمول قوله عليه السلام: «خذ بما اشتهر بين أصحابك[٩]... فإن المجمع عليه لا ريب فيه»[١٠].

وربما يُقال بالحجية، أو يتعامل مع الحديث التعامل مع الحجة من حيث ترتيب الآثار أو بعضها ـ على تفصيل مذكور في الفقه والأصول ـ من جهة التسامح في أدلة السنن.

---

(٧) الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ولد في بغداد عام ٣٥٩هـ من أسرة شريفة وأصيلة، يصل نسبه إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام. يعود نسبه من أبيه إلى الإمام الكاظم عليه السلام، ومن أمه إلى الإمام السجاد عليه السلام. وهو عالم مفكر ذو ذكاء خارق وفهم عالٍ، أسس مدرسة علمية في بغداد قام فيها بتربية وتدريس طلاب العلوم الدينية وفيها مكتبة كبيرة. لقبه بهاء الدولة سنة ٣٨٨هـ بـ «الشريف الجليل»، ولقب سنة ٣٩٨هـ بـ «ذي المنقبتين»، وفي تلك السنة لقبه بهاء الدولة
بـ «الرضي ذي الحسبين»، ولقبه أيضاً قوام الدين بـ «الشريف الأجل».
له مؤلفات قيمة وعلى رأسها جمعه كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب أسماه (نهج البلاغة).
توفي عام ٤٠٦هـ في السابعة والأربعين من عمره، بعد عمر قضاه في خدمة الإسلام والتشيع، ودفن في الكاظمية بجوار قبر الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام.

(٨) بعض ما سبق وسيأتي من مصاديق ذلك كما لا يخفى، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام أو قبله.

(٩) حيث يستفاد الشمول للشهرة الفتوائية أيضاً.

(١٠) راجع وسائل الشيعة: ج١٠٦- ١٠٧ ٢٧ ب٩ ح٣٣٣٣٤.

وقد كتبنا حول هذه القاعدة رسالة مستقلة[11] أدرجناها في شرح الرسائل للشيخ الأعظم الأنصاري قدس سره[12].

أما سند حديث الكساء: فقد رواه والدي رحمه الله[13] في رسالة مخطوطة لـه

---

(١١) راجع الوصائل إلى الرسائل: ج ٦.

(١٢) الشيخ مرتضى بن الشيخ محمد أمين بن الشيخ مرتضى المعروف بالأنصاري، والأنصاري نسبة إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) لانتهاء نسبه إليه.
ولد رحمه الله يوم عيد الغدير سنة ١٢١٤ هـ في مدينة دزفول الواقعة في الجنوب الغربي من إيران. كان أبوه من العلماء العاملين ومن وجهاء مدينة دزفول، وأما أمه فهي بنت الشيخ يعقوب بن الشيخ أحمد الأنصاري، وكانت من النساء الصالحات العابدات في زمانها بحيث لم تترك نوافل الليل إلى آخر عمرها.
قرأ الشيخ الأنصاري دروسه الأولى في مدينة دزفول على الشيخ حسين الدزفولي، وفي كاشان حضر درس الملا أحمد النراقي، وتتلمذ على السيد محمد المجاهد وشريف العلماء في كربلاء المقدسة، وفي النجف الأشرف حضر درس المحقق الفقيه موسى كاشف الغطاء، والشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ودرس الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والشيخ علي كاشف الغطاء وهو آخر أستاذ درس عنده.
يعتبر أكثر المجتهدين والعلماء المحققين في الفترة ما بين أواسط القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر هم من تلامذته، فقد بلغ عدد تلاميذه البارزين المئات منهم: السيد أحمد التفريشي، المتوفى في حدود سنة ١٣٠٩ هـ، والشيخ جعفر الشوشتري، المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ، والسيد جعفر القزويني، المتوفى سنة ١٣١٦ هـ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ، والسيد جمال الدين أسد آبادي، المتوفى سنة ١٣١٤ هـ، وعلى رأسهم الميرزا محمد حسن المجدد الشيرازي صاحب ثورة التبغ، والميرزا حبيب الله الرشتي، وغيرهم.
ألف رحمه الله كتباً كثيرة مشتهرة عليها مدار التدريس في الحوزات العلمية، وذلك لما تحويه ◄ ►مؤلفاته من دقة وإمعان نظر وتحقيقات جديدة، منها: رسالة في إجازة الشيخ الأنصاري، والاجتهاد والتقليد، وإثبات التسامح في أدلة السنن، والإرث، وأصول الفقه، والرسائل، والمكاسب، وغيرها، وقد بلغت الأربعين، كما استنسخ القرآن الكريم بخطه المبارك.
توفي رحمه الله في النجف الأشرف بداره في محلة الحويش، بعد مضي ست ساعات من ليلة السبت الثامن عشر من جمادى الثانية سنة ١٢٨١ هـ وعمره ٦٧ سنة، ودفن في صحن أمير المؤمنين عليه السلام في الحجرة المتصلة بباب القبلة وقبره معروف لحد الآن وعليه شباك.

(١٣) هو آية الله العظمى السيد الميرزا مهدي بن الميرزا حبيب الله بن السيد آقا

بسند صحيح متصل الإسناد، وكل واحد منهم من الأعلام[١٤]..

وكذلك سند خطبتها (عليها الصلاة والسلام)، فقد رُويت بما لا يدع للشك مجالاً، كما لا يخفى على من راجع ذلك في مظانِّه.

بزرك بن السيد ميرزا محمود بن السيد إسماعيل الحسيني الشيرازي، من مشاهير الفقهاء المجتهدين ومراجع التقليد في زمانه. ولد في كربلاء المقدسة سنة ١٣٠٤هـ، ودرس على أساتذتها مقدمات العلوم، ثم سافر إلى سامراء فاشتغل فيها بالبحث والتحقيق والتدريس لفترة طويلة، ثم توجه إلى مدينة الكاظمية المقدسة وبقى فيها ما يقرب من سنتين، عاد بعدها إلى كربلاء المقدسة، وبقي فيها فترة من الزمن مواصلاً الدرس والبحث إلى أن انتقل إلى النجف الأشرف، وأقام بها ما يقرب من عشرين عاماً.

درس الخارج على أيدي كبار العلماء والمراجع في عصره أمثال: السيد الميرزا علي آغا نجل المجدد الشيرازي، والميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي صاحب ثورة العشرين، والعلامة الآغا رضا الهمداني صاحب (مصباح الفقيه)، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب (العروة الوثقى) وغيرهم.

وكان رحمه الله يحضر في كربلاء المقدسة بحثاً علمياً عميقاً يسمى ببحث الـ (كمباني) تحت رعاية المرحوم السيد الحاج آغا حسين القمي، وكان البحث يضم جمعاً من أكابر ومشاهير المجتهدين في كربلاء المقدسة.

بعد وفاة السيد القمي سنة ١٣٦٦هـ استقل بالبحث والتدريس، واضطلع بمسؤولية المرجعية الدينية، ورجع الناس إليه في أمر التقليد. في عهد حكومة عبد الكريم قاسم في العراق، وفي أثناء فترة تنامي المد الشيوعي، بادر إلى استنهاض همم مراجع الدين الكبار في النجف الأشرف◄ ◄لاتخاذ موقف جماعي قوي إزاء الخطر الإلحادي على العراق، فالتقى بالمرجع الكبير السيد محسن الحكيم قدس سره وأصدر الأخير فتواه الشهيرة بتكفير الشيوعية.

توفي رحمه الله في الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٨٠هـ، وشيع جثمانه في موكب مهيب قلما شهدت كربلاء مثله، ودفن في مقبرة العالم المجاهد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي في صحن الروضة الحسينية الشريفة، وأقيمت على روحه الطاهرة مجالس الفاتحة والتأبين بمشاركة مختلف الفئات والطبقات واستمرت لعدة أشهر.

من مؤلفاته المطبوعة: ذخيرة العباد، الوجيزة، ذخيرة الصلحاء، تعليقة العروة الوثقى، تعليقة الوسيلة، بداية الأحكام، مناسك الحج، أعمال مكة والمدينة، ديوان شعر، وقد طبع بعض أشعاره متفرقة.

(١٤) ولهذا الحديث أسناد كثيرة، وسيأتي بعد المقدمة ـ أول الفصل الأول ـ الإشارة إلى بعض المصادر في الهامش.

وسيأتي إن شاء الله تعالى.

بالإضافة على انطباق مضمونها مع الآيات والروايات ووجود القرائن الداخلية والخارجية.

لمحة عن عظمة الزهراء عليها السلام

ومن نافلة القول في المقام الإشارة إلى أننا لم نقم في هذا الكتاب إلاّ بالإلماع إلى هذا البُعد الفقهي مع شيء موجز من الشرح والتوضيح، وإلاّ فهي (صلوات الله عليها) أعلى وأجلّ من أن أتمكن أنا الفقير العاجز عن ذكر بعض ما يليق بمن دارت على معرفتها القرون الأولى[١٥]، ومن هي قطب دائرة الإمكان، كما دل على ذلك قوله تعالى في حديث الكساء:

«فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها».

فإن مكانتها وعظمتها (صلوات الله عليها) لا يمكن أن يستوعبها أي واحد من المخلوقات إلاّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوصي عليه السلام ..

فإن الضيق لا يمكن أن يحيط بالواسع..

وأنى للذرة أن تحيط بالمجرة؟!

وأنى للمغرفة أن تستوعب المحيط؟!..

كما قالوا بالنسبة إلى استحالة إدراكنا لله سبحانه؛ لأن اللامتناهي يستحيل أن يحيط به المتناهي المحدود أو يدرك كنهه.

ولاشك أنهم عليهم السلام ليسوا كالله سبحانه في اللاتناهي واللامحدودية إلاّ أنه

---

(١٥) إشارة إلى الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «هي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى» ـ الأمالي للطوسي: ص٦٦٨ مجلس٣٦ ح١٣٩٩ ـ.

لاشك أنهم عليهم السلام أوسع من الناس الضيقين، بما قد يُلغي النسبة بين الطرفين ويجعلها أبعد من نسبة القطرة إلى المحيطات..

وقد «سميت فاطمة؛ لأن الخلق فُطموا عن معرفتها» كما في الحديث الشريف[١٦]..

فإنها (عليها الصلاة والسلام) أفضل من الأنبياء كافة [١٧] باستثناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما دلت على ذلك أدلة متعددة، وسيأتي ذلك.

وهي (عليها الصلاة والسلام) حُجّة على كل أولادها الأئمة الطاهرين عليهم السلام وهم عليهم السلام أفضل من الأنبياء والملائكة عليهم السلام كافة، ولذا قال الإمام العسكري عليه السلام: «وهي حجة علينا»[١٨]..

وقال الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف): «وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي أسوةٌ حسنة»[١٩]..

وقد قال الإمام الحسين عليه السلام: «أُمي خيرٌ مني»[٢٠]..

ولها عليها السلام الولاية التكوينية بتفويض الله سبحانه لها، كتفويضه الولاية لهم عليهم السلام.

أما كونها عليها السلام كسائرهم عليهم السلام في حجية قولها وفعلها وتقريرها، فمما قام عليه الإجماع، بالإضافة إلى الأدلة الثلاثة الأُخر..

وسنذكر شيئاً من الأدلة على ما لهم عليهم السلام من الولاية التكوينية والتشريعية، كما نشير إلى بعض مصاديقها حسب ما ذكرناه في كتاب البيع من

---

(١٦) تفسير فرات الكوفي: ص٥٨١ ومن سورة القدر ح٧٤٧.
(١٧) سيأتي بعد قليل الحديث عن أفضليتها عليها السلام.
(١٨) تفسير أطيب البيان: ج١٣ ص٢٢٥.
(١٩) بحار الانوار: ج٥٣ ص١٨٠ ب٣١ ح٩.
(٢٠) الإرشاد، للشيخ المفيد: ج٢ ص٩٤ باب ذكر الإمام بعد الحسن بن علي عليه السلام.

(الفقه)[٢١].

الولاية التكوينية والتشريعية و...

إن الصديقة الطاهرة عليها السلام كسائر المعصومين عليهم السلام لها الولاية التكوينية والتشريعية، وهي (صلوات الله عليها) وكذلك سائر أهل البيت عليهم السلام قد جعلهم الله الوسائط في خلق العالم، والعلة الغائية لـه[٢٢].

كما أنها عليها السلام وأنهم عليهم السلام سبب لطف الله تعالى وإفاضته على العالم، واستمرار قيام العالم بها عليها السلام وبهم عليهم السلام .. وقد صُرح بذلك في الأدلة الشرعية[٢٣]..

فلولاهم لساخت الأرض[٢٤]..

وكونهم عليهم السلام سبب القيام، كما أن الجاذبية والقوة الطاردة أو العناصر الأربعة سبب القيام المادي بحيث لولاها لساخت الأرض وانهدم العالم..

وكونهم عليهم السلام واسطة الفيض كما في حديث الكساء[٢٥] وغيره، وأنه

---

(٢١) موسوعة الفقه: كتاب البيع، الجزء الرابع والخامس.

(٢٢) سيأتي هذا البحث تفصيلاً، فراجع ما سيأتي من بحث (لأجلهم) و(محبتهم) وغيرهما.

(٢٣) سيأتي الحديث عن الأدلة على ذلك بعد صفحات كما سيتطرق الإمام المؤلف دام ظله لذلك في مطاوي الكتاب، وراجع أيضا (العقبات)، و(البحار) ـ عند الحديث عنهم عليهم السلام وكذا عن خلق العالم ـ، و(كفاية الموحدين)، و(نهج الحق وكشف الصدق) للعلامة الحلي، و(دلائل الصدق) للمرحوم المظفر، إلى غيرها من الكتب الكلاميه.

(٢٤) راجع الكافي: ج١ ص١٧٩ باب أن الأرض لا تخلو من حجة ح١٠.

(٢٥) راجع (الدعاء والزيارة) للإمام المؤلف دام ظله: ص ١٠٥٠ فصل في حديث الكساء، و(مفاتيح الجنان) للشيخ عباس القمي رحمه الله، وسائر المصادر المذكورة في هذا الكتاب.

لولاهم لم يجر فيض الله سبحانه على هذا العالم القائم فرضاً.

كما أنها (صلوات الله عليها) تعلم الغيب كسائر المعصومين عليهم السلام حسب مشيئته سبحانه..

ولها عليها السلام ولهم عليهم السلام الولايات التكوينية، ومعناها:

إن زمام العالم بأيديهم عليهم السلام .. ومنهم فاطمة (سلام الله عليها) حسب جعل الله سبحانه، كما أن زمام الإماتة بيد عزرائيل عليه السلام..

فلهم عليهم السلام التصرف فيه إيجاداً وإعداماً..

لكن من الواضح أن قلوبهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله تعالى[٢٦]، فكما منح الله سبحانه القدرة للإنسان على الأفعال الاختيارية، منحهم عليهم السلام القدرة على التصرف في الكون.

وما نذكره يشمل كل المعصومين عليهم السلام ،فإن كل الصلاحيات التي كانت للأنبياء عليهم السلام ثابتة للمعصومين عليهم السلام أيضاً؛ لأنهم أفضل منهم عليهم السلام وفاطمة (صلوات الله عليها) أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام إلاّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنها (سلام الله عليها) بضعة منه[٢٧]، لا البضعة المادية فقط، بل المعنوية أيضاً، إذ لا يترتب على المادية تلك الآثار التي رتبها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليها، وإذا كان صلى الله عليه وآله وسلم أفضل جميع الأنبياء عليهم السلام فبضعته عليها السلام كذلك، فتأمل.

وهناك روايات عديدة يمكن القول بأنها متواترة ولو إجمالاً، ومحتفة بالقرائن المعتبرة تدل على أفضليتها (صلوات الله عليها) من جميع الأنبياء عليهم السلام إلا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهي على طوائف:

---

(٢٦) راجع بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٣٧ ب١٠ فصل في بيان التفويض ومعانيه ح١٦.

(٢٧) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٨٣ ب٢١ ح١٦٤٥٢.

فمنها: ما دل على كون طاعتها عليها السلام مفروضة على جميع الخلائق والأنبياء عليهم السلام.

فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة ... »[٢٨].

ومنها: ما دل على اطلاع الله تعالى على الخلق واختيارهم.

فقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «إن الله عزوجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين، ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من وُلدِك على رجال العالمين، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين»[٢٩]، مع ملاحظة وحدة السياق معه صلى الله عليه وآله وسلم مما يفيد عمومية الأفضلية من كل الأنبياء عليهم السلام، وبضميمه ما دل على أنها عليها السلام أفضل من أبنائها عليهم السلام.

وفي (كمال الدين): «... ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة ثالثة فاخترتكِ وولديكِ ... »[٣٠].

ونظيره قولـه تعالى: «... يا محمد، إني خلقتك وخلقتُ علياً وفاطمة والحسن والحسين من سنخ نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرضين، فمن قبلهما كان عندي من المؤمنين ... »[٣١]، ووحدة السياق معه صلى الله عليه وآله وسلم والإطلاق يفيد المطلوب.

---

(٢٨) دلائل الإمامة: ص٢٨ خبر مصحفها.
(٢٩) راجع من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٤ باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح٥٧٦٢.
(٣٠) كمال الدين: ص٢٦٣ ب٢٤ ح١٠.
(٣١) راجع الغيبة للشيخ الطوسي: ص١٤٨ أخبار المعمرين من العرب والعجم، تأويل الآيات الظاهرة: ص١٠٥ سورة البقرة وما فيها من الآيات البينات في الأئمة الهداة.

ومنها: ما دل بالصراحة على الأفضلية، مثلاً قوله ﷺ: «ما تكاملت النبوة لنبي حتى أقر بفضلها عليها السلام ومحبتها»[٣٢] فتأمل.

وكذلك الأحاديث الدالة على أنه لولا أن الله تعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن لفاطمة عليها السلام كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه، وهي عديدة[٣٣].

ومنها: ما يدل بالالتزام على الأفضلية، مثل:

أ: الكتابة على ساق العرش والجنة

فمثلاً قال رسول الله ﷺ: «ليلة عُرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، على باغضهم لعنة الله»[٣٤].

وقال ﷺ: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله، فسبحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزوجل آدم بألفي عام، فلما خلق الله عزوجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا لـه ولم يؤمروا بالسجود إلا لأجلنا ... »[٣٥].

---

(٣٢) راجع بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٨١ ب٦ ح٢٧، بصائر الدرجات: ص٧٣ ب٨ ح٧، وفيه: «ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا لـه فأقروا بطاعتهم وولايتهم».

(٣٣) راجع بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٠٧ ب٥ ضمن ح٢٢، المناقب: ج٢ ص١٨١ فصل في المصاهرة مع النبي ﷺ.

(٣٤) تاريخ بغداد: ج١ ص٢٧٤ ح٨٨.

(٣٥) تأويل الآيات الظاهرة: ص٤٩٨ سورة ص وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

وقال ﷺ: «لما خلق الله إبراهيم كشف عن بصره فنظر في جانب العرش نوراً فقال: إلهي وسيدي ما هذا النور؟.

قال: يا إبراهيم هذا نور محمد صفوتي.

قال: إلهي وسيدي وأرى نوراً إلى جانبه؟.

قال: يا إبراهيم هذا نور علي ناصر ديني.

قال: إلهي وسيدي وأرى نوراً ثالثاً يلي النورين؟.

قال: يا إبراهيم هذا نور فاطمة تلي أباها وبعلها ... »[٣٦].

ب: والخلقة قبل آدم عليه السلام

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن تخلق الأرض والسماء ... خلقها الله عزوجل من نوره قبل أن يخلق آدم ... »[٣٧].

ج: قصة سفينة نوح

حيث «... سمر عليه السلام المسامير كلها في السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير، فضرب بيده إلى مسمار منها فأشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكب الدري

---

(٣٦) راجع الفضائل: ص١٥٨ وفي ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي ﷺ، بحار الأنوار: ج٣٦ ص٢١٣-٢١٤ ب٤٠ ح١٥.

(٣٧) راجع معاني الأخبار: ص٣٩٦ باب نوادر المعاني ح٥٣.

في أُفق السماء... »، وكان المسمار الأول باسم الرسول ﷺ والثاني باسم الإمام علي عليه السلام والبقية باسم السيدة الزهراء عليها السلام والحسنين عليهما السلام، ثم قال ﷺ: «ولولانا ما سارت السفينة بأهلها»[٣٨].

د: تعليم أسمائهم عليهم السلام للأنبياء عليهم السلام

فمثلاً: ورد عن الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف): إن زكريا عليه السلام سأل ربه أن يعلمه الأسماء الخمسة ... الحديث[٣٩]..

وكذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قولـه تعالى: **[ولقد عهِدنا إِلى آدمَ مِن قبل]**[٤٠] «كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام »[٤١].

هـ: ما ورد في يوم القيامة ومقامها عليها السلام

مثل قوله ﷺ: «... والذي بعثني بالحق إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاّ صعق، فينادي إليها: أن يا جهنم يقول لكِ الجبار: أسكني بعزي واستقري حتى تجوز فاطمة بنت محمد ﷺ إلى الجنان ... »[٤٢].

---

(٣٨) راجع الأمان، للسيد ابن طاووس: ص١١٨-١١٩ ب٩ ف٤، ولا يخفى ما لـه من الدلالة على أن ببركتهم عليهم السلام وعناية الله بهم نجى نوحاً عليه السلام وأصحابه.
(٣٩) راجع بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٨٤ ب١٩ ح١.
(٤٠) سورة طه: ١١٥.
(٤١) المناقب لابن شهر آشوب: ج٣ ص٣٢٠ فصل في تفضيلها على النساء.
(٤٢) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٩١ ب١ ح٣٦.

و: وما أشبه ذلك.

مثل ما دل على أفضليتها عليها السلام من الأئمة عليهم السلام

كقول الإمام الحسين عليه السلام: «أُمي خير مني»[٤٣] وغير ذلك.

وسائر الأئمة عليهم السلام أيضاً كذلك، فهم عليهم السلام في الأفضلية سواء من هذه الجهة[٤٤]، ويؤيده روايات مثل صلاة عيسى عليه السلام خلف الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)[٤٥].

(٤٣) الإرشاد، للشيخ المفيد: ج٢ ص٩٤ باب ذكر الإمام بعد الحسن بن علي عليه السلام.
(٤٤) أي: على جميع الأنبياء عليهم السلام إلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
(٤٥) بحار الأنوار: ج١٤ ص٣٤٩ ب٢٤ ح١٢.

الولايات التكوينية للأنبياء عليهم السلام

وقد دل القرآن العظيم على ثبوت الولاية التكوينية لعدة من الأنبياء عليهم السلام وغيرهم، فتثبت لها (صلوات الله عليها) ولسائر أهل البيت عليهم السلام بطريق أولى:

كقصة آصف وعرش بلقيس[٤٦]..

وسليمان عليه السلام والريح والشياطين وغيرهم[٤٧]..

وقصة الجبال والطير مع داوود عليه السلام [٤٨]..

وقصة عيسى عليه السلام وتكلمه في المهد[٤٩]، وإبرائه الأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى، وخلقه الطير[٥٠]..

إلى غيرها مما ورد في القرآن الكريم.

وقد وردت طائفة كبيرة منها في السنة المطهرة.

بل من أطاع الله تعالى إطاعة كاملةً يكون قادراً على العديد من ذلك كرامةً، كسلمان رحمه الله الذي تكلم مع الميت.. وزينب عليها السلام بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي أومأت إلى الناس ـ في سوق الكوفة ـ فهدأت الأصوات وسكنت الأجراس[٥١]، وغيرهما.

كما أن الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) يأتون بها معجزة أو خرقاً للعادة، ويطلق على أحدهم الخارق باعتبار خرقه سنن الكون الأولية بأمر خالقه

---

(٤٦) سورة النمل: ٤٠.
(٤٧) سورة ص: ٣٦-٣٧.
(٤٨) سورة الأنبياء: ٧٩.
(٤٩) سورة مريم: ١٩-٣٠.
(٥٠) سورة آل عمران: ٤٩.
(٥١) راجع بحار الأنوار: ج٤٥ ص١٦٢ ب٣٩ ح٧.

سبحانه.

وفي الحديث: «أطعني تكن مثلي» [٥٢] ـ على وزن حبر أو فرس ـ والأول معناه اسم المصدر والثاني المصدر من قبيل شِبه وشَبه وحُسن وحَسن.

والمثل يطلق على (وينسب إلى) التابع وعلى المتبوع أو المشابه، مثل: **[مثل نورِهِ كمِشكاة]**[٥٣] وقد يستعمل في المتبوع مثل **[وجعلناه مثلا لبِني إسرائيل]**[٥٤]، فإن معناه الشبه تابعاً أو متبوعاً.

ومن الواضح: إن قدرتهم عليهم السلام التكوينية ليست ذاتية من عند أنفسهم، بل هي منحة الله تعالى وعطاؤه لهم عليهم السلام، ولذا قال سبحانه: **[قل لا أملِك لِنفسِي نفعا ولا ضرا]**[٥٥]..

فقدرتهم عليهم السلام في طول قدرة الله سبحانه وحاصلة بإرادته تعالى. ولذا لاينافي علمهم عليهم السلام بالغيب حسب **[إلا مَنِ ارتضى مِن رسولٍ]**[٥٦] عدم علمهم عليهم السلام الذاتي حسب قولـه سبحانه: **[ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت مِن الخيرِ وما مسنِي السوء]**[٥٧]..

فهما كالشفاعة، لا يملكها أحد بذاته **[قل لله الشفاعة جمِيعا]**[٥٨] وإن ملكها غير واحد فهو بأمره سبحانه **[لا يشفعون إلا لِمنِ ارتضى]**[٥٩].

---

(٥٢) راجع بحار الأنوار: ج٩٠ ص٣٧٦ ب٢٤ ضمن ح١٦.
(٥٣) سورة النور: ٣٥.
(٥٤) سورة الزخرف: ٥٩.
(٥٥) سورة الأعراف: ١٨٨.
(٥٦) سورة الجن: ٢٧.
(٥٧) سورة الأعراف:١٨٨.
(٥٨) سورة الزمر:٤٤.
(٥٩) سورة الأنبياء: ٢٨.

فقوله: «تكن مثلي» لا ينافي [**فلا تضربوا لله الأمثال**] [٦٠]، و[**ليس كمثله شيء**][٦١] فـ «مثلي» طولي لا عرضي، وفي بعض الأمور بقرينة الوضوح..

والذيل «أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء ... »[٦٢]، فإن الخبر يعمم ويخصص الموضوع، كالعكس.

أما ما سبق من كونهم عليهم السلام بما فيهم فاطمة (صلوات الله عليها) علة غائية للتكوين، فلأدلة ومؤيدات عديدة،

منها: ما ورد من: «ما خلقت سماءً مبنيةً ... إلا لأجل هؤلاء الخمسة»[٦٣].

وفي حديث آخر: «لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[٦٤].

ولعل الوجه في ذلك أن عدم خلق الكمال من جميع الحيثيات، مع خلق ماعداه دليل على عدم قدرة الخالق أو بخُله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فلولاهم عليهم السلام كان الخلق على خلاف الحكمة.

العلة للحدوث والبقاء

وقد ذهب بعض العلماء، إلى كونهم عليهم السلام العلة حدوثاً، بمعنى أن الكون منهم ككون الوفاة من عزرائيل..

---

(٦٠) سورة النحل:٧٤.
(٦١) سورة الشورى: ١١.
(٦٢) راجع بحار الأنوار: ج٩٠ ص٣٧٦ ب٢٤ ضمن ح١٦.
(٦٣) بحار الأنوار: ج٣٥ ص٢٣ ب١ ح١٥.
(٦٤) راجع مستدرك سفينة البحار: ج٣ ص١٦٨-١٦٩، مستدرك سفينة البحار: ج٨ ص٢٤٣، مجمع النورين: ص١٤و١٨٧.

وعن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف): «نحن صنائع ربنا والخلق بعدُ صنائعنا»[٦٥].

---

(٦٥) راجع الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٢٨٥ ف٤. وفي (بحارالأنوار): ج٥٣ ص١٧٨ ب٣١ ح٩.
ذهب بعض علماء الكلام إلى ذلك مستندين إلى أدلة وشواهد ومؤيدات كثيرة نشير إلى بعضها، قالوا: ومما يشهد على كونهم عليهم السلام وسائط الله سبحانه وتعالى في خلق العالم بعد وضوح إمكان ذلك، بل وضوح رجحانه بالنظر لحكمة الله تعالى كما فصل في محله، ما ورد في الحديث القدسي: «... وهي فاطمة، وبنورها ظهر الوجود من الفاتحة إلى الخاتمة» ـ الخصائص الفاطمية للمحقق الشهير الملا محمد باقر رحمه الله: ص١ ـ والظاهر أن المراد ظهورها من كتم العدم إلى نور الوجود والباء للسببية، فليتأمل.
كما قالت السيدة فاطمة عليها السلام: «... ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه ... » ـ شرح نهج البلاغة: ج١٦ ص٢١١ ف١ ـ
وإطلاق (وسيلته) يقتضي الأعم من الحدوث والبقاء، وهذا بناء على كون المراد بـ (الوسيلة) ما يتوصل به إلى الشيء ـ كما هو الأصل في معناها، راجع لسان العرب مادة (وسل) وباقي المعاني مشتقة منه ـ فهم عليهم السلام الوسيلة في الإيجاد وهم عليهم السلام الوسيلة في الإفاضة بعد الإيجاد.
ويقول العلامة المجلسي قدس سره: ورد في أخبار كثيرة: «لا تقولوا فينا رباً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا» باب نفي الغلو عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ـ بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٤٧ ب١٠ فذلكة ـ مع وضوح أن (رب) عَلَم لله سبحانه وتعالى أي للواجب الوجود فلايقال فيهم◄ عليهم السلام ◄أنهم إله واجب الوجود، بل هم ممكنو الوجود، وبعد ذلك «قولوا فينا ما شئتم» ومن مصاديقه كونهم عليهم السلام الوسائط في الخلق خاصة مع ملاحظة «ولن تبلغوا» والأمر واضح بملاحظة العقد السلبي والعقد الايجابي للكلام، وبملاحظة أن المتكلم معصوم حكيم ملتفت لدقائق الكلام ومنها هذا الإطلاق الواسع والمؤكد.
وورد كما أشار المصنف قدس سره: «نحن صنايع ربنا والناس بعدُ صنايعنا» ـ كتاب الغيبة الشيخ الطوسي: ص٢٨٥ ف٤. وفي (بحارالأنوار): ج٥٣ ص١٧٨ ب٣١ ح٩ ـ
ووحدة النسق والسياق يشير إلى أن الناس مصنوعون لهم عليهم السلام كما أنهم عليهم السلام مصنوعون لله تعالى، فالله سبحانه علة العلة.
وفي (نهج البلاغة) الرسائل: ٢٨ ومن كتاب لـه عليه السلام إلى معاوية جواباً ـ: «إنا صنائع ربنا والناس بعدُ صنائع لنا» واللام في (لنا) للتقوية، خاصة مع ورود (صنائعنا) الذي يشهد لذلك.
وفي (البحار)، عن (الخصال): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والغلو فينا! قولوا إنا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم» ـ بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٧٠

ب١٠ ح١٥ ـ.
وكونهم عليهم السلام بإذن الله العلة الفاعلية من مصاديق الفضل كما لا يخفى.
وقوله عليه السلام: «ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجة لساخت بأهلها» ـ بحار الأنوار: ج٥١ ص١١٢-١١٣ ب٢ ح٨ ـ. وهذا ونظائره يدل على كون استمرار الإفاضة منوطاً بهم عليهم السلام.
وأما الروايات التي يتوهم منها نفي ذلك، فهي إما محمولة على التقية، أو أن المراد بها نفي كونهم عليهم السلام بالاستقلال وفي عرض الله سبحانه علة الخلائق، لا نفي كونهم عليهم السلام في طوله تعالى وبالإستناد إليه وبقدرته وإذنه العلة للخلقة، فلاحظ هذه الرواية مثلاً:
روي عن زرارة أنه قال: قلت للصادق عليه السلام: إن رجلاً يقول بالتفويض فقال: «وما التفويض؟». قلت: إن الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً (صلوات الله عليهما) ففوض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا؟. فقال: «كذب عدو الله، إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: [أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ] » سورة الرعد: ١٦ ـ بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٤٣ـ٣٤٤ ب١٠ ضمن ح٢٥ ـ.
فلاحظ أن الإمام عليه السلام نفى التفويض بمعنى اعتبارهم (شركاء لله خلقوا كخلقه) أي في عرض الله لا باستناد إليه ... وهكذا سائر الأحاديث كما يظهر بالتتبع والتأمل، خاصة مع لحاظ أن إطلاق السؤال يشمل المقام (وهو كونهم عليهم السلام الخالقين في طول الله سبحانه) وهو محل ◄ ◄الإبتلاء أيضاً، بل لعل السؤال كان عن خصوص كونهم عليهم السلام العلة في طول الله بقرينة (خلق... ففوض...) ومع ذلك لم ينف الإمام عليه السلام هذا الشق، بل نقل الحديث لنفي الشق الآخر وهو كونهم عليهم السلام شركاء الله تعالى وفي عرضه.
كما أن التفويض بمعنى أن أمور الكون إليهم عليهم السلام بقاءً دون مدخلية لله تعالى أصلاً أيضاً باطل، ولهذا البحث مقام آخر تطرقنا لـه هنا إشارة فقط.
ونموذج آخر يوضحه قولـه عليه السلام: «اللهم أني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى» ـ بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٦٦ ب١٠ ح٧ ـ. فهذا التشبيه دليل على المتبرى منه، إذ النصارى يرون فيه رباً وشريكاً، لا مخلوقاً مستند القدرة إلى الله سبحانه، وهذا التقييد بـ (كبراءة) في العديد من الأحاديث شاهد كبير على المطلب.
ولذا جاء في الرواية: «وإنا لنبرأ إلى الله عزوجل ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، قال الله عزوجل: [وَإِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ] » سورة المائدة: ١١٦ ـ بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٧٢ ب١٠ ح١٧ ـ.
وكذلك قول صاحب الزمان (عجل الله تعال فرجه الشريف): «... ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته بل لا يعلم الغيب غيره ... » ـ بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٦٦

وأما كونهم عليهم السلام علته[٦٦] بقاءً؛ فلأن البقاء بحاجة إلى استمرار العلة، كالمصباح حيث إن دوامه بحاجة إلى الاتصال المستمر بالقوة الكهربائية، وهم بإرادة الله وفي طولـه تعالى علةٌ كما أن الكهرباء بإرادته تعالى وفي طولـه علة للإنارة.

وقد قيل للصادق عليه السلام: الله بمقدوره أن يخلق الكون الباقي أبداً في أقل من الساعة[٦٧] فلا عمل لـه سبحانه بعد ذلك، كما قالت اليهود [يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ][٦٨] فأجاب ـ ما معناه ـ: بأن الكون قائم به سبحانه على سبيل الاستمرار.

فالكون بالنسبة إليه كالصور الذهنية بالنسبة إلينا بحيث إن مجرد عدم الالتفات يوجب انعدامها، ولذا ورد: «لولا الحجة لساخت»[٦٩] والمراد الانعدام لا الانهدام، فليس من قبيل انهدام الكون إذا فقدت الجاذبية.

وفي دعاء رجب: «فبكم يجبر المهيض، ويشفى المريض، وما تزداد الأرحام وما

ب١٠ ح٩ ـ مع وضوح علمهم عليهم السلام بالغيب بإذنه تعالى وكذلك قدرتهم.
ويوضحه أكثر قوله (عجل الله فرجه الشريف): «إني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول إنا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه ... » ـ بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٦٧ ب١٠ ح٩.
فالمنفي هو مشاركة الله في ملكه وهو الند ومن هو في العرض، لا من يقوم بعمل استناداً إليه تعالى وبإفاضته وفي طوله.
وما يوضح المطلب أكثر فأكثر مراجعة الرواية المطولة المذكورة في بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٧٣ـ٢٧٨ ب١٠ ح٢٠، حيث إن الأئمة كانوا يواجهون من يدعي أن علياً عليه السلام هو الله تعالى والعياذ بالله ويردون عليه بكل شدة وصراحة.
(٦٦) أي: علة الكون.
(٦٧) الساعة ـ لغة ـ الفترة من الزمن فتشمل حتى الدقيقة مثلاً.
(٦٨) سورة المائدة: ٦٤.
(٦٩) راجع بحار الأنوار: ج٥١ ص١١٣ب٢ ح٨، بصائر الدرجات: ص٤٨٩ ب١٢ ح٨.

تغيض»[٧٠]..

إلى غير ذلك مما دل على هذه المراتب الثلاثة في الولاية التكوينية.

(٧٠) بحار الأنوار: ج٩٩ ص١٩٥ ب ٨ الزيارة العاشرة.

الولاية التشريعية

وكذلك لفاطمة (صلوات الله عليها) الولاية التشريعية، إذ هم عليهم السلام علة التشريع، فإن علة الملازم علةٌ للملازم الآخر، وعلة الملزوم علةٌ للازمه أيضاً، مثل كون علة وجود الكتب المتعددة علة وجود الزوجية أو الفردية التي هي وصف لتلك الكتب، إذ التشريع من لوازم التكوين ـ بالمعنى الأعم ـ.

إضافةً إلى ما ورد من «إنهم عليهم السلام نور واحد»، وما ورد من «إن فاطمة عليها السلام حجة علينا»[٧١] وغير ذلك.

كما أنهم عليهم السلام علة، فعلية التشريع وبقاء التشريع حيث إن الدين باق بصورة أو أخرى، فلا يقال لدين موسى عليه السلام مثلاً: لم يبق بقول مطلق، إذ جوهر الدين بقي بصورة أخرى في زمن عيسى عليه السلام، وزمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [**قولوا آمنا بالله**][٧٢].

(٧١) راجع تفسير أطيب البيان: ج١٣ ص٢٢٥ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.
(٧٢) سورة البقرة: ١٣٦.

الأمر بين الأمرين في التشريع

لا يقال: كيف يجمع بين تشريعهم عليهم السلام المستفاد من «ففوض إليه دينه»[٧٣] ومِن «المفوض إليه دين الله»[٧٤] ومِن (سنة النبي صلى الله عليه وآله في قبال فرض الله)، وبين **[ما ينطقِ عنِ الهوى]**[٧٥] المراد به الأعم من القول والفعل والتقرير، ولذا ورد **[هذا كِتابنا ينطقِ عليكم]**[٧٦] فإن كل مظهر نطق، مثل **[يسبح لله]**[٧٧] المراد به التكوين أو اللسان أو بُعد آخر لا تدركه عقولنا؟.

لأنه يقال: إن قلوبهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله سبحانه، كما أن الله ينبت لكن محل إنباته الأرض أو الرحم كما قال: **[وأنبتها نباتا حسنا]**[٧٨].

ثم إن الله سبحانه نسب الأمور التكوينية تارة إلى نفسه، وأخرى إليهم عليهم السلام، وثالثة إليهما: فمرة قال تعالى: **[وقضينا إلى بنِي إسرائيل]**[٧٩]..

وتارة قال سبحانه: **[ثم لا يجِدوا فِي أنفسِهِم حرجا مِما قضيت]**[٨٠]..

---

(٧٣) تهذيب الأحكام: ج٩ ص٣٩٧ ب٤٦ ح٢٤.
(٧٤) بحار الأنوار: ج٩١ ص٨١ ب٣٠ ح٢.
(٧٥) سورة النجم: ٣.
(٧٦) سورة الجاثية: ٢٩.
(٧٧) سورة الجمعة: ١، سورة التغابن: ١.
(٧٨) سورة آل عمران: ٣٧.
(٧٩) سورة الإسراء: ٤. والقضاء يأتي بمعنى الإخبار والتقدير والحكم وغير ذلك ـ راجع شرح التجريد بحث القضاء ـ وربما يكون المراد بالآية أن التقدير كان حسب السنن الكونية إفسادهم مرتين، فمن السنن الكونية أن التكبر يفسد وهذا تقدير كوني.
(٨٠) سورة النساء: ٦٥.

وقال تعالى ثالثة: [**رضوا ما آتاهم الله ورسوله**][٨١]، [**سيؤتينا الله من فضله ورسوله**][٨٢] ـ ماضياً ومستقبلاً ـ كما استدل بها الصادق عليه السلام على أبي حنيفة الذي قال: أشركت بالله[٨٣].

فمعنى أنهم عليهم السلام المكوِّنين بأمره تعالى، وبأنهم عليهم السلام مجرى إرادته وأوعية مشيئته، مثل أن عزرائيل عليه السلام يُميت بأمره سبحانه وإرادته، وإسرافيل عليه السلام ينفخ، وجبرائيل عليه السلام ينزل الوحي، وميكائيل عليه السلام يقسم الرزق، وهكذا. ومن المعلوم أن المعصومين عليهم السلام جميعاً أفضل من الملائكة، ولذا سجدت الملائكة لآدم عليه السلام.. وهم عليهم السلام أفضل من آدم عليه السلام.

وكشاهد على ما نحن فيه ترى في القرآن الكريم يقول سبحانه تارة: [**الله يتوفى الأنفس**][٨٤] . وأخرى: [**يتوفاكم ملك الموت**][٨٥].

وثالثة: [**توفته رسلنا**][٨٦].

فالثالث[٨٧] في طول الثاني الذي هو طول الله سبحانه.

من الأدلة على ولايتهم عليهم السلام

ثم إنه يدل على ولايتها عليها السلام خصوصاً، أو ضمن سائر المعصومين عليهم السلام

---

(٨١) سورة التوبة: ٥٩.
(٨٢) سورة التوبة: ٥٩.
(٨٣) راجع وسائل الشيعة: ج٢٤ ص٣٥١ ب٥٦ ح٣٠٧٥٢.
(٨٤) سورة الزمر: ٤٢.
(٨٥) سورة السجدة: ١١.
(٨٦) سورة الأنعام: ٦١.
(٨٧) للروايات الدالة على أن لملك الموت أعواناً يقبضون الروح بأمره.

أدلة كثيرة، وقد سبق أو سيأتي بعضها كدليلٍ أو مؤيّد، منها:

قوله عليه السلام: «فاطمة حجة الله علينا»[٨٨].

و:حديث الكساء، كما سيأتي بيان ذلك.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا علي لما كان لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه»[٨٩].

وما دل على تساويها عليها السلام مع الإمام علي عليه السلام.

وما دل على الأفضلية من الأنبياء عليهم السلام .. مع قيام الأدلة على ثبوت الولاية لهم عليهم السلام ـ على درجات ـ.

والأولوية القطعية من أمثال: «عبدي أطعني تكن مثلي»[٩٠].

وقوله عليه السلام: «الخلق بعدُ صنائعنا»[٩١].

و: «فبكم يجبر المهيض ويُشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض»[٩٢].

و: «فوّض إليه دينه»[٩٣].

و: «كونهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله»[٩٤].

و: صدور الخوارق منهم.

و:التوقيع المروي عن صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كما سيأتي[٩٥].

---

(٨٨) راجع كتاب تفسير أطيب البيان: ج١٣ ص٢٢٥، عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.
(٨٩) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٧٠ ح٩٠ب٤١.
(٩٠) راجع مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٥٨ ب١٨ ح١٢٩٢٨.
(٩١) الاحتجاج: ج٢ ص٤٦٦ احتجاج القائم المنتظر المهدي عليه السلام.
(٩٢) الإقبال: ص٦٣١، مصباح المتهجد: ص٨٢١.
(٩٣) تهذيب الأحكام: ج٩ ص٣٩٧ ب٤٦ ح٢٤.
(٩٤) انظر بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٣٦ فصل في بيان معنى التفويض ومعانيه ح١٦.
(٩٥) وسيأتي ذكر مصادر تلك الأحاديث تفصيلاً بإذنه تعالى.

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة.

كما يدل على ولايتهم عليهم السلام عموماً قوله تعالى: **[النبِيّ أولى بِالمؤمنِين]**[٩٦].

بالإضافة إلى الآيات والروايات المتواترات، لما قد ثبت من أنهم عليهم السلام نور واحد، وأن لأولهم ما لآخرهم كما في الروايات[٩٧]، وقال سبحانه: **[إِنما ولِيكم الله]**[٩٨] الآية، فهم عليهم السلام كالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرتبة الولاية وإن اختلفوا في مراتب الفضل، فبعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليٌ عليه السلام وبعده أو مقارناً له ـ كما يظهر من جملة من الأحاديث ـ فاطمة (سلام الله عليها)، ثم الحسن عليه السلام، ثم الحسين عليه السلام، ثم القائم عليه السلام، ثم الأئمة الثمانية عليهم السلام قبله، كما يظهر من الأحاديث.

ماذا تعني الأولوية؟

وهل المراد الأولوية التكوينية؟ [٩٩]..

أو في صورة التدافع؟

أو أن لـه صلى الله عليه وآله وسلم سلطة فوق سلطة الإنسان، كما في سلطة الله تعالى على السيد المسلّط على العبد؟.

أو الحكومة؟.

---

(٩٦) سورة الاحزاب: ٦.

(٩٧) انظر الكافي: ج٧ ص٨٥ باب علة كيف صار للذكر سمهان...ح٢، ومستدرك الوسائل: ج١٠ ص٣٩٩ ب٨٥ ح١٢٢٥٤. وفي بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٦٠ ب١٢ ح١٦ عن الاختصاص: قال أبوجعفر عليه السلام: لا يستكمل عبد الإيمان حتى يعرف أنه يجري لآخرنا ما يجري لأولنا، وهم في الطاعة والحجة والحلال والحرام سواء، ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما».

(٩٨) سورة المائدة: ٥٥.

(٩٩) بمعنى إنه أولى لأنه كونه.

أو الثلاثة الأخيرة؟.

أو الخمسة جميعاً؛ لجامع السلطوية، فليس من استعمال اللفظ في أكثر من معنى؟.

احتمالات، وإن كان بعضها أقرب.

نعم ،إذا كان (أولى) بمعنى التفضيل العرفي، يكون الثاني فقط، لكنه خلاف الظاهر حيث الاحتفاف بالقرائن الداخلية والخارجية، فتأمل.

سلطة الهدم والبناء

والظاهر أن لهم عليهم السلام سلطة الهدم، كما لهم سلطة البناء، من قبيل الزوج الذي لـه سلطة النكاح والطلاق، أو الشركة حيث العقد الجائز للشريك كلاهما[١٠٠]، بخلاف مثل البيع اللازم حيث البناء فقط، ومثل ثالثٍ جعل الخيار بيده حيث له الهدم فقط.

فكما إنه سبحانه لـه حق طلاق نساء الناس أو تزويجهنّ ولو بدون رغبتهم، كذلك لهم عليهم السلام هذا الحق خلافةً منه تعالى.

لكن من الواضح أنهم عليهم السلام في طولـه سبحانه، وأنهم عليهم السلام أوعية مشيئته[١٠١] كما تقدم، وإن كانوا عليهم السلام لا يقومون بإعمال أمثال هذه القدرة عادةً كما سيأتي.

---

(١٠٠) أي: الإمضاء والفسخ.

(١٠١) انظر بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٣٦ فصل في بيان معنى التفويض ومعانيه ح١٦.

من معاني التفويض

ثم إن التفويض التكويني إليهم عليهم السلام هو بالمعنى الذي ذكرناه، ودل عليه النص مثل: «فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض»[١٠٢] والإجماع.

والتشريعي أيضاً كما ذكرناه، ودل عليه:

«المفوض إليه دين الله»[١٠٣]..

و: «أنَّ الله أدَّب نبيه بآدابه ففوّض إليه دينه»[١٠٤]..

إلى غيرها من الروايات المتواترة.

وفي قباله تفويضان باطلان:

الأول: عزل الله سبحانه عن أي شيء، وإنما يكون كمن أشغل مصنعاً وفوضه إلى آخر واعتزل هو عن العمل إطلاقاً، وهذا يخالفه النص والإجماع، بل الكتاب والعقل أيضاً.

الثاني: تفويض الأمور وتركها وسائر الكون لا إلى أحد، بأن يكون الله سبحانه قد خلق الكون وهو يدور بنفسه، كمن يشغل مصنعاً ويتركه يدور بدون قيام أحد مقامه..

وهذا هو الذي قالته اليهود مما ذكره سبحانه: **[وقالتِ اليهودُ يدُ اللهِ مغلولة غلت أيديهِم ولعنوا بِما قالوا]**[١٠٥].

وهذا التفويض الباطل بالمعنى الثاني هو نقطة النقيض لفكرة الجبر التي تقول: إن الله سبحانه يفعل كل شيء، بينما الأول بمعنى أنه تعالى لا يفعل أي

---

(١٠٢) مصباح المتهجد: ص٨٢١ زيارة رواها ابن عياش.
(١٠٣) الغيبة للطوسي: ص٢٧٨ ف٣.
(١٠٤) راجع وسائل الشيعة: ج٢٦ ص١٤٢ ب٢٠ ح٣٢٦٨٢.
(١٠٥) سورة المائدة: ٦٤.

شيء، والحقيقة أنه أمر بين الأمرين[١٠٦]، فالآلات منه سبحانه والعمل من الإنسان ولذا يُثاب ويُعاقب.

عود على بدء

ولما سبق من أن الله سبحانه جعل بيدهم عليهم السلام الكون، تصدر منهم عليهم السلام الخوارق معجزة وكرامة، بما أنهم أوعية مشيئة الله تعالى، وكذلك ما سبق من أنه تعالى فوض إليهم عليهم السلام التشريع كما ورد «المفوَّض إليه دين الله»[١٠٧].

والأول يشمل:

الهدم والبناء، كإماتة الإمام الرضا عليه السلام الساحر[١٠٨]، وإحياء عيسى عليه السلام الأموات[١٠٩]..

والتبديل والتحويل، قال سبحانه: **[فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا]**[١١٠]، ومن سنة الله جعله تعالى التكوين والتشريع بأيديهم عليهم السلام وذلك كأن يجعل الشام عراقاً وبالعكس، وكأن يجعل الرجل امرأة وبالعكس، كما في قصة الإمام الحسن عليه السلام [١١١].

---

(١٠٦) انظر الكافي: ج١ ص١٥٥ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.
(١٠٧) الغيبة للطوسي: ص٢٧٨ ف٣.
(١٠٨) راجع بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٨٤ ب١٤ ح١٦.
(١٠٩) إشارة إلى قوله تعالى: [وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ] ـ سورة آل عمران: ٤٩ ـ.
(١١٠) سورة فاطر: ٤٣.
(١١١) راجع بحار الأنوار: ج٤٣ ص٣٢٧ ب١٥ ضمن ح٦.

بين التصرف والصلاحية

ولم نجد تصرفهم عليهم السلام في التشريع، وإن كان لهم صلاحية ذلك، ولعلّ السبب في ذلك أن لا يتخذ الحكّام ذلك ذريعةً للتصرف في الأحكام، وبالرغم من ذلك ترى الحكّام قد تصرفوا في أحكام الله تعالى كما في المتعتين[١١٢]، وكما في صلاة التمام في عرفات[١١٣] وغير ذلك، فكيف بما إذا كانوا يرون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك، ولذا قالوا باستحباب البول في المزبلة لكذب نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١١٤].

ومما تقدم ثبتت الولاية بمعانيها السبعة: كونهم عليهم السلام للتكوين علة، وطريقاً كطريقية عزرائيل للموت، وأنه قائم بهم عليهم السلام، وكذلك التشريع: علة، وطريقاً، وقياماً، بإضافة أن لهم عليهم السلام الحكومة، حيث لا تلازم بين الأخير وسائر أقسام التشريع.

---

(١١٢) راجع مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٤٨٣ ب٣٢ ح١٧٣٥٩.
(١١٣) راجع مستدرك الوسائل: ج٦ ص٥٤٨ ب٢٠ ح٧٤٨٤.
(١١٤) راجع صحيح البخاري: ج١ ص٦٢ كتاب الوضوء، مسند أحمد: ج٤ ص٢٤٦ حديث المغيرة بن شعبة، وتجده في غيره من كتب العامة أيضا.

التوقيع الشريف

ويؤيد ذلك ـ بل يدل عليه ـ التوقيع المروي عن صاحب الزمان (أرواحنا فداه) في دعائه:

«أسألك بما نطق فيهم من مشيتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلاّ أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورقتها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك، أعضاد وأشهاد، ومناة وأذواد، وحفظة ورواد، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت»[١١٥] إلى آخر الدعاء.

و(مُناة): ـ على وزن دُعاة جمع داعي ـ من منى الله تعالى فلاناً بخير، أي أعطاه له.

و(أذواد): ـ جمع ذائد، كأصحاب جمع صاحب ـ من ذاد بمعنى طرد.

فالمعنى: من ينال خيراً أو يطرد عن شيء لا يكون إلاّ بهم عليهم السلام لا علة بل فعلية.

وملأ السماء والأرض: كالشمس تملأ الكون وإن كان جسمها الظاهر صغيراً.

ولعلّ سرّ ورود الزيارة الجامعة والدعاءين لرجب عنهم عليهم السلام لبيان الطريق الوسط بين مادية الخلفاء الذين استهتروا فيها، وإفراط المتصوفة القائلين بوحدة الوجود أو الموجود في تلك الأزمنة المتأخرة.

ومن الواضح أن ظهور (لا إله إلا الله) بسببهم عليهم السلام من جهة امتلاء العالم

(١١٥) البلد الأمين: ص١٧٩ شهر رجب.

بالشرك الوثني أو المسيحي أو اليهودي، بل والعامة القائلين بالتجسيم ونحوه، وقد قال علي عليه السلام: «فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّأه»[١١٦]، الحديث.

ولا يخفي أن ما ذكرناه في الجملة، يظهر من مئات الآيات والروايات مما ذكر في مباحث أصول الدين فراجع.

لا فرق بين حياتهم ومماتهم عليهم السلام

ثم إنهم عليهم السلام وهم أموات كالأحياء من جهة التكوين وجهة التشريع، لإطلاق الأدلة، إلاّ في الأمر السابع الذي هو فعلية الحكومة.

لا يقال: إنهم عليهم السلام كيف يتصرفون في التكوين وهم أموات؟.

لأنه يقال:

أولاً: لا موت[١١٧] لهم عليهم السلام فإنهم [**أحياء عند ربهم يرزقون**][١١٨] وإنما بدّلوا الملبس، بل كل حي إذا مات كان كذلك، فقد خلقهم للبقاء لا للفناء، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ لمن اعترض عليه حينما خاطب قتلى المشركين يوم بدر ـ: «ما أنت بأسمع منهم»[١١٩].

وفي الزيارة: «وأنك حي»[١٢٠] إلى غير ذلك.

---

(١١٦) نهج البلاغة، الخطب: ١ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم.

(١١٧) بمعنى الانعدام أو الآثار المترتبة على الموت من العجز عن التأثير في الكون وما أشبه.

(١١٨) سورة آل عمران: ١٦٩.

(١١٩) راجع بحار الأنوار: ج٦ ص٢٠٧ ب٨، وفيه: «إنهم أسمع منكم».

(١٢٠) راجع كامل الزيارات: ص٢٢٠ زيارة أخرى ح١٣، وفيه: «أشهد أنك حي شهيد ترزق عند ربك».

وثانياً: على فرض كونهم عليهم السلام أمواتاً ما المانع من أن يعطي الله سبحانه للميت الحياة، كالرزق والشفاء وغير ذلك[١٢١]؟! وفي القرآن الحكيم: [**وجعلنا من الماءِ كل شيءٍ حيٍ**][١٢٢].. ومن المعلوم أن الماء بالمعنى المتعارف ليس حياً فإن الله تعالى هو علة العلل، ولا فرق عنده في الإحياء بسببٍ بين أن يكون حياً أو ميتاً.

وفي آية أخرى: [**يخرجِ الحيَ من الميت**][١٢٣].

وفي بقرة بني إسرائيل المذبوحة أنها سبّبت حياة المقتول[١٢٤].

كما سبّب أثر الرسول حياة عجل السامري[١٢٥].

وكذلك رش الماء على الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف فماتوا فعادوا أحياءً في قصة ارميا[١٢٦]، المذكورات في القرآن الكريم.

ولذا لم تكن قصة البقرة مثلاً مجرد سرد تاريخ، بل لعبر، منها: أن الله

---

(١٢١) بأن يكون الميت سبباً لما فيه الحياة بإذن الله تعالى، فيكون سببا للرزق والشفاء وما أشبه.

(١٢٢) سورة الأنبياء: ٣٠.

(١٢٣) سورة الأنعام: ٩٥، سوة يونس: ٣١، سورة الروم: ١٩.

(١٢٤) إشارة إلى قوله تعالى: [فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] ـ سورة البقرة: ٧٣ ـ.

(١٢٥) إشارة إلى قوله تعالى: [قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَكَذلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي] سورة طه: ٩٦. وقوله سبحانه: ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السّامِرِيّ ۞ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَـذَآ إِلَـهُكُمْ وَإِلَـهُ مُوسَىَ فَنَسِيَ﴾ سورة طه ٨٧-٨٨.

(١٢٦) إشارة إلى قوله تعالى: [أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ] ـ سورة البقرة: ٢٤٣ ـ.

سبحانه يحيي الميت من الميت، كما لم تكن آية النجوى[١٢٧] مجرد قصة منسوخة، بل لإفادة أن الناس ـ عادةً ـ يقومون بأداء العبادات التي تتعلق بالجوارح، أما إذا وصل الأمر إلى المال ظهر عمق إيمانهم، فلا يقال: ما فائدة الآية المذكورة تتلى إلاّ فضيلة علي عليه السلام.

رفعة منزلتهم عليهم السلام ذاتية

ثم إن رفعة المعصوم عليه السلام أمر جوهري كرفعة الذهب على التراب، وقد دلت على ذلك الأدلة الأربعة.

والمراد بدلالة العقل: الدليل الإنِّي حيث يكشف أعمالهم عن ذلك، واللِّمّي بالنسبة إلى الكبرى حيث إن القدرة المطلقة بدون محذور في الخلق يعطي خلق الأرفع أيضاً، نعم الانطباق على الأشخاص الخاصين ـ أي الصغرى ـ نقلي.

قال سبحانه: [**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعضٍ**][١٢٨].

وقال تعالى: [**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعضٍ**][١٢٩].

وقال سبحانه: [**ونفضل بعضها على بعضٍ في الأكل**][١٣٠]..

إلى غيرها من الآيات والروايات المتواترة، وقد دلت على ذلك الكرامات الخاصة أيضاً.

---

(١٢٧) وهي قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] ـ سورة المجادلة: ١٢ ـ.

(١٢٨) سورة البقرة: ٢٥٣.

(١٢٩) سورة الإسراء: ٢١.

(١٣٠) سورة الرعد: ٤.

ولا يستشكل بأنه لو كان[١٣١] خَلَق زيداً أو عمرواً مثلهم لكان يستحق الدرجات الرفيعة؛ لوضوح أنه يلزم في الحكمة خلق كل مهية ممكنة لا محذور في خلقها، وإلاّ لزم العجز أو الجهل أو الخبث تعالى عن ذلك علواً كبيراً[١٣٢].

نعم، ما في ذاته محذور عدم القابلية كخلق المتناقضين مثل أن يخلق شيئاً واحداً نملةً وفيلاً، أو زوجاً وفرداً، أو وجوداً وعدماً، أو ما هو خلاف المصلحة، لا يكون الأول للاستحالة الذاتية والثاني للاستحالة العرضية، إذ القبيح محال على الحكيم تعالى.

مجالات ستة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ثم إن القرآن الحكيم ذكر الأسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١٣٣]، وفي كلام علي عليه السلام: «فتأسى متأسٍّ بنبيه وإلاّ فلا يأمن الهلكة»[١٣٤]، وفي الزيارات قد ورد التأسي بالأئمة عليهم السلام حجج الله تعالى..

هذا فيما لم يكن من مناصبهم ومختصاتهم.

والظاهر أنه صلى الله عليه وآله وسلم تتوفر لديه وفي حيطته أمور ستة:

١. الأحكام الأولية: قولاً أو فعلاً أو تقريراً، كوجوب الصلاة وحرمة الخمر إلى سائر الأحكام التكليفية والوضعية، والمراد بها أعم مما ذكر، ومن مثل الصيام في الحضر والإفطار في السفر، فإن الثاني وإن كان ربما يقال لـه الحكم الثانوي باعتبار أن التشريع أولاً وبالذات هو الصيام، إلاّ أنه أيضاً حكم أولي

---

(١٣١) أي الله سبحانه وتعالى.
(١٣٢) في مطاوي الكتاب أجوبة أخرى عديدة عن ذلك فليراجع.
(١٣٣) وهي قوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً] ـ سورة الأحزاب: ٢١ ـ.
(١٣٤) نهج البلاغة: الخطب ١٦٠ ومن خطبة له عليه السلام. خبر يريد به الطلب.

باعتبار أن المكلف مخير بينهما، فهما موضوعان عرضيان.

٢. الأحكام الثانوية: وهي الطولية، مثل أحكام الاضطرار ونحوها، والرسول ﷺ أسوة فيهما، كل في مورده، فقد اضطر الرسول ﷺ إلى الدخول إلى مكة بقوة السلاح، وإلى الصلاة جالساً في مرضه وهذا من مختصاته، كما أنه ﷺ لم يعمل حسب «ما لا يعلمون»[١٣٥]، وما «أخطأوا»، و«ما سهوا»، و«ما نسوا»؛ لأنه ﷺ منزه عنها.

أما إنه هل عَمِلَ حَسَب «ما أُكرهوا» بنفسه الشريفة ﷺ؟

فلم أجده.

والعامة يقولون: بالسهو والنسيان فيه ﷺ لكن إجماع الشيعة على خلاف ذلك، وكذلك العقل والنقل.

٣. الأمور العامة: كشرائه ﷺ ناقة، أو زواجه ﷺ من ثيّب عمرها كذا، وأكله ﷺ وشربه كذا، فإنه لا يلزم الإقتداء به ﷺ هاهنا بحيث إن التارك لا يأمن الهلكة.

نعم، إن عمله ﷺ يدل على الجواز، وقول بعض العامة القائلين باللزوم ـ ولذا قال بوجوب البول في المزبلة ولو في السنة مرة ـ باطل البناء والمبنى، ولذا لا يقولون بمثل ذلك في ما نسبوا إليه من حمله زوجته ونظرها إلى الطبالين[١٣٦]، وهذا أيضاً باطل عندنا مفترىً عليه ﷺ.

---

(١٣٥) الكافي: ج٢ ص٤٦٣ باب ما رفع عن الأمة ح٢.
(١٣٦) راجع سنن النسائي:ج٣ ص١٩٥ ضرب الدف يوم العيد، السنن الكبرى للنسائي: ج١ ص٥٥٣ اللعب في المسجد يوم العيد ح١٧٩٨، وغيرهما من كتب العامة.

٤. الحكوميات: التي هي عبارة عن تطبيقه ﷺ كبرى المصلحة على صغرى خارجية في شؤون الناس، كنصب أسامة أميراً، أو فلاناً والياً على البحرين، أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يجب على علي عليه السلام في زمان حكومته أن يفعل ذلك بعينه، وإن فرض أن المنصوب بقي على العدالة.

٥. التصرفات الولائية بالمعنى الأعم: فإنها وإن كانت جائزة لـه ﷺ خلافة عن الله سبحانه إلاّ أنا لم نجد أنه ﷺ عمل بها، كجعل حر عبداً أو عكسه، أو إبطال زواج أو جعله، أو إبطال ملك أو عكسه، إلى ما أشبه ذلك.

وروي تهديد علي عليه السلام [١٣٧]جعل الأحرار عبيداً في قصة طغيان الفرات[١٣٨]، كما لم نجد مثل هذا التصرف عن الأئمة (عليهم الصلاة والسلام).

وما ذكره بعضهم من قصة سمرة[١٣٩] وأن القلع كان بالولاية محل نظر، بل هو جائز حتى للفقيه حيث يلجؤه الأمر إلى ذلك، كما بيناه في (الأصول) فإنه حكم قضائي في أمثال هذا التنازع.

٦. الاختصاصات: كزواجه ﷺ أكثر من أربع، وغيره مما ذكره الشرائع[١٤٠] والجواهر[١٤١] وغيرهما في باب النكاح، وهي خاصة به ﷺ وإن كان ربما يوجد نحو منه في بعض المعصومين عليهم السلام مثل:

حرمة زواج علي عليه السلام امرأة مادامت فاطمة (سلام الله عليها) في بيته مما يكون من مختصات فاطمة (سلام الله عليها)..

---

(١٣٧) مجرد تهديد دون تطبيق.
(١٣٨) راجع اليقين، للسيد ابن طاووس: ص٤١٦-٤١٨ ب١٥٥.
(١٣٩) راجع الكافي: ج٥ ص٢٩٢ باب الضرار ح٢.
(١٤٠) راجع شرائع الإسلام: ج٢ ص٤٩٧ في خصائص النبي ﷺ.
(١٤١) راجع جواهر الكلام: ج٢٩ ص١١٩ في خصائص النبي ﷺ.

وحرمة أن يخاطب غير علي عليه السلام بإمرة المؤمنين مما كان من خصائصه..

وما يظهر من اختصاص بعض الأحكام بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كما يظهر من بعض الأخبار.

شمولية علمهم وقدراتهم عليهم السلام

ثم إنهم عليهم السلام ومنهم فاطمة (صلوات الله عليها) يحيطون علماً وقدرةً ـ بإذن الله تعالى ـ بالكائنات جميعاً إلاّ ما استثني[١٤٢]..

وقد تقدم في الزيارة الرجبية ما يدل على ذلك، كما في جملة من الأحاديث: «يعلمون ما كان وما يكون وما هو كائن»[١٤٣].

فإنه ليس بمحال عقلاً، ويشبه ذلك في الماديات الهواء والحرارة والجاذبية وغيرها، كما أن عزرائيل عليه السلام يحيط علماً وقدرةً في بُعْد الإماتة بكل إنسان، بل بالملائكة أيضاً ـ كما ورد في الأحاديث ـ

وقد قال الله سبحانه في إبراهيم عليه السلام: ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماواتِ والأرضِ**﴾[١٤٤].

وفي يعقوب عليه السلام: [**ولما فصلتِ العيرُ قال أبوهم إني لأجِدُ رِيحَ يوسف**][١٤٥].

وهم عليهم السلام أفضل من الملائكة والأنبياء عليهم السلام كما دلت على ذلك النصوص وإجماعنا، وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

وفي رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى: [**إنا أرسلناك شاهِدا ومبشرا**

---

(١٤٢) كالاسم الأعظم الثالث والسبعين مثلاً على رواية.
(١٤٣) راجع الكافي: ج١ ص٢٦٠ باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء (صلوات الله عليهم).
(١٤٤) سورة الأنعام:٧٥.
(١٤٥) سورة يوسف: ٩٤.

ونذيرا ۞ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا[١٤٦] فإطلاق الشاهد[١٤٧] وقرينية إطلاق الصفات الأخرى يدل على العموم، ومن المعلوم أن الشاهد لا يكون إلاّ من حضر.

وقال سبحانه: **[وجئنا بك على هؤلاء شهيدا]**[١٤٨].

ويؤيده قولـه تعالى بعد ذلك: **[يومئذٍ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا]**[١٤٩].

وفي الروايات: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات»[١٥٠]، فإذا كان لبني آدم هذه القدرة ـ لولا المنع ـ فأهل البيت عليهم السلام أولى.

وتقول في تشهد الصلاة: «السلام عليك أيها النبي» وفيه ظهور الحضور.

وفي الحديث: «نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»[١٥١]، حيث إن جماعة اتخذوهم عليهم السلام آلهة فنهوا عن ذلك، أما بَعد الألوهية ففيهم عليهم السلام كل خير، والتي منها عموم العلم والقدرة، وفي جملة من زيارات الحسين عليه السلام، كما في بعض فقرات (الزيارة الجامعة) دلالة على ذلك.

وما ورد من إبلاغ المَلَك السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينافي ما تقدم، فهو

---

(١٤٦) سورة الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.
(١٤٧) وحذف المتعلق يفيد العموم.
(١٤٨) سورة النساء:٤١.
(١٤٩) سورة النساء: ٤٢.
(١٥٠) بحار الأنوار: ج٥٦ ص١٦٣ ب٢٣.
(١٥١) راجع بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٤٧ ب١٠ ضمن ح٢٥. وفيه: قد ورد في أخبار كثيرة:
«لاتقولوا فينا رباً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا».

كإبلاغ الملَك صحيفة الأعمال إليه سبحانه، وسؤالهم عليهم السلام عن أشياء كسؤال الله في قولـه تعالى: [وَما تِلكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى][١٥٢] إلى غير ذلك، مما لا يخفى على من راجع الروايات المتواترة.

بين العلم الغيبي والسلوك العملي

ثم الظاهر أن علمهم عليهم السلام الغيبي لا يؤثر في سلوكهم العملي:

فالحسن عليه السلام يشرب السم مع أنه لم يكن مجبوراً..

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم مضغ اللحم المسموم الذي أثر فيه، وأخيراً انتهى إلى الموت.

وعلي عليه السلام كان يعلم بوقت موته، ومع ذلك خرج إلى المسجد مع إمكانه أن يستنيب في صلاة الجماعة ذلك اليوم، أو يستصحب معه حراساً، أو يسجن ابن ملجم، أو يخرجه من المسجد، أو يجعل عليه حراساً، أو ما أشبه ذلك.

أما القول بأنهم عليهم السلام لا يعلمون عند نزول الموت، أو أنهم مضطرون كما في دس هارون والمأمون السمّ إلى الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام أو ما أشبه ذلك من الأجوبة، فليست بمقنعة وخلاف ظاهر الأدلة.

بل لو كان العلم الغيبي يؤثر لما بكى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لفقد ولده إبراهيم، ولما بكى الحسين عليه السلام لفقد أولاده وأصحابه، مع أنهم عليهم السلام يعلمون بل ويرون انتقالهم إلى جنات النعيم، هل يبكي أحدنا لذهاب ولده إلى مكان حسن جداً وهو يراه عين اليقين؟ بل لم يكن يعقوب عليه السلام يبكي من فراق يوسف عليه السلام وهو يعلم أنه حي وسيرجع إليه بعد مدة ملكاً.

لا يقال: حتى على فرض موت يوسف عليه السلام فلماذا هذا البكاء من يعقوب

---

(١٥٢) سورة طه: ١٧.

عليه السلام حتى ابيضت عيناه وخيف عليه أن يكون حَرضاً أو يكون من الهالكين؟.

لأنه يقال: كما أن العيون والشمس منبع الماء والنور، كذلك جعل الله سبحانه للمعنويات منابع، فيعقوب عليه السلام منبع العاطفة ليتأس الناس به ويستمدونها منه، ولولا ذلك لم يكن لهم ما يتأسون به.

فعلمهم الغيبي (صلوات الله عليهم أجمعين) لا يؤثر في عواطفهم الإنسانية كي يكونوا أسوة، وإلاّ لقال الناس أن علياً عليه السلام كان يخوض الحروب لعلمه بأنه لايُقتل ونحن لا نعلم ذلك.

بل ميثم التمار جاء إلى الكوفة وقد كان يتمكن من الفرار من مكة إلى موضع لا يصله سلطان ابن زياد، إلى غيرها من الأمثلة الكثيرة.

وكذلك حال القدرة الغيبية، إذ لا يستعملونها إلاّ حال الإعجاز، فلقد كانوا قادرين على رفع الضيق عنهم وعن المؤمنين، فهم عليهم السلام ـ ولا مناقشة في المثال ـ كوكيل الإنسان الغني لا يتصرف في أمواله إلاّ بإذن الموكّل وإن كان قادراً على التصرف، والله سبحانه العالم.

الأحكام المستفادة

وقد أشرنا أن إلى الأحكام التي ذكرت في الكتاب[١٥٣] مما يستفاد من كلماتها عليها السلام إنما ذكرناها بإيجاز، دون التطرق لمختلف الأدلة والأقوال وشبه ذلك، وإلاّ فالتفصيل يحتاج إلى مجلدات ضخمة، حسب قولهم عليهم السلام: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»[١٥٤] ولعلّ الله سبحانه يوفّق بعض مواليها عليها السلام من الفقهاء كي يتشرف بتفصيل ذلك، وهو المستعان.

ولا يخفى أن الأحكام التي استفدناها قد تستخرج استناداً إلى الدلالة المطابقية أو التضمنية أو الالتزامية، وقد يتم استخراجها استناداً إلى دلالة الاقتضاء[١٥٥]، وربما الدلالة العرفية أيضاً، وإن لم تكن من الأربع المذكورة. وربما

---

(١٥٣) أي في هذا الكتاب، وهو (من فقه الزهراء عليها السلام).

(١٥٤) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٦١-٦٢ ب٦ ح٣٣٢٠١، وفيه: «إنما علينا أن نلقي عليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا».

(١٥٥) ما يتوقف صحة أو صدق الكلام عليه وذلك نظير: [وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ] ـ سورة يوسف: ٨٢ ـ وكذا استكشاف أمير المؤمنين علي عليه السلام لأدنى مدة الحمل من ضم قوله تعالى: [وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً] ـ سورة الأحقاف: ١٥ـ إلى قوله تعالى: [وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ] ـ سورة البقرة: ٢٣٣ ـ ومن ذلك: إلغاء الخصوصية حيث يكتشف بذلك أن ما ذكر إنما كان بعنوان المصداق وكصغرى لكبرى كلية للقطع أو الإطمينان بالملاك، وقد تكون الاستفادة والاستنباط مستندة إلى (مبنى) الكلام، أو إلى مقدمات مطوية أو شرائط أو موانع كذلك، وإذا لاحظنا عصمتها عليها السلام وإحاطتها العلمية ظهر بوضوح أن كلامها بشتى دلالاته حجة، فلو توقف صحة الكلام أو صدقه مثلاً على مقدمة مطوية وإن كانت بعيدة، كان ذلك دليلاً على حجيتها وصدقها وأمكن الاستناد إليها كذلك. ◄

►والقارئ الكريم سيرى إن المؤلف دام عزه قام بملاحظة شتى الجهات السابقة الذكر وربما يكون من ذلك أيضاً: استكشاف الإنشاء من الأخبار وبالعكس عبر بعض الدلالات السابقة.

كان الحكم أو العلم به منشأ لتعليل أو توضيح بعض كلماتها عليها السلام[١٥٦].

وقد استطردنا أحياناً إلى ذكر بعض الأمور الأُخَر، بالإضافة إلى الاعتقاديات وفلسفة الأحكام والأحكام الخمسة.

وهذا الكتاب يتطرق غالباً للحديث عما يستنبط من أقوالها عليها السلام، أما فعلها وتقريرها: فبحاجة إلى كتاب ضخم ويكفي أن نشير هنا إشارة عابرة إلى بعض النماذج من فعلها وسيرتها عليها السلام.

دروس من سيرتها عليها السلام

ففي سيرة وحياة الزهراء عليها السلام مواضع كثيرة للتعلّم، إذا تعلمها المسلمون بل البشرية سعدوا في الدنيا قبل الآخرة وأسعدوا الآخرين.

نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

زواجها الميمون، حيث زوّجها الرسول صلى الله عليه وآله في أول بلوغها عليها السلام[١٥٧].

وكذلك إذا زُوّجت البنات في أوائل البلوغ سعدن، وانقطعت إلى حد بعيد جذور الفساد في المجتمع، إذ معنى زواجهنّ في ذلك السن زواج الأولاد الذكور أيضاً في سن البلوغ، فلا ترغب النفس أو تهم بالحرام.

وقد رأينا جملة من العشائر في البلاد الإسلامية تجري على ذلك، وبذلك تشذ الجريمة وتتضاءل أرقامها إلى ما يقارب الصفر، بخلاف ما لو لم يتبع هذا المنهج حيث تتصاعد تصاعداً كبيراً، وذلك يؤدي إلى الأمراض والعُقَد النفسية

---

(١٥٦) اللف والنشر مرتب كما لا يخفى.

(١٥٧) راجع عوالم العلوم: ج١١ ص٢٨٧ ب٣ ح٢ الطبعة٢، تحقيق مؤسسة الأمام المهدي عليه السلام.

والتوترات العصبية وهدم العوائل وكثرة المشاكل.. إلى غيرها.

كما أن في الجهاز البسيط لزواجها (صلوات الله عليها) أكبر الدرس لتخفيف المهور والقناعة بالميسور، وقد قال ﷺ: «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً[١٥٨] وأقلهن مهراً»[١٥٩].

وقال ﷺ: «القناعة مال لا ينفد»[١٦٠].

وعن علي عليه السلام: «لا كنز أغنى من القناعة»[١٦١].

وذلك من أسرار السعادة وتحرّك الشباب بشكل أكثر جدية نحو الأمام، فإن الزوجين يتعاونان على التقدم في الحياة ـ بعد الزواج ـ إلى الأمام، وربما يكون ذلك مما يوضح بعض السر في قوله تعالى: **[إِن يَكونوا فقراءَ يغنِهِمُ اللهُ مِن فضلِهِ]**[١٦٢] بينما غلاء المهور وتعقيد مقدمات وبرامج الزواج وزيادة التشريفات يوجب التأخير في الزواج، أو يؤدي بالكثير إلى البقاء عزاباً وعوانس مدى الحياة بما يستلزم ذلك من أضرار وأخطار.

وكذلك إدارتها (صلوات الله عليها) لشؤون البيت، حيث فُوِّضت إليها الأمور الداخلية، والخارجية إلى علي عليه السلام [١٦٣]؛ فإنها توجب الراحة النفسية والصحة الجسدية، إذ إن الأعمال الشاقة ـ وإن كانت مقرونة بالتعب والنصب ـ توجب

---

(١٥٨) قد يكون المراد بالصباحة ها هنا: الطلاقة والإشراق لا الجمال، والوجه يكتسي بالصباحة والإشراق بتأثير الحالة المعنوية والروحية والأخلاقية للإنسان، قال في (مجمع البحرين): «وقد صَبُحَ الوجه صباحة: أشرق وأنار»، وقال في (لسان العرب): «الصبيح: الوضيء الوجه».

(١٥٩) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠٤ ب٣٤ ح٢٤.

(١٦٠) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص٢٢٦ ب٩ ح١٨٠٧٢.

(١٦١) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٣٧١.

(١٦٢) سورة النور: ٣٢.

(١٦٣) راجع مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٤٨ ب١٧ ح١٤٧٠٥.

الصحة والسلامة، بينما الراحة والدعة تؤديان إلى مختلف الأمراض.

ومما يؤيد هذا المعنى هو أن التاريخ ـ حسب الاستقراء الناقص ـ لم يسجل لها (صلوات الله عليها) تمرضاً إلاّ مرة واحدة[١٦٤].

أما مرضها الأخير فهو وليد الصدمة التي تعرضت لها بين الحائط والباب والتي انتهت إلى شهادتها ووفاتها (صلوات الله عليها).

ولعلّه لأجل تعليم الأمة على الكدح والعمل لم يمنحها الرسول ﷺ خادمةً عندما طلبت منه ذلك، مع أنه ﷺ الكريم الرؤوف، وذلك حتى تكون عليها السلام أسوة في العمل بنفسها لنساء المسلمين، وربما كان طلبها عليها السلام وعدم تلبيته ﷺ بمجمله تعليماً[١٦٥].

أما حصولها عليها السلام على فضة[١٦٦] فهو مما دعت إليه الضرورة، حيث تراكمت عليها الأعمال اليدوية الشاقة من الطحن والخبز والغسل وغير ذلك، بالإضافة إلى أطفالها الصغار وضرورة الاهتمام بشؤونهم، إلى جانب أن النساء كن يرجعن إليها في كثير من شؤونهن ومسائلهن[١٦٧]، ثم نجد بعد حصولها على فضة أن النبي ﷺ قد قسم العمل بينهما، يوماً لها ويوماً لفضة كما في

---

(١٦٤) راجع بحار الأنوار: ج٤٣ ص٧٧-٧٨ ب٣ ح٦٤، وفيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن فاطمة عليها السلام بنت محمد ﷺ وجدت علة فجاءها رسول الله ﷺ عائدا فجلس عندها وسألها عن حالها... الحديث.

(١٦٥) راجع من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٣٢٠-٣٢١ باب وصف الصلاة من فاتحتها إلى خاتمتها ح٩٤٧.

(١٦٦) خادمتها المعروفة، وقد أهديت إلى النبي ﷺ وأهداها إلى الصديقة فاطمة عليها السلام.

(١٦٧) راجع مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣١٧ ب١١ ح٢١٤٦٠.

النص[١٦٨] وهذا أيضاً بالإضافة إلى كونه تعليماً للأُمة على مشاطرة من هم أدنى منزلة في الهموم والمهام، يتضمن تأكيداً للالتزام بالعمل والكد والكدح رغم وجود البديل.

والجدير بالذكر أن فضة عليها السلام كانت متزوجة ذات أسرة، وقد يظهر هذا من خبر قراءتها للقرآن في سفرة الحج وتلقي أولادها لها في المنزل[١٦٩]، كما هو شأن الإسلام حيث لا يدع بنتاً بلا زواج، حتى قال سلمان المحمدي رحمه الله وهو حاكم في المدائن عندما تزوج امرأة هناك فوجد عندها بنتاً ـ من زوجها السابق ـ غير متزوجة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ـ ما مضمونه ـ: لو لم تزوج البنت في الدار فزنت كان عقاب الزنا على أهل الدار[١٧٠].

أما طحنها عليها السلام وعجنها وخبزها وطبخها وغزلها وغسل الملابس ورعاية الأولاد، وقيامها عليها السلام بإنجاز العشرات من الحاجات البيتية بنفسها (صلوات الله عليها) أو بمساعدة فضة، ففي كل ذلك تعليم لكيفية سلوك الزوجة في الحياة الزوجية.

ولو راج مثل ذلك في بيوتنا فهل بعد ذلك كنا نحتاج إلى استيراد كل شيء

---

(١٦٨) راجع الخرائج والجرائح: ج٢ ص٥٣٠-٥٣١ ب١٤ فصل في ذكر أعلام فاطمة البتول عليها السلام.

(١٦٩) راجع المناقب: ج٣ ص٣٤٣-٣٤٤ فصل في سيرتها عليها السلام.

(١٧٠) راجع بحار الأنوار: ج٢٢ ص٣٨٣ ب١١ ح١٩. وفيه: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تزوج سلمان امرأة من كندة، فدخل عليها فإذا لها خادمة وعلى بابها عباءة، فقال سلمان: إن في بيتكم هذا لمريضا أو قد تحولت الكعبة فيه، فقيل: إن المرأة أرادت أن تستر على نفسها فيه، قال فما هذه الجارية؟ قالوا: كان لها شيء فأرادت أن تخدم، قال: إني سمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أيما رجل كانت عنده جارية فلم يأتها أو لم يزوجها من يأتيها ثم فجرت كان عليه وزر مثلها، ومن أقرض قرضا فكأنما تصدق بشطره، فإذا أقرضه الثانية كان برأس المال وأداء الحق إلى صاحبه أن يأتيه في بيته أو في رحله فيقول ها خذه».

من الغرب والشرق حتى اللحم وغيره من الأوليات والضروريات؟.

كما أن قولها (سلام الله عليها) لعلي عليه السلام: «ما عهدتني كاذبة ولا خائنة»[١٧١] تعليم لكيفية سلوك الزوجات مع الأزواج، وإلاّ فعلي عليه السلام كان يعلم ذلك.

وهكذا نجد في عدم دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم دارها لما رأى ستراً على الباب[١٧٢] تعليماً آخر لنا، ولعلّ الزهراء عليها السلام تعمدت وضع الستر حتى تكون مدعاة للتعليم؛ كي لا ترفل النساء في النعيم، بينما كثير من الناس يعانون شظف العيش، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع»[١٧٣].

إلى غير ذلك من النقاط المشرقة في سيرتها عليها السلام الوضاءة، وكلها عِبَر وبرامج تربوية ومناهج للسعادة الدنيوية والأخروية.

---

(١٧١) روضة الواعظين: ص١٨١ مجلس في ذكر وفاة فاطمة عليها السلام.
(١٧٢) راجع الأمالي للصدوق: ص٢٣٤ المجلس٤١ ح٧.
(١٧٣) الكافي: ج٢ ص٦٦٨ باب حق الجوار ح١٤.

وفي الختام

وفي الختام نشير إلى أننا قد قسمنا الكتاب إلى ثلاثة فصول[١٧٤]:

الأول: أحكام مستفادة من حديث الكساء.

الثاني: أحكام مستفادة من الخطبة الشريفة[١٧٥].

الثالث: أحكام مستفادة من سائر ما روي عنها عليها السلام.

والله المسؤول أن يقرنه برضاه، وأن ينفع به إنه قريب مجيب..

والحمد لله أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً.

محمد الشيرازي

قم المقدسة

١٤١٤ هـ

(١٧٤) قام الإمام المؤلف قدس سره بتأليف هذا الكتاب في شهرين ونصف، هما جمادى الثانية ثم رمضان المبارك وقسم من شوال من عام ١٤١٤ هـ، علماً بأن فهرس بعض الأحكام المستفادة من حديث الكساء كان قد كتبها من قبل.

(١٧٥) أي خطبة الصديقة الطاهرة عليها السلام في المسجد، ويليها بعد ذلك خطبة الدار التي تحدثت بها على نساء المهاجرين والأنصار عندما جئن لعيادتها (صلوات الله عليها).

الفصل الأول

أحكام مستفادة من حديث الكساء

متن حديث الكساء

عَنْ جَابر بن عَبْدِ اللهِ الأنْصَاري، عَنْ فَاطِمَةَ الزَّهراءِ عليها السلام بِنتِ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: سَمِعْتُ فاطِمَةَ عليها السلام أَنِّها قالَت:

«دَخَلَ عَلَيَّ أبي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي بَعضِ الأيَّامِ. فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيكِ يا فاطِمَةُ.

فَقُلتُ: عَلَيكَ السَّلامُ.

قالَ: إنّي أَجِدُ فِي بَدَني ضُعفاً.

فَقُلتُ لـه: أُعِيذُكَ باللهِ يا أَبَتاهُ مِنَ الضُّعفِ.

فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، إيتيني بِالكِساءِ اليَمانِيِّ فَغَطّيني بِهِ.

فَأَتَيتُهُ بِالكِساءِ اليَمانِيِّ فَغَطّيتُهُ بِهِ، وَصِرتُ أَنظُرُ إِلَيهِ وَإِذا وَجهُهُ يَتَلألأُ كَأَنَّهُ البَدرُ فِي لَيلَةِ تمامِهِ وَكَمالِهِ.

فَما كَانَت إِلاَّ ساعَةً وإذا بوَلَدِيَ الحَسَنِ عليه السلام قَد أَقبَلَ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيكِ

يا أُمّاهُ.

فَقُلتُ: وَعَلَيكَ السَّلامُ يا قُرَّةَ عَيني وَثَمَرَةَ فُؤادِي.

فَقالَ: يَا أُمّاهُ، إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ جَدِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

فَقُلتُ: نَعَم، إِنَّ جَدَّكَ تَحتَ الكِساءِ.

فَأَقبَلَ الحَسَنُ عليه السلام نَحوَ الكِساءِ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيكَ يا جَدَّاهُ يا رَسُولَ اللهِ، أَتَأذَنُ لي أَن أَدخُلَ مَعَكَ تَحتَ الكِساءِ؟.

فَقالَ: وَعَلَيكَ السَّلامُ يا وَلَدِي وَيا صَاحِبَ حَوضِي قَد أَذِنتُ لَكَ.

فَدَخَلَ مَعَهُ تَحتَ الكِساءِ..

فَما كانَت إِلاَّ سَاعَةً وَإِذا بِوَلَدِيَ الحُسَينِ عليه السلام قَدْ أَقبَلَ وَقال: السَّلامُ عَلَيكِ يا أُمّاهُ.

فَقُلتُ: وَعَلَيكَ السَّلامُ يا قُرَّةَ عَيني وَثَمَرَةَ فُؤادِي.

فَقالَ لِي: يا أُمّاهُ، إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ جَدِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟.

فَقُلتُ: نَعَم، إِنَّ جَدَّكَ وَأَخاكَ تَحتَ الكِساءِ.

فَدَنَا الحُسَينُ عليه السلام نحوَ الكِساءِ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيكَ يا جَدَّاهُ، السَّلامُ عَلَيكَ يا مَنِ اختارَهُ اللهُ، أَتَأذَنُ لي أَن أَكونَ مَعَكُما تَحتَ الكِساءِ؟.

فَقالَ: وَعَلَيكَ السَّلامُ يا وَلَدِي وَيا شافِعِ أُمَّتِي قَد أَذِنتُ لَكَ.

فَدَخَلَ مَعَهُما تَحتَ الكِساء..

فَأَقبَلَ عِندَ ذلِكَ أَبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ عليه السلام وَقال: السَّلامُ عَلَيكِ يا بِنتَ رَسُولِ اللهِ.

فَقُلتُ: وَعَلَيكَ السَّلامُ يا أَبَا الحَسَن وَيا أَمِيرَ المُؤمِنينَ.

فَقالَ: يا فاطِمَةُ، إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ أَخي وَابنِ عَمّي رَسُولِ اللهِ؟.

فَقُلتُ: نَعَم، هَا هُوَ مَعَ وَلَدَيكَ تَحتَ الكِساءِ.

فَأَقبَلَ عَلِيٌّ عليه السلام نَحوَ الكِساءِ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُولَ اللهِ، أَتَأذَنُ لي أَن أَكُونَ مَعَكُم تَحتَ الكِساءِ؟.

قالَ لـه: وَعَلَيكَ السَّلامُ يا أَخِي وَيا وَصِيّي وَخَلِيفَتِي وَصاحِبَ لِوائِي قَد أَذِنتُ لَكَ.

فَدَخَلَ عَلِيٌّ عليه السلام تَحتَ الكِساءِ..

ثُمَّ أَتَيتُ نَحوَ الكِساءِ وَقُلتُ: السَّلامُ عَلَيكَ يا أَبَتاهُ يا رَسُولَ الله، أَتأذَنُ لي أَن أَكونَ مَعَكُم تَحتَ الكِساءِ؟.

قالَ: وَعَليكِ السَّلامُ يا بِنتِي وَيا بَضعَتِي قَد أَذِنتُ لَكِ.

فَدَخَلتُ تَحتَ الكِساءِ..

فَلَـمَّا اكتَمَلنا جَمِيعاً تَحتَ الكِساءِ أَخَذَ أَبي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِطَرَفَي الكِساءِ وَأَومَأَ بِيَدِهِ اليُمنى إِلَى السَّماءِ وقالَ:

اللّهُمَّ إِنَّ هؤُلاءِ أَهلُ بَيتِي، وَخَاصَّتِي وَحَامَّتِي، لَحمُهُم لَحمِي وَدَمُهُم دَمِي، يُؤلِمُنِي ما يُؤلِمُهُم، ويَحزُنُني ما يُحزِنُهُم، أَنَا حَربٌ لِـمَن حارَبَهُم، وَسِلمٌ لِـمَن سالَـمَهُم، وَعَدوٌّ لِـمَن عاداهُم، وَمُحِبٌّ لِـمَن أَحَبَّهُم، إِنَّهُم مِنّي وَأَنا مِنهُم، فَاجعَل صَلَواتِكَ وَبَرَكاتِكَ، وَرَحمَتَكَ وغُفرانَكَ، وَرِضوانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيهِم، وَأَذهِب عَنهُمْ الرِّجسَ وَطَهِّرهُم تَطهِيراً.

فَقالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا مَلائِكَتِي وَيا سُكَّانَ سَماواتي، إِنّي ما خَلَقتُ سَماءً

مَبنَّيةً، وَلاَ أرضاً مَدحيَّةً، وَلاَ قَمَراً مُنيراً، وَلاَ شَمساً مُضيئةً، وَلاَ فَلَكاً يَدُورُ، وَلاَ بَحراً يَجري، وَلاَ فُلكاً يَسري، إلاَّ في مَحَبَّةِ هؤُلاءِ الخَمسَةِ الَّذينَ هُم تَحتَ الكِساءِ.

فَقالَ الأَمِينُ جِبرائِيلُ: يا رَبِّ، وَمَنْ تَحتَ الكِساءِ؟.

فَقالَ عَزَّوَجَلَّ: هُم أَهلُ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَعدِنُ الرِّسالَةِ، هُم فاطِمَةُ وَأَبُوها، وَبَعلُها وَبَنوها.

فَقالَ جِبرائِيلُ: يا رَبِّ، أَتَأذَنُ لي أَن أَهبِطَ إلَى الأَرضِ لأكُونَ مَعَهُم سادِساً؟.

فَقالَ اللهُ: نَعَم، قَد أَذِنتُ لَكَ.

فَهَبَطَ الأَمِينُ جِبرائِيلُ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُولَ اللهِ، العَلِيُّ الأَعلَى يُقرِئُكَ السَّلام، وَيَخُصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالإِكرَامِ، وَيَقُولُ لَكَ:

وَعِزَّتي وَجَلالي إنّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنيَّةً، ولاَ أَرضاً مَدحِيَّةً، وَلاَ قَمَراً مُنِيراً، وَلاَ شَمساً مُضِيئَةً، ولاَ فَلَكاً يَدُورُ، ولاَ بَحراً يَجري، وَلاَ فُلكاً يَسري، إلاَّ لأَجلِكُم وَمَحَبَّتِكُم، وَقَد أَذِنَ لِي أَن أَدخُلَ مَعَكُم، فَهَل تَأذَنُ لِي يا رَسُول اللهِ؟.

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَعَلَيكَ السَّلامُ يَا أَمِينَ وَحيِ اللهِ، إنَّهُ نَعَم قَد أَذِنتُ لَكَ.

فَدَخَلَ جِبرائِيلُ مَعَنا تَحتَ الكِساءِ، فَقالَ لأبي: إنَّ اللهَ قَد أَوحى إلَيكُم يَقولُ:

[إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا][١٧٦].

---

[١٧٦] سورة الأحزاب: ٣٣.

فَقالَ عَلِيٌّ عليه السلام لأَبِي: يا رَسُولَ اللهِ، أَخبِرنِي مَا لِجُلُوسِنا هَذَا تَحتَ الكِساءِ مِنَ الفَضلِ عِندَ اللهِ؟.

فَقالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: وَالَّذي بَعَثَنِي بِالحَقِّ نَبِيّاً وَاصطَفانِي بِالرِّسالَةِ نَجِيّاً، ما ذُكِرَ خَبَرُنا هذا فِي مَحفِلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الأَرَضِ وَفِيهِ جَمعٌ مِن شِيعَتِنا وَمُحِبِّينا إِلاَّ وَنَزَلَت عَلَيهِمُ الرَّحمَةُ، وَحَفَّت بِهِمُ الـمَلائِكَةُ وَاستَغفَرَتلـهم إِلى أَن يَتَفَرَّقُوا.

فَقالَ عَلِيٌّ عليه السلام: إِذاً وَاللهِ فُزنا وَفازَ شِيعَتُنا وَرَبِّ الكَعبَةِ.

فَقالَ أَبي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: يَا عَلِيُّ، وَالَّذي بَعَثَنِي بِالحَقِّ نَبِيّاً وَاصطَفاني بِالرِّسالَةِ نَجِيّاً، ما ذُكِرَ خَبَرُنا هذا فِي مَحفِلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الأَرضِ وَفِيهِ جَمعٌ مِن شِيعَتِنا وَمُحِبّينا وَفِيهِم مَهمُومٌ إِلاَّ وَفَرَّجَ اللهُ هَمَّهُ، وَلاَ مَغمُومٌ إِلاَّ وَكَشَفَ اللهُ غَمَّهُ، وَلاَ طالِبُ حاجَةٍ إِلاَّ وَقَضى اللهُ حاجَتَهُ.

فَقالَ عَلِيٌّ عليه السلام: إِذاً وَاللهِ فُزنا وَسُعِدنا، وَكَذلِكَ شِيعَتُنا فَازوا وَسُعِدوا في الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَرَبِّ الكَعبَةِ».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وبعد: فقد روى والدي (رحمه الله تعالى) حديث الكساء في مجموعة لـه، بسند صحيح إلى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، كما رواه غيره[١٧٧]:

---

[١٧٧] وإليك نص حديث الكساء سنداً ـ على ما في (عوالم العلوم والمعارف والأحوال)، تحقيق وطبع مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) قم ـ:
رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم، عن شيخه السيد ماجد البحراني، عن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن شيخه المقدس الأردبيلي، عن شيخه علي بن عبد العالي الكركي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلي، عن الشيخ علي بن الخازن الحائري، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول، عن أبيه، عن فخر المحققين، عن شيخه العلامة الحلي، عن شيخه المحقق، عن شيخه ابن نما الحلي، عن شيخه محمد بن إدريس الحلي، عن ابن حمزة الطوسي صاحب (ثاقب المناقب)، عن شيخه الجليل الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي، عن الشيخ الجليل محمد بن شهر آشوب، عن الطبرسي صاحب (الاحتجاج)، عن أبيه شيخ الطائفة، عن شيخه المفيد، عن شيخه ابن قولويه القمي، عن شيخه الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب البكري، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...
وهذا السند في منتهى الجلالة ورجاله من كبار ومشاهير العلماء، أما القاسم بن يحيى فالصحيح عندنا تبعاً لجمع منهم صاحب (الجواهر) و(العديد) وغيره، اعتباره إذ هو من شيوخ البزنطي، والبزنطي صح أنه لا يروي إلاّ عن ثقة، وأما جابر ففيه قولان، وقد اعتبره جمع وهو الأصح.
وقد نقل متن حديث الكساء أيضاً العلامة الثقة فخر الدين الطريحي الأسدي صاحب (مجمع البحرين) في كتاب (المنتخب الكبير)، وكذلك نقل ما يقرب من نصفه الديلمي صاحب◄ ► (الإرشاد) في (الغرر والدرر)، وكذلك نقله كله الحسين العلوي الدمشقي الحنفي، وكذلك آخرون، وهو من الإشتهار بحيث يغني عن تتبع السند، وقد سبق في المقدمة وسيأتي في البحث عن سند خطبتها عليها السلام في المسجد ما ينفع في المقام جداً، فليراجع.

استحباب الرواية [١٧٨]

مسألة: تستحب رواية الأحاديث، كما روت (صلوات الله عليها) هذا الحديث لجابر، وكما روى جابر لغيره وقررتها الزهراء عليها السلام بحكايتهالـه، وبلحاظ العلة الغائية لحكايتهالـه[١٧٩].

وهذا وإن لم يكن من التقرير الاصطلاحي لكنه نوع من التقرير بالمعنى الأعم، إذ التقرير عبارة عن: الإقرار لشيء[١٨٠] أو بشيء لفظاً أو قلباً أو إشارةً، فلا فرق بين أن يعمل الإنسان عملاً ويسكت عليه الطرف الآخر، حيث إنه يقرره إذا لم يكن هناك محذور في سكوته، أو أن يقرأ إنسان على إنسان شيئاً آخر فإنه تقرير أيضاً، لكنه ليس تقريراً سكوتياً وإنما تقريراً بالقراءة، فتأمل.

.....

وهناك تقرير ثالث وهو: التقرير العملي، كما إذا جعل الإشارة بالرأس أو باليد أو العين أو ما أشبه، علامةً لشيء، سواء سكت في قبال تلك أو فعل تلك فإنه أيضاً تقرير.

---

[١٧٨] راجع حول هذا المبحث والبحوث اللاحقة: (الفقه: الآداب والسنن) و(الفقه: الواجبات والمحرمات).

[١٧٩] إذ كان الهدف من حكايتهالـه أن ينقل هذا الحديث الشريف للآخرين.

[١٨٠] الإقرار لغة يأتي بمعان: التثبيت والتحقيق والإذعان والتبيين وغير ذلك.

ومن المعلوم إن كل ذلك بالنسبة إلى المعصوم (صلوات الله عليه) دليل على الصحة، بل لا يبعد أن يكون مثل ذلك شهادة أيضاً، فتأمل[١٨١].

مثلاً: لو أن إنساناً شاهد زيداً وهو يسرق أو يقوم بغيرها مما يوجب الحد، لكنه امتنع من إقامة الشهادة عليه عند الحاكم خوفاً من ذلك السارق، فيتفق سراً مع الحاكم أنه إذا سكت أو أشار إشارة حال قراءة الحاكم للدعوى فإنه يكون دليلاً على السرقة أو ما أشبه ذلك.

وهل هذا يجري في الزنا أيضاً؟.

احتمالان، والأقرب العدم؛ لأن مقتضى أن (الحدود تدرأ بالشبهات)[١٨٢] وأشدية الأمر في الزنا لزوم أن يكون بإقراره أربعاً، أو بالشهود الذين يتلفظون بالزنا تلفظاً لا بمثل الإشارة والكتابة، ولا يخفى أنه يجري هذا الوجه في كل الحدود[١٨٣].

---

[١٨١] التأمل قد يكون بلحاظ درء الحدود بالشبهات كما سيأتي.

[١٨٢] راجع وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٤٧ ب٢٤ باب أنه لا يمين في حد وأن الحدود تدرأ بالشبهات.

[١٨٣] راجع (الفقه: القواعد الفقهية) و(الفقه: الحدود والتعزيزات) للإمام الشيرازي رحمه الله.

رواية النساء

مسألة: يستحب للنساء أيضاً رواية الأحاديث[١٨٤]، لأنها (صلوات الله عليها) أسوة، فإنها عليها السلام وإن كانت معصومةً ولها خصائص مثل حرمة زواج علي عليه السلام عليها ما دامت في قيد الحياة، إلاّ أن الظاهر من الأدلة أنهم عليهم السلام أسوة إلاّ فيما خرج بالدليل، وليس المقام من المستثنى.

ويدل على كونها (سلام الله عليها) أسوة:

إنها عليها السلام معصومة نصاً وإجماعاً وعقلاً، والمعصومة لا تفعل إلاّ ما يطابق رضى الله سبحانه، كما ورد في الأحاديث ما يدل على أنها عليها السلام أسوة [١٨٥]، وكذلك حال مريم الطاهرة عليها السلام.

وفي بعض الروايات: إنها (صلوات الله عليها) تعادل علياً عليه السلام [١٨٦]، وفي جملة

.....

من الروايات: إنها (سلام الله عليها) أفضل من غير أبيها صلى الله عليه وآله وسلم [١٨٧]، كما يشهد

---

[١٨٤] قد يذكر الخاص بعد العام أو قبلة، والصغرى بعد الكبرى لأهميتها، أو لطرد احتمال الاستثناء أو لغير ذلك من الجهات، وعلى ذلك جرى ديدن الكتاب، كما قد يتكرر ذكر المسألة تمهيداً لذكر فوائد جديدة وإضافات عديدة، وقد تذكر بعض المسائل باعتبارها كبرى لصغرى مذكورة في كلماتها عليها السلام.

[١٨٥] راجع الاحتجاج: ج٢ ص٤٦٧ احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

[١٨٦] راجع المناقب لابن شهر آشوب: ج٣ ص٣٤٩ فصل في تزويجها عليها السلام.

به:

«لم يكن لفاطمة كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه»[١٨٨]، وقال الحسين عليه السلام: «أمي خير مني»[١٨٩]، إلى غيرها من الروايات[١٩٠].

ومن الواضح أن ذلك ليس فقط لأجل علمها عليها السلام وإن كان علمها في غاية السمو والرفعة، بل لأن الله سبحانه خلقها عليها السلام رفيعة كما خلق الماء الحلو والذهب والشمس أرفع من المر والصخر والقمر، حيث إن نوره مستفاد من نور الشمس، وفي الحديث: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»[١٩١].

لا يقال: فإذا خلقها الله كذلك فما هو فضلها عليها السلام؟.

لأنه يقال:

نقضاً: فما هو فضل الذهب والماء الحلو والأذكياء والعباقرة؟.

وحلاً: بأن حكمة الخلق تقتضي خلق كل ما يمكن ـ من المجرة إلى الذرة ـ فإذا لم يخلق الله كذلك فلماذا؟.

وإذا خلق كل شيء هكذا، فلماذا لا يخلق الأدون فالأدون وهكذا؟[١٩٢].

---

[١٨٧] راجع دلائل الإمامة للطبري: ص٢٨ خبر مصحفها عليها السلام. ويستفاد من حديث المصحف وفيه: «كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله ... والأنبياء والملائكة».

[١٨٨] الكافي: ج١ ص٤٦١ باب مولد الزهراء فاطمة عليها السلام ح١٠.

[١٨٩] الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢ ص٩٤ باب ذكر الإمام بعد الحسن بن علي عليه السلام.

[١٩٠] والحديث عن ذلك تفصيلاً تجده في ثنايا الكتاب وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة.

[١٩١] من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٨٠ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة التي لم يسبق إليها ح٥٨٢١.

[١٩٢] أشار الإمام المؤلف دام عزه إلى أجوبة أخرى على هذا السؤال في العديد من كتبه ومنها: ◄ ► (الفقه: حول القرآن الحكيم) و(القول السديد في شرح التجريد) و(شرح المنظومة) وغير ذلك. ولعل مما يجاب به عن الإشكال: إن الله تعالى لعلمه بأن الأئمة والأنبياء عليهم السلام سيكونون ـ في دار الدنيا ـ خير من سيخرج من

ولا شك أن رفعة علمها عليها السلام أيضاً من أسباب رفعتها، وكذلك حال الأنبياء والأوصياء عليهم السلام «خلقكم الله أنواراً»[١٩٣]،[١٩٤].

رواية الرجال عن النساء

مسألة: يجوز رواية الرجال عن النساء في الجملة، لإطلاق الأدلة، بالإضافة إلى ما في هذا الحديث، كما يجوز العكس أيضاً.

وهكذا رواية النساء عن النساء، والرجال عن الرجال بالضرورة.

والمراد بالجواز: الأعم من المباح والواجب والمستحب، كل حسب

الموازين المقررة.

والإسلام إنما منع ما منع لفلسفة، ولم يمنع مثل ذلك، وبذلك يظهر أن ما

الامتحان الإلهي لذلك أفاض عليهم المزيد من لطفه وفضله وجعلهم من معدن أسمى، وذلك كما أن الاستاذ لو اكتشف أن أحد تلامذته سيكون أشد الجميع اجتهاداً ومثابرة فإن من الطبيعي ومن العدل أيضاً أن يوليه الأستاذ مزيداً من الاهتمام ويخصه ـ دون سائر التلاميذ ـ بمقدار أكبر من الوقت والتوجيه والعطاء قال تعالى: [أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا] ـ الرعد: ١٧ ـ وربما يفسر الأمر أيضاً بالنجاح في عالم الذر أو عوالم أخرى أسبق، مما سبب مزيداً من الإفاضة على الناجح في العوالم اللاحقة.

[١٩٣] من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦١٣ زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام ح٣٢١٣.

[١٩٤] حول هذا المبحث راجع (الفقه: البيع) و(القول السديد في شرح التجريد) للإمام المؤلف قدس سره، و(عبقات الأنوار) لمير حامد حسين الموسوي الهندي، و(إحقاق الحق) للتستري، و(بحارالأنوار) للعلامة المجلسي (رحمهم الله).

ورد في بعض الروايات: «صوت المرأة عورة»[١٩٥] إنما هو مثل ما ورد من: «إن المرأة عورة»[١٩٦] يراد به المنع عن الاختلاط والمفاسد، ولذا قال سبحانه: **[فلا تخضعن بالقولِ]**[١٩٧] ولم يقل: فلا تتكلمن.

وتكلم الرجال مع النساء وبالعكس قامت عليه السيرة، والروايات دلت على ذلك أيضاً..

وذلك هو المراد بحديث: «أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل»[١٩٨]. فإن المراد من «أن لا يراها رجل» رؤية جسمها العاري وما أشبه مما منعه الإسلام، كما أن المراد من «أن لا ترى رجلاً» رؤيتها الجسم العاري من الرجل، وإلاّ فمن الواضح حضور النساء مجالس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتحدثهن معه صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك بالنسبة إلى علي عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام مما هو كثير.

ومن المعلوم أن أمثال هذه الإطلاقات ـ كسائر الإطلاقات ـ تُقَيَّد بما عُلم من الشريعة، وذكرها الفقهاء في الكتب الاستدلالية والرسائل العملية.

---

[١٩٥] راجع مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٢٨٠ ب٩٠ ح١٦٧١٨، وفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم: «نهى النساء عن إظهار الصوت إلاّ من ضرورة».

[١٩٦] راجع الكافي: ج٥ ص٥١١ باب حق المرأة على الزوج ح٣، وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام:
«اتقوا الله في الضعيفين، يعني بذلك اليتيم والنساء وإنما هن عورة».

[١٩٧] سورة الأحزاب: ٣٢.

[١٩٨] المناقب لابن شهر آشوب: ج٣ ص٣٤١ فصل في سيرتها.

رواية حديث الكساء

مسألة: يستحب رواية حديث الكساء بصورة خاصة، وقد جرت عادة كثير من المؤمنين منذ مئات السنين على رواية هذا الحديث، في المحافل والمجامع، بقصد التبرك وقضاء الحوائج.

تسمية المرأة

مسألة: يجوز للرجل تسمية المرأة في الجملة، فإن جابراً سمى الزهراء عليها السلام بالاسم، وكذلك كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام يسمون النساء، من خديجة عليها السلام ومن سبقتها، من فضليات النساء أو شرارهن، إلى آخر أم من أمهات الأئمة عليهم السلام وهي السيدة نرجس عليها السلام ، أمام الأقارب والأجانب.

وقبل ذلك سمى الله سبحانه مريم الطاهرة عليها السلام في القرآن الحكيم، وهو يُتلى آناء الليل وأطراف النهار.

ومن الواضح أن ذلك ليس خاصاً بالله وبهم عليهم السلام ولذا ذكرهن علماؤنا الأعلام على المنابر وفي الكتب وغيرها.

كما لا يحرم ذكر بعض الخصوصياتلـهن، كارتفاع القامة والعمر ونحوهما، وإنما يستثنى (التشبيب) كما ذكر في (الفقه).

وكذلك لا إشكال في العكس بأن تسمي المرأة الرجل ـ محرماً أو غير محرم ـ لإطلاق الأدلة وعدم دليل على الحرمة، بل ولا كراهة.

نعم الظاهر حرمة التشبيب أيضاً منها بالنسبة إليه، للملاك وإن لم يتعرض لـه المشهور من الفقهاء. وكذلك ما إذا كان ذكر الاسم إغراءاً لا من جهة كونه ذكراً للاسم بل من جهة العارض.

وهل الاسم يعد من حقها، بحيث إذا كرهت ذلك لم يجز الذكر، حيث إنه تصرف في حق الغير، أو لا؟.

لا يبعد الثاني، وكذلك بالنسبة إلى من لم يرض ذكر اسمه من الرجال، إلاّ إذا كان هناك محذور خارجي، فالمنع بسببه، لا بسبب ذكر الاسم.

صوت الأجنبية

مسألة: يجوز سماع صوت الأجنبية حتى في غير مورد الضرورة في الجملة، وإلا لما كانت فاطمة (سلام الله عليها) تروي لجابر رحمه الله.

أما الجواز، فللأصل والسيرة والروايات المتعددة في مكالمة النساء للرجال في غير مورد الضرورة.

أما الضرورة فإنها تبيح المحرمات، كما ورد: **[إلا ما اضطررتم]**[١٩٩] وفي الحديث: «ليس شيء مما حرم الله إلاّ وقد أحله لمن اضطر إليه»[٢٠٠]، والمراد بالاضطرار هنا الأعم من الإكراه، فإنهما يطلقان على كليهما في غير مورد المقابلة كالفقير والمسكين (إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا).

---

[١٩٩] سورة الأنعام: ١١٩.

[٢٠٠] وسائل الشيعة: ج٢٣ ص٢٢٨ ب١٢ ح٢٩٤٤٢.

نعم، قد تقدم أن المحرّم هو الخضوع بالقول للآية والرواية.

ولا يبعد أن يكون ذلك أيضاً مقيداً بقوله سبحانه: **[فيطمع الذي في قلبه مرض]**[٢٠١] فإذا لم يكن هناك من كان كذلك لم يتم دليل على الحرمة حتى في صورة الخضوع.

وعليه يحمل جعل الإمام الباقر عليه السلام مالاً للنوادب يندبنه في منى[٢٠٢] مع وضوح أن صوتهن كان مسموعاً من خلف الخيام.

أما أن يكون ذلك استثناءً من الخضوع حتى عند من يطمع من مرضى القلب فبعيد جداً.

ولذا لم أجد من الفقهاء من منع قراءة النساء في مجالس العزاء وإن كان الصوت يصل إلى مسامع الرجال، والمسألة بعدُ بحاجة إلى التأمل والتتبع.

وهل العكس ـ بأن يخضع الرجل بالقول فتطمع أنثى في قلبها مرض ـ كذلك، أم بالنسبة إلى الذكور في من يطمع شذوذاً جنسياً؟.

لا يبعد الثاني ملاكاً، أما الأول فبعيد، فتأمل.

---

[٢٠١] سورة الأحزاب: ٣٢.

[٢٠٢] الكافي: ج٥ ص١١٧ باب كسب النائحة ح١، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيام منى».

استحباب التلقيب

مسألة: يستحب التلقيب؛ لأنه نوع من التكريم وللأسوة، حيث قالت (سلام الله عليها): «دخل عليَّ أبي رسول الله ﷺ».

وهل يدل على الاستحباب، أو الجواز؟.

الظاهر الأول للقرينة الداخلية، كما أن قرينة جعل الإسلام احترام الناس أصلاً للآيات والروايات و... وقد قال سبحانه: **[كرمنا بني آدم]**[٢٠٣]، وما أشبه يدل عليه.

وفي الأحاديث أن النبي ﷺ كان يكنّي أصحابه[٢٠٤].

ولا يبعد أن يكون اللقب أو الكنية بالنسبة إلى الأقرباء ـ خصوصاً الكبار منهم كالأب والأم ـ آكد استحباباً، ويلمع إليه ما سبق[٢٠٥] وأن الرسول ﷺ كان أبًا لـها عليها السلام.

.....

وهنا سؤال لابدّ من الإجابة عليه، وهو أن القرآن قد يمدح الإنسان

---

[٢٠٣] سورة الإسراء: ٧٠.

[٢٠٤] راجع كتاب (من حياة الرسول الأعظم ﷺ) للإمام المؤلف قدس سره، وكتاب (منية المريد) للشهيد رحمه الله: ص١٩٣ وفيه: فلقد كان رسول الله ﷺ يكني أصحابه إكراماً لهم فإن ذلك ونحوه أشرح لصدورهم وأبسط لسؤالهم وأجلب لمحبتهم.

[٢٠٥] قد يكون المراد أن الاحترام مشكك ذو درجات، وكلما كان الآخر أقرب للإنسان رحماً أو أقوى عليه حقاً تأكد الاحترام أكثر فأكثر.

مثل:

[كرمنا بني آدم][٢٠٦].

و: [فتبارك الله أحسن الخالقين][٢٠٧].

و: [فضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا][٢٠٨]..

إلى غير ذلك.

وقد يذمه، مثل: [إن الإنسان خلق هلوعا][٢٠٩].

و: [خلق الإنسان من عجلٍ][٢١٠].

و: [إنه كان ظلوما جهولا][٢١١]..

إلى غير ذلك.

فكيف الجمع؟.

والجواب:

إن الأول بالنظر إلى الذات، والثاني بالنظر إلى فعل الإنسان بنفسه،

.....

---

[٢٠٦] سورة الإسراء: ٧٠.

[٢٠٧] سورة المؤمنون: ١٤.

[٢٠٨] سورة الإسراء: ٧٠.

[٢٠٩] سورة المعارج: ١٩.

[٢١٠] سورة الأنبياء: ٣٧.

[٢١١] سورة الأحزاب: ٧٢.

ومعنى (خلق) أنه كذلك[٢١٢] لا أنه في طينته الجبرية، كما هو واضح.

وذكرها عليها السلام الكنية واللقب من جهة التلذذ بتكرار اسم المحبوب، كما قاله أهل البلاغة.

قال المتنبي:

أسامي لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

وتقديم الكنية من جهة الإلماع أولاً إلى القرابة القريبة، وإلاّ فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل في كثير من البيوت.

---

[٢١٢] فـ (هلوعاً) مثلاً حال، وهو إشارة إلى ما عليه الإنسان في فعله، وإخبار عما سيكون عليه نفسياً أو عملياً بما هو داخل في دائرة الاختيار أو بنحو الاقتضاء.

توقيت الأمور

مسألة: يستحب التوقيت، ومن مصاديقة كون الحادث ليلاً أو نهاراً، حيث قالت عليها السلام: «في بعض الأيام» حتى لا يظن أو يحتمل أن الحادث كان في بعض الليالي، لانصراف اليوم في المقام إلى النهار، وإن صح إطلاقه على مجموعة الليل والنهار، أو النهار كاملاً، كما يقال: أقام في البلد الفلاني عشرة أيام، أو درسنا التفسير في خمسة أيام.

وكذلك حال الأسبوع والشهر والسنة.

أما إذا قيل الليل فلا يشمل النهار، كما أن النهار لا يشمل الليل.

وإنما استفدنا الاستحباب؛ لأنه لولا ذلك لكان قولها عليها السلام: «في بعض الأيام» لغواً والعياذ بالله[٢١٣] فتأمل.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن»[٢١٤]. والكلام عن العمل، وذكر الوقت من الإتقان، ولعله داخل في: **[كل شيءٍ موزون]** [٢١٥].

---

[٢١٣] والأصل في كل كلمة من كلام الحكيم ـ فكيف إذا كان قمة في الحكمة والبلاغة ـ أنها جيء بها لغرض وفائدة.

[٢١٤] الكافي: ج٣ ص٢٦٣ باب النوادر ح٤٥.

[٢١٥] سورة الحجر: ١٩.

وقوله عليه السلام: «إني أعلم أنها نزلت في ليل أنزلت أو نهار»[٢١٦] ولو بالملاك وتنقيح المناط.

وقد سبق الإسلامُ الحضارةَ الحديثة في ذكر التوقيت وربط الأعمال به، ولذا وضع لكل من ساعات الليل وساعات النهار دعاءً، بالإضافة إلى مواقيت الصلاة والحج والصوم والعيد وغير ذلك مما هو كثير.

ولا يخفى أن (الساعة) قد تطلق على جزء من الوقت، كما تطلق على المحدد بستين دقيقة، وعلى تقسيم النهار من الطلوع إلى الغروب إلى اثني عشر قسماً، كل منها يسمى ساعة أيضاً، وكذلك الليل، على تفصيل ذكره علماء الفلك[٢١٧].

[٢١٦] الأمالي للصدوق: ص٣٤٢ المجلس٥٥ ح١، وفيه: «لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت ... أخبرتكم».

[٢١٧] وسيأتي مزيد من الحديث عن (التوقيت) عند قولها عليها السلام: «فما كانت إلا ساعة».

ترتيب المطالب

مسألة: يُرجّح ترتيب المطالب على وجه يفيد مطابقة مرحلة الإثبات لمرحلة الثبوت، كما قالت عليها السلام: «دخل عليَّ أبي ... فقال»، فجاءت (سلام الله عليها) بفاء التفريع ولم تقل: (وقال)، وفرقهما واضح. فإن في اللغة العربية خصوصيات حتى بالنسبة إلى الكلمة وجزء الكلمة.

كما قالوا: قولـه سبحانه وتعالى: **[ذلِكَ ما كنا نبغِ]**[٢١٨] مع أنه لا وجه ـ كما قد يتوهم ـ لحذف الياء، قالوا: لأنه حكاية عن سرعة كلامه، حيث إن المسرع في كلامه يحذف بعض الكلمة، ولغتهم وإن لم تكن لغة العرب، لكن الله سبحانه وتعالى حذف الياء علامة على ذلك في لغتهم.

ومثلاً: قال علي (عليه الصلاة والسلام) فيما يروى عنه:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة [٢١٩]

فإن الإمام عليه السلام لم يرد ذكر المرادفات للأسد لمجرد التكرار والجمال، وإنما أراد خصوصيات الأسد في أحواله المختلفة، فإن كل أسم وضع لخصوصية من خصوصيات الأسد.

---

[٢١٨] سورة الكهف: ٦٤.

[٢١٩] المناقب: ج٣ ص١٢٩ فصل في مقامه عليه السلام في غزاة خيبر.

فالأسد يسمى: (حيدراً وحيدرة) حينما ينزل من مكان مرتفع كالجبل ونحوه حيث يستلزم المهابة الشديدة.

ويسمى: (ضرغام آجام)؛ لأن الضرغام في الآجام يزأر فيملأ الأجمة بصوته المرعب.

ويقال لـه: (ليث)، باعتبار تلوثه بالفريسة، وهذا منظر مخيف جداً للفريسة وللإنسان الذي يشاهدها.

ويسمى: (قسورة)، فيما إذا كان يطارد حيواناً أو قطيعاً من الحيوانات، فلذا قال سبحانه: **[كأنهم حمر مستنفرة ۞ فرت من قسورة]**[٢٢٠].

وورد في بعض كتب العرب أن امرؤ القيس قال قصيدة مطلعها: (دنت الساعة وانشق القمر)، ثم نزل قوله تعالى: **[اقتربت الساعة]**[٢٢١]، فقال بعض أدباء الجاهليين: إن هذه الآية تمتاز بسبعين نكتة من حيث الفصاحة والبلاغة على كلام امرؤ القيس.

استحباب الابتداء بالسلام

مسألة: يستحب الابتداء بالسلام حتى من الكبير على من دونه[٢٢٢]. ولذا سلم الرسول وعليٌّ عليهما السلام على فاطمة عليها السلام .

---

[٢٢٠] سورة المدثر: ٥٠-٥١.

[٢٢١] سورة القمر: ١.

[٢٢٢] راجع (الفقه: الآداب والسنن) للإمام الشيرازي رحمه الله.

بل في بعض الروايات: استحباب سلام الكبير على الصغير[٢٢٣]، وقد كان ﷺ يسلّم على الأطفال[٢٢٤]، وفيه من التواضع والتعليم ما ليس في عكسه.

وكذا الأمر في سلام الراكب على الراجل، إلى غير ذلك من أحكام السلام الكثيرة [٢٢٥]، وقد جمعها ابن العم السيد عبد الهادي ﷺ[٢٢٦] في رسالة مستقلة أنهاها إلى ألف مسألة.

وقد ذهبنا في (الفقه) إلى كفاية لفظ (سلام) و(سلاماً) في تحقق السلام،

.....

---

[٢٢٣] راجع مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٦٤ ب٣٤.

[٢٢٤] راجع مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٦٤ ب٣٤ ح٩٦٨٥ وفيه: «إن رسول الله ﷺ مر على صبيان فسلّم عليهم»، ومستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٦٤ ب٣٤ ح٩٦٨٦ وفيه: «كان ﷺ يسلّم على الصغير والكبير».

[٢٢٥] راجع (الفقه: أحكام التحية والسلام)، للإمام الشيرازي ﷺ.

[٢٢٦] هو آية الله العظمى السيد عبد الهادي بن السيد ميرزا إسماعيل بن السيد رضي الدين الشيرازي النجفي. وُلد في سر من رأى عام ١٣٠٥هـ في السنة التي توفي بها والده الحجة، وهو ابن عم آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي ﷺ. هاجر إلى كربلاء وحضر على بعض علمائها، تخرج على الشيخ ملا محمد كاظم الآخوند الخراساني والميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني. كان عالماً محققاً منقباً، ذا رأي صائب، قوي الحافظة أديباً شاعراً، آلت إليه المرجعية الدينية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني ﷺ، فكان من مراجع الشيعة الكبار.لـه مواقف مشرفة ضد الاستعمار البريطاني، اشترك مع الشيخ الشيرازي ﷺ في ثورة العشرين، ووقف بوجه المد الشيوعي وأصدر فتواه الشهيرة بضلالتهم، توفي عام ١٣٨٢هـ.
من مؤلفاته: كتاب الطهارة ، كتاب الصوم، كتاب الزكاة، رسالة في اللباس المشكوك، رسالة في الاستصحاب، رسالة في اجتماع الأمر والنهي، دار السلام في فروع السلام وأحكامه، أنهاها إلى ألف فرع، كتاب الحوالة، رسالة في الرضاع، الوسيلة، الذخيرة، تعليقة العروة الوثقى، الرسالة العملية العربية، الرسالة العملية الفارسية.

كما يدل على ذلك الإطلاقات والآية: **[قالوا سلاما قال سلام]**[٢٢٧] ويؤيده الاعتبار، وسيأتي تفصيل ذلك.

فالمستفاد من الحديث استحباب السلام الكامل؛ لأنهم سلّموا عليها عليهم السلام بالصيغة الكاملة[٢٢٨]، بالإضافة إلى أنه نوع احترام، واحترام المؤمن فكيف أمثالهم عليهم السلام من آكد المستحبات.

كما أن سلامهما عليها عليها السلام وجوابها عليها السلام لهما عليها السلام دليل على استحباب سلام الصغير أيضاً، فليس خاصاً بالكبير، بل ربما يقال: بوجوب جواب الكبير لغير البالغ أيضاً، كما تقتضيه الإطلاقات آيةً وروايةً، فتأمل[٢٢٩].

نعم حديث الكساء لا يدل على أزيد من الرجحان.

السلام على فاطمة عليها السلام

مسألة: يستحب السلام على فاطمة (صلوات الله عليها) حيث قال صلى الله عليه وآله: «السلام عليكِ»، وقد دل عليه بعض الأحاديث أيضاً.

.....

ولا فرق في ذلك ـ فيها عليها السلام وفي سائر المعصومين عليهم السلام ـ بين حيّهم

---

[٢٢٧] سورة هود: ٦٩.

[٢٢٨] لأصالة الأسوة والإلتزام بأن أفعالهم عليهم السلام داخلة في دائرة الواجب أو المستحب لا غير، ومما يشهد لـه وصية الرسول صلى الله عليه وآله لأبي ذر رحمه الله بأن تكون كل أفعاله لله ـ انظر مكارم الأخلاق: ص٤٦٤ ب١٢ ف٥ ـ وذلك في المباح ممكن أيضاً عبر النية فـ (إنما الأعمال بالنيات) ـ وسائل الشيعة: ج١ ص٤٨ ب٥ ح٨٩ ـ.

[٢٢٩] قد يكون الوجه رفع التكاليف عنه وبالنسبة إليه مطلقاً إلاّ ما خرج.

وميّتهم، فهم عليهم السلام حاضرون ناظرون [أحياء عِندَ ربهِم يرزقون][٢٣٠].

سلام الرجل على المرأة

مسألة: يستحب سلام الرجل على المرأة إذا كانت من محارمه، ولذا سلّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام على فاطمة (سلام الله عليها).

أما في المحارم فلا إشكال.

وأما في غير المحارم فإذا لم يكن بتلذذ وريبة، ولذا ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يسلّم على النساء، وعليٌّ عليه السلام كان يسلّم على غير الشابة منهن[٢٣١]، والسر كي لا يتخذ أسوة؛ لأن مجتمع مكة كان يختلف عن مجتمع الكوفة حيث تجمع فيه أخلاط من الناس، وكان من مظان افتتان الناس.

ومنه يعلم: وجه سلام الصحابة على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في بعض التواريخ، وعلى الزهراء عليها السلام.

والظاهر: الحرمة في سلام المرأة على الرجل الأجنبي إذا كان عن تلذذ أو خوف ريبة، أما بدونهما فلا إشكال، ولذا كنّ يسلمنّ على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام كما في بعض التواريخ.

.....

نعم إذا سلّم أحدهما على جماعة من مثله وفيه الجنس المخالف، مثل الرجل

---

[٢٣٠] سورة آل عمران: ١٦٩.

[٢٣١] راجع الكافي: ج٢ ص٦٤٨ باب التسليم على النساء ح١، والكافي: ج٥ ص٥٣٥ باب التسليم على النساء ح٣.

على مجموعة من النساء والرجال ـ في قافلة مثلاً ـ أو المرأة على جماعة من الرجال والنساء، فهو أبعد من الفتنة والريبة.

وإذا لم يحرم السلام في موضع، كان مستحباً إلاّ في الموارد المكروهة، كما ورد في موارد خاصة مذكورة في كتب الأحاديث.

ثم إذا حرم السلام، فالظاهر عدم وجوب الجواب، لانصراف أدلة الوجوب إلى السلام غير المحرَّم.

فَقُلتُ: عَلَيكَ السَّلامُ. قالَ: إنّي أَجِدُ في بَدَني ضُعفاً

رد السلام

مسألة: يجب رد السلام، ولذا قالت عليها السلام: «عليك السلام»، والفعل وإن كان أعم، إلاّ أن استفادة الوجوب إنما هي من الأدلة الأخرى.

الإخبار عن الحالة الجسدية والنفسية

مسألة: يجوز التشكي والإخبار عن الحالة الجسدية والنفسية، ويرجّح إن كان لفائدة كالتعليم أو دفع التوهم أو شبه ذلك، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أجد في بدني ضعفاً».

أما النفسية فبالملاك.

ولا إشكال في جواز الإخبار، وربما يقال بالاستحباب، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أسوة، والمنصرف من مثله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يأتي بالراجح.

ويؤيده ما ورد من أن الشكاية إلى المؤمن شكاية إلى الله سبحانه[٢٣٢]، وبذلك يقيّد ما ورد من كراهة التشكي[٢٣٣].

ولعل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «في بدني» لدفع توهم أنه في النفس تألماً مما يقوم به المشركون والأعداء، فيكون المراد به ما أراد إبراهيم عليه السلام حيث قال: [إِنَي

[٢٣٢] راجع مستدرك الوسائل: ج٢ ص٧٢ ب٥ ح١٤٤٦.

[٢٣٣] راجع بحار الأنوار: ج١٣ ص٣٤٨ ب١١ ح٣٥.

سَقِيم][٢٣٤] ـ على إشكال ـ أو أنه في قبال الضعف في جزء من الجسد كالعين والأذن وما أشبه.

ويحتمل أن قولـه ﷺ: «إني أجد ... » كان تمهيداً لأمره بإتيانها عليها السلام بالكساء إليه، وكأنه لدفع توهم من إنسان ـ غيرها عليها السلام ـ إنه لماذا يريد المنام في النهار، وإذا كان كذلك كان دليلاً على رجحان دفع التوهم، و«رحم الله من جب الغيبة عن نفسه».

ويؤيده ما روي عنه ﷺ أنه كان يتكلم مع زوجة من زوجاته في الطريق فلما مر بهما إنسان، قال ﷺ لـه: يا فلان هذه زوجتي فلانة ـ دفعاً لتوهمه ـ.

فقال الصحابي: أومنك يا رسول الله ﷺ ـ يريد أنه لا يتوهم عن مثله ﷺ ـ.

فقال ﷺ: «نعم، إن إبليس عدو الله ... يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق»[٢٣٥].

ولا يخفى أن قول إبراهيم عليه السلام: [**إِنِي سَقِيم**][٢٣٦] لم يرد به المرض حتى يكون خلاف الواقع، بل أراد سقم النفس من كفرهم وشركهم، كما هو كذلك في كل متدين في مجتمع غير ديني.

---

[٢٣٤] سورة الصافات: ٨٩.

[٢٣٥] تفسير العياشي: ج١ ص٣٠٩ من سورة المائدة ح٧٨، وفيه آخر الحديث فقط.

[٢٣٦] سورة الصافات: ٨٩.

فَقُلتُ له: أُعِيذُكَ باللهِ يا أَبَتاهُ مِنَ الضُّعفِ

الدعاء للمريض

مسألة: يستحب الدعاء للمريض[٢٣٧] حيث قالت (سلام الله عليها): «أعيذك بالله يا أبتاه»، ولذلك كان دعاؤها عليها السلام[٢٣٨]. واستحبابه قد ورد في جملة من الروايات، سواء كان بحضرته[٢٣٩] أم غائباً، وسواء بهذه اللفظة الواردة في هذا الخبر أم بلفظ آخر، وسواء كان المرض مؤلماً أم لا.

وهل من ذلك المرض القلبي قال سبحانه: [**فِي قلوبِهِم مرض فزادهم الله مرضا**][٢٤٠]؟.

الظاهر ذلك[٢٤١] ولذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لايعلمون»[٢٤٢] و(لا يعلمون) يراد به على طبق الواقع عملاً [٢٤٣] وإن كانوا علموا، كما قال سبحانه:

---

[٢٣٧] راجع (الفقه: الآداب والسنن).

[٢٣٨] العديد من كلماتها عليها السلام ـ ومنها هذه الكلمة ـ تصلح أن تكون مؤيداً أو دليلاً على الحكم في مرحلة الإثبات، كما تصلح أن تكون معلولاً لوجود الحكم في مرحلة الثبوت، وها هنا (حيث) إشارة للقول و(لذلك) إشارة للثاني فليدقق.

[٢٣٩] أي بحضرة المريض.

[٢٤٠] سورة البقرة: ١٠.

[٢٤١] سيأتي تقييده بالدعاء بالهداية وشبهها.

[٢٤٢] بحار الأنوار: ج٢٠ ص٢١ ب١٢.

[٢٤٣] قد يكون المراد (العلم المؤدي للعمل والمحرك للجوارح) وقد يكون المراد (علم اليقين)، وقد يكون إشارة لمن لايعلم منهم، فتأمل.

[وجحدوا بِها واستيقنتها أنفسهم][٢٤٤].

وهل يجوز الدعاء للمريض المؤذي للمسلمين كفراً أو نفاقاً أو ظلماً؟.

لا إشكال في جوازه في الهداية وكفّ الظلم.

والكلام في جواز الدعاء لـه بالعمر الطويل والمال الكثير والعافية البدنية؟.

الظاهر العدم؛ لأنه بملاك الدعاء على المؤمن.

وفي قول الصادق عليه السلام لإبراهيم الجمال دلالة عليه[٢٤٥].

ثم لا يخفى أن الأمور كلها بيد الله سبحانه، قال تعالى: [**وإِذا مرِضت فهو يشفِينِ**][٢٤٦]، وإذا كان كذلك فما شأن الدواء؟.

---

[٢٤٤] سورة النمل: ١٤.

[٢٤٥] ربما أراد المؤلف رحمه الله قول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لصفوان الجمال كما في الحديث التالي:
عن صفوان بن مهران الجمال قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام فقال لي: يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحدا، قلت: جُعلت فداك أي شيء؟ قال: إكراءك جمالك من هذا الرجل يعني هارون، قلت: والله ما أكريته أشرا ولا بطرا ولا للصيد ولا للهو ولكن أكريته لهذا الطريق يعني طريق مكة ولا أتولاه بنفسي ولكني أبعث معه غلماني، فقال لي: يا صفوان أيقع كراك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك، قال: فقال لي: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟ قلت: نعم، قال: فمن أحب بقاءهم فهو منهم ومن كان منهم فهو ورد النار، قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني فقال لي: يا صفوان بلغني أنك بعت جمالك؟ قلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: أنا شيخ كبير وإن الغلمان لا يقوون بالأعمال، فقال: هيهات هيهات إني لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر، قلت: ما لي ولموسى بن جعفر! فقال: دع هذا عنك فو الله لولا حسن صحبتك لقتلتك. بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣٧٦ ــ٣٧٧ ب٨٢ ح٣٤.

[٢٤٦] سورة الشعراء: ٨٠.

وإذا كان بالدواء فما شأن الدعاء؟.

والجواب: إن الأمور كلها بيده سبحانه، لكنه جعل الدنيا دار أسباب، وأمر بالأخذ بها، فالدواء لما بأيدينا، والدعاء لما ليس بأيدينا.

ولذا قال ﷺ: «اعقلها وتوكل»[٢٤٧].

وفي حديث: إنه تعالى قال لموسى عليه السلام: «أتريد أن تبطل حكمتي في الأشياء؟».

الاستعاذة بالله تعالى

مسألة: يستحب الاستعاذة بالله سبحانه حتى من مثل الضعف فكيف بالمرض.

أما الاستحباب فلأنه دعاء، فيظهر منه ذلك، والضعف يسبب تأخر الإنسان عن حوائجه الدينية والدنيوية.

ولا نعلم هل كان ضعف جوع أو ضعف تعب، أو ضعف مشكلة أثرت على الجسد.

إذ النفس إذا وقعت في المشكلة أثرت على الجسد أيضاً، إذ كل منهما يؤثر في الآخر صحةً وسقماً، ونشاطاً وخمولاً، وقوةً وضعفاً.

.....

---

[٢٤٧] إرشاد القلوب: ج١ ص١٢١ ب٣٥.

ولذا ورد في الدعاء: «قــوّ علــى خدمتــك جــوارحي، واشدد على العزيمة جوانحي»[٢٤٨].

وكذلك في أدعية أخرى[٢٤٩].

وفي القرآن الحكيم: [لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ][٢٥٠]. إلى غير ذلك.

رفع الضعف الجسمي والنفسي

مسألة: ومنه يعلم أنه ينبغي أن لا يقوم الإنسان بما يسبّب ضعف جسده، وأنه إذا ضعف استحب لــه رفعه. وكذلك حال ضعف النفس وقوتها، فإن الشجاعة ممدوحة كما ورد في الحديث: «إن الله ... يحب الشجاعة ولو على قتل حية»[٢٥١].

.....

وكما أن الجسد يتقوى بالرياضة والمقويات وما أشبه، كذلك النفس تتقوى

---

[٢٤٨] البلد الأمين: ص١٩١ شهر شعبان، دعاء كميل.

[٢٤٩] مثل ما ورد من قوله: «واستعمل به بدني، وقوّني على ذلك، وأعني عليه...» الكافي: ج٢ ص٥٧٧ باب الدعاء في حفظ القرآن ح٢.
وكقول رسول الله ﷺ لعمار: «وقل اللهم بجاه محمد وآله الطيبين قوني».. بحار الأنوار: ج٩١ ص١٦ ب٢٨ ح١٢.
وفي الدعاء أيضا: «وقوّني بسلطانك». بحار الأنوار: ج٩١ ص٢١٧ ب٣٨ ح١٧.
وأيضا: «اللهم قوني على ما خلقتني له». بحار الأنوار: ج٩٢ ص٢٩٧ ب١١٠ ح١٤.
وأيضا: «وقوّني في سبيلك». بحار الأنوار: ج٩٤ ص٢١٥.
وأيضا: «اللهم قوّني فيه على إقامة أمرك» بحار الأنوار: ج٩٥ ص١٩.

[٢٥٠] سورة الكهف: ٣٩.

[٢٥١] مستدرك الوسائل: ج٨ ص٢٩٧ ب٣٩ ح٩٤٩٠.

بالرياضة النفسية، وهي ترويض النفس على القيام بما تكره، وكذلك تركيز الفكر في شيء خاص في أوقات كثيرة، فإن النفس حينئذ تكون كمثل المجهر، حيث إن مقدار كف منه تحت أشعة الشمس يحرق، بينما مقدار ألف فرسخ من أشعة الشمس ـ متشتتة ومتوزعة ـ لا يحرق.

ثم إن التضعيف الموجب لعدم التمكن من القيام بالواجبات محرم؛ لأنه مقدمة لـه فيجب رفعة، وذلك فيما إذا علمنا من الشارع أنه أراد ذلك الواجب

ـ وكان شرطه شرط الوجود لا الوجوب ـ كما في ماء الغُسل والوضوء، ولهذا فإن الفاقد للماء يجب عليه أن يمشي غلوة سهم أو سهمين، على تفصيـل مـذكور في الفقه، وأما إذا لم يعلم من الشارع ذلك لم يجب، كما إذا كان مريضاً قبل شهر رمضان وتمكن ـ قبل حلوله ـ من علاج نفسه بحيث يتمكن من الصوم مع حلول الشهر المبارك، فإنه لا دليل على وجوب العلاج حينئذ.

فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، إِيتيني بِالكِساءِ اليَمانِيِّ فَغَطّيني بهِ.

أمر الغير بإنجاز الحاجة

مسألة: يجوز ـ بالمعنى الأعم ـ أمر الغير بالحاجة، خصوصاً إذا كان الآمر أعلى، حيث قال ﷺ: «إيتيني بالكساء اليماني» و«غطّيني به».

ثم إن في بعض الروايات النهي عن طلب الحاجة من الغير، لكن الظاهر أن أمثال تلك إنما يراد بها الإفراط، كما هي عادة بعض الناس في إلقاء كَلّهم على الناس لا القدر المتوسط العقلاني، فإنه كان متعارفاً منذ صدر الإسلام إلى هذا اليوم، ولم يقل أحد من الفقهاء ـ فيما أعلم ـ بكراهته، وبعد ذلك لا مجال لأن يقال: إن قول النبي ﷺ لفاطمة عليها السلام إنما هو من باب التخصيص لذلك المطلق، واستثناء طلب الأب من أولاده منه. وعلى أي حال فهذا في الحاجة التي تتأتى من الإنسان ومن غيره، أما في ما لا يتأتى إلاّ من غيره كالبِناء والحدادة والنجارة وما أشبه فلا يحتمل الكراهة إطلاقاً.

ولعل تخصيصه ﷺ الكساء اليماني؛ لأنه كان أكبر أو أوسع، ولذا فسره صاحب كتاب (نصاب الصبيان) بالـ (كَليم) وهو نوع من الفرش والبساط، بينما سائر الكساءات لم تكن كذلك، أو لم تكن متوفرة، ولعله ﷺ أراده ليسع أهل بيته عليهم السلام عند مجيئهم لعلمه ﷺ وعلمهم عليهم السلام بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة [٢٥٢].

[٢٥٢] راجع بحار الأنوار: ج٢٦ ص١٩٤ ب١٥ح١.

قضاء الحاجة

مسألة: يستحب قضاء حاجة الغير، سواء طلبها من أخيه أم لم يطلب، ويتأكد في صورة الطلب[٢٥٣] لجملة من الروايات الدالة على استحباب قضاء حاجة المؤمن.

بل لا يبعد استحباب قضاء حاجة الإنسان ولو لم يكن مسلماً، للملاك في سقي علي عليه السلام [٢٥٤] والحسين عليه السلام [٢٥٥] الماء لمن حاربوهما..

ولقوله صلى الله عليه وآله: «لكل كبد حرى أجر»[٢٥٦]، إذا فهم الملاك بالنسبة إلى كل الحاجات، سواء أظهرها أم تبين عنه تطلبه لها.

ثم إن فاطمة (عليها الصلاة والسلام) هي التي غطّت الرسول صلى الله عليه وآله مما تكون أسوة في استحباب تغطية الرحم، بل وغير الرحم أيضاً؛ لأن الملاك عام حتى في غير الرحم.

---

[٢٥٣] راجع (الفضيلة الإسلامية) و(الفقه: الآداب والسنن).

[٢٥٤] راجع وقعة صفين: ص١٦١ استيلاء أهل العراق على الماء ثم سماحهم به لأهل الشام.

[٢٥٥] راجع بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٧٦ ب٣٧، وفيه: فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: «اسقوا القوم وارووهم من الماء».

[٢٥٦] بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٧٠ ب٢٣ ح٦٣ بيان.

طاعة الأب

مسألة: يستحب إطاعة الأب وقد يجب، كما فعلت الزهراء عليها السلام. والآمر إذا اجتمعت فيه جهات يصلح كل واحد منها سبباً لرجحان الإطاعة يحمل أمره على إحدى الجهات حسب ما تقتضي القرينة إذا لم يمكن الجمع.

والظاهر أن طاعة غير الأب من الأقرباء كذلك أيضاً، مع اختلاف المرتبة، بل يستحب للإنسان إطاعة سائر المؤمنين في حوائجهم، فإن قضاء حاجة المؤمن يشمل حتى مثل ذلك، وإن كان المؤمنون يختلفون في شدة الاستحباب وعدمها.

بل ولعله يستحب حتى لغير المؤمن ـ كما أشرنا إليه ـ لقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[٢٥٧]..

ولأن الإمام الحسين عليه السلام نزل عن جواده بنفسه وسقى ذلك المحارب الذي جاء لقتله في قصة مشهورة..

ولغير ذلك من الأدلة أو المؤيدات.

---

[٢٥٧] نهج البلاغة، الرسائل: رقم٥٣ ومن كتاب لـه عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر.

النظر إلى وجه الأب

مسألة: يستحب النظر إلى وجه الأب، بل وإدامة النظر إليه والإكثار منه، لما ورد من الروايات الدالة على استحباب النظر إلى وجه الأبوين، خصوصاً إذا كان الأب كالرسول ﷺ أو كان عالماً، فقد ورد أن النظر إلى باب دار العالم عبادة، ولا بعد، إذ النظر بلطف نحو ذي الكمال وما يتعلق به يقرب الإنسان على الكمال، إذ إنه يستلزم التحنن والعطف نحو المنظور إليه وما يتعلق به[٢٥٨] وله أثر وضعي أيضاً، ولعله لذا ـ ولو كجزء العلة ـ ارتد يعقوب عليه السلام بصيراً بسبب ثوب ولده، فإذا كان ثوب الولد كذلك يكون باب دار العالم والمراقد المطهرة وما أشبه بذلك الحكم أيضاً.

بل في قصة السامري [**فقبضتُ قبضة مِن أثرِ الرسولِ**][٢٥٩]، فإذا كان تراب قدم فرس جبرائيل كذلك، أفلا يكون ما يتعلق بهم عليهم السلام بهذه الحيثية؟. بل وبطريق أولى، لأنه خادمهم عليهم السلام، وذلك ليس خاصاً بالنظر، بل التحسس بما أمكن من الحواس الخمس كذلك، فقد أخذت الزهراء (سلام الله عليها) حفنة من تراب القبر المطهر وأنشدت: «ماذا على من شم تربة أحمد ﷺ الأبيات[٢٦٠].

---

[٢٥٨] كما هو من مقدمات الإقتداء به، وهو نوع من التشجيع على العمل الصالح.

[٢٥٩] سورة طه: ٩٦.

[٢٦٠] المناقب لابن شهر آشوب: ج١ ص٢٤٢ فصل في وفاته ﷺ، أولها: «قل للمغيب تحت أطباق الثرى».

وورد أن من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان عن الله فقد عبد الله، وإن كان عن الشيطان فقد عبد الشيطان [٢٦١].

فإن الحواس الخمس، بالإضافة إلى الفكر، لـها أحكام اقتضائية ولا اقتضائية، ولذا ورد «تفكر ساعة خير من عبادة سنة» [٢٦٢]..

إلى غير ذلك مما يجده المتتبع في كتب الأحاديث والأخلاق.

النظر إلى وجه المعصوم عليه السلام

مسألة: يستحب النظر إلى وجه الرسول صلى الله عليه وآله، بل إلى وجه مطلق المعصوم عليه السلام.

وفي الحديث: «النظر إلى وجه علي عبادة» [٢٦٣]..

وبحكمه: النظر إلى آثاره كخط يده أو ما أشبه ذلك.

ويشهد لذلك روايات استحباب النظر للكعبة ولباب دار العالم بطريق أولى.

---

[٢٦١] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عزوجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس» انظر بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٣٩ ب٤ ح١.

[٢٦٢] بحار الأنوار: ج٦٨ ص٣٢٧ ب٨٠ ح٢٢.

[٢٦٣] راجع وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٠٥ ب١٩ ح٧٧٣٨، وفيه: «النظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام عبادة».

ذكر الكرامات

مسألة: يستحب ذكر ما يشهده الإنسان من كرامات المؤمنين بالله، كما ذكرت (سلام الله عليها) ذلك بقولها: «وإذا وجهه ﷺ يتلألأ».

وهل كان وجهه ﷺ يتلألأ بنور مادي خارق للعادة إعجازاً، أم أن هذا الكلام منها (عليها الصلاة والسلام) على وجه التشبيه؟.

احتمالان، ولا يبعد الأول.

وهكذا يستحب ذكر مطلق كرامات ومعاجز المعصومين عليهم السلام لما فيه من الفائدة العظيمة والتي من أهمها جمع الناس حولهم، فإن القائد إذا التف الناس حولـه تكون كلمته أكثر نفوذاً، وقيادته أكثر استحكاماً، وبذلك يسعد الناس في دنياهم وآخرتهم..

بالإضافة إلى أن ذكر الكرامات والمعاجز يوجب قلع الناس عن المادية البحتة، فإن الماديين يتصورون أن المادة هي كل شيء، والمعاجز والكرامات لما كانت خلاف المعادلات المادية فإنها تدل على أن (الماورائيات) وعالم الغيب أيضاً شيء لـه تأثيره الخارجي الكبير، ولذلك لا يرتطم الإنسان في أوحال المادة التي تودي بدنياه وآخرته.

التشبيه في الكلام

مسألة: يجوز التشبيه في الكلام.

ويرجح فيما لو تضمن حثاً على الخير، أو كان عمن هو من أولياء الله، كما قالت عليها السلام: «كأنه البدر في ليلة ... ».

وكما في قولـه تعالى:

[ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة] [٢٦٤].

[٢٦٤] سورة إبراهيم: ٢٤.

مزيد البيان

مسألة: ينبغي تكثير اللفظ لمزيد البيان والفائدة، كما في قولها عليها السلام: «تمامه وكماله» وهو من صغريات الإتقان، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن»[٢٦٥].

فإن القمر يقال لـه: (البدر) قبل الليلة الرابعة عشر وبعدها، حيث إنه في الثالثة عشر والخامسة عشر يُرى كاملاً أيضا[٢٦٦] وإن كان في الحقيقة يطرأ عليه شيء من النقص من هذا الجانب، أو من ذلك الجانب، كما لا يخفى.

والظاهر أن الفرق بين التمام والكمال:

أن التمام بالنسبة إلى الكمّ، والكمال بالنسبة إلى الكيف.

مثلاً: المائدة قد تكون تامة وليست كاملة، وقد تكون كاملة وليست تامة، أما إذا كملت وتمت من حيث الكم والكيف تسمى تامة كاملة، وتمام القمر مثلاً بالليلة الرابعة عشرة، وكماله أن لا يكون هنالك غيم رقيق أو عجاج أو ما أشبه يحول دون كمال نوره للناظرين.

وربما كان المراد: شدة نوره.

فالكمال على هذا ثبوتي، وعلى ذلك إثباتي.

---

[٢٦٥] الكافي: ج٣ ص٢٦٣ باب النوادر ح٤٥.

[٢٦٦] راجع لسان العرب مادة بدر حيث يقول: (والبدر: القمر إذا امتلأ) و(سمي بدراً لتمامه).

تحديد الأحداث

مسألة: يستحب التوقيت ـ كما سبق ـ حيث قالت (سلام الله عليها): «فما كانت إلاّ ساعة ... »، إذ إن الإخبار عن الوقت الماضي أو الآتي ومقداره داخل في «نظم أمركم»[٢٦٧] ـ كما قاله علي عليه السلام ـ فإن النظم يشمل الزمان والمكان وسائر المزايا والخصوصيات كالكم والكيف وغيرهما من المقولات.

ويؤيده قولـه سبحانه: **[لِتعلموا عدد السنين والحساب]**[٢٦٨].

وقوله سبحانه: **[مواقيت للناسِ]**[٢٦٩].

والظاهر أن المراد بـ (الساعة): القطعة من الزمان، لا الساعات المستوية أو المعوجة الفلكية وإن أُطلق عليها جميعاً، للانصراف.

وليس تواليهم عليهم السلام في المجيء بعيداً ـ مع قطع النظر عن الجانب الغيبي ومعرفتهم مسبقاً بالأمر ـ فإن بيت الزهراء عليها السلام كان لـه بابان، باب إلى المسجد ولم يغلقه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث سدّ الأبواب بأمر الله سبحانه إلاّ بابها[٢٧٠] وباب إلى الشارع، وكان هؤلاء الأطهار عليهم السلام غالباً في المسجد أو

---

[٢٦٧] نهج البلاغة، الرسائل: رقم٤٧ ومن وصية لـه عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

[٢٦٨] سورة يونس: ٥، سورة الإسراء: ١٢.

[٢٦٩] سورة البقرة: ١٨٩.

[٢٧٠] راجع تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص١٧ سد الأبواب عن المسجد دون باب علي عليه السلام ح٤.

حواليه.

.....

ويدل على وجود البابين أنهم أحرقوا باب دارها (عليها الصلاة والسلام) الذي كان إلى الخارج لا الذي كان إلى المسجد، وسحبوا علياً (عليه الصلاة والسلام) من ذلك الباب إلى المسجد لا من الباب الذي كان في المسجد.

وقد كانت (سلام الله عليها) تبكي، فتسمع من في المسجد، مما رأوا أن بكاءها يفضحهم ـ على تفصيل مذكور في التواريخ ـ.

ولا يخفى أن عادةً ضبط الوقت مما يزيد في إقبال الناس على العمل الجاد؛ لأن الضابط يلتفت أكثر فأكثر إلى انقضاء عمره تدريجياً، وأن ما انقضى لا يعود وهذا يشجع أكثر على العمل الصالح.

ما هي حقيقة الزمان؟

وهنا نقاط حول الزمان نذكرها بالمناسبة:

هل الزمان والمكان انتزاعيان أو حقيقيان؟. ومن أية مقولة؟. بل هل هما شيئان أو شيء واحد كما ذهب إليه بعض المعاصرين؟.

إن ذلك من أغمض الأشياء قديماً وحديثاً كسائر حقائق الأشياء، فالمفهوم من أظهر الأشياء ولكنه في غاية الخفاء، ومن الطريف أن الزمان متعاكس ومتخالف طولاً وعرضاً، ففي بعض الروايات أن السلطان إذا كان عادلاً أمر الله الفلك ببطء الدوران، وإذا كان ظالماً أمر الله الفلك بسرعة الدوران[٢٧١].

[٢٧١] انظر بحار الأنوار: ج٤ ص١٠٣ ب٣ ح١٦، وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن

وقد ذكرنا في (الفقه: الآداب والسنن) كيفية اختلاف الزمان في قطعتين من الأرض في إحداهما الملك العادل وفي الأخرى الملك الظالم.

هذا من ناحية العرض[٢٧٢].

أما من ناحية الطول فهناك ما يثير الاستغراب:

فقد ورد أن الرسول ﷺ عُرج به إلى السماء، وجرت قضايا ومشاهدات كثيرة ما يستوعب ـ حسب الظاهر ـ ربما مقدار شهر من الزمان أو أكثر، بينما لما رجع لم يكن قد انقضى من الزمن في الأرض إلاّ مقدار دقيقة أو أقل[٢٧٣] مما يدل على أن الأمر في الأرض أقل من المكان أو البعد الذي دخل فيه الرسول ﷺ حتى بالنسبة إلى ذهابه إلى المسجد الأقصى.

وقد التزم جماعة[٢٧٤] بامتداد الزمان وتقلصه حسب سرعة الحركة[٢٧٥]، فإذا كان الشخص عمره عشرون سنة وتحرك دون سرعة الضوء ـ بحد معين ـ إلى مجرة أخرى مما استغرق ذهابه وإيابه خمسين سنة، فإنه إذا رجع إلى الأرض

الله عزوجل جعل لمن جعل له سلطانا مدة من ليالي وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عزوجل صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته، فطالت أيامهم ولياليهم وسنوهم وشهورهم، وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله عزوجل صاحب الفلك، فأسرع إدارته وأسرع فناء لياليهم وأيامهم و سنيهم وشهورهم، وقد وفى تبارك وتعالى لهم بعدد الليالي والأيام والشهور.

[٢٧٢] المراد زمن واحد ممتد على مساحتين.

[٢٧٣] إحدى الروايات تفيد أنه ﷺ ذهب ورجع وحركة حلقة الباب لم تتوقف بعد! مما لا يتجاوز ثوان معدودات.

[٢٧٤] منهم: انيشتاين.

[٢٧٥] من الأقوال القديمة عند الفلاسفة في حقيقة الزمن أنه مقدار الحركة، أو مقدار حركة الفلك.

يكـــون

.....

عمره سبعون سنة، بينما سيرى أنه قد انقضى من عمر الأرض أربعة ملايين سنة [٢٧٦]!.

وربما يؤيد هذا قولـه سبحانه: [**فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ**][٢٧٧] علـــى بعض التفاسير، وكذلك [**خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**][٢٧٨].

ومن الطريف في العرض ما ورد في بعض المكاشفات: إن إنسانين ماتا أحدهما مجرم والآخر محسن، فإن الأول مر عليه في ساعة واحدة مقدار ألف سنة، والثاني مر عليه في مقدار ألف سنة مقدار ساعة، ولا ينافي هذا ما سبق فليدقق[٢٧٩].

ولعله يأتي يوم ينكشف فيه حقيقة الأمر بإذن الله سبحانه.

---

[٢٧٦] انظر مجلة العربي: العدد ٤٠٠.

[٢٧٧] سورة السجدة: ٥.

[٢٧٨] سورة المعارج: ٤.

[٢٧٩] يتضح ذلك بمراجعة توجيهه ﷺ في (الآداب والسنن) لتلك الرواية الشريفة.

السلام على الأم و...

مسألة: يستحب السلام على الأم والبنت والزوجة، كما فعله أولئك الأطهار الثلاثة (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وقد أشرنا إلى المسألة سابقاً ونضيف:

لا يقال: إن ذلك من البديهيات.

لأنه يقال: إنما صارت هذه الأمور بديهية بسبب قولهم وفعلهم وتقريرهم عليهم السلام، وإلاّ فالمرأة ـ مثلاً ـ لم تكن لـها كرامة في الجاهلية، بل حتى يومنا هذا ترى بعض الجهال ينزلون المرأة إلى مرتبة الحيوان أو أدنى، كما أن الغربيين يعدون المرأة آله لترويج البضائع وترفيه الرجل، وقد رأيت أنا من يقول ـ وهو يذكر شيئاً عن زوجته ـ: (تِكرم ... زوجتي)، كما يقول في نفس الوقت: (تِكرم كلبي) فهو يعتقد بحقارتها.

لا يقال: إن الإسلام أيضاً أهان المرأة حيث قال عليه السلام: «ناقصات»[٢٨٠] وما أشبه ذلك.

لأنه يقال: قد ذكرنا في بعض كتبنا أن الإسلام أراد أن يجعل المرأة في مكانتـها الطبيعية، فلا إفـراط ولا تـفريط، فالمـراد بالنقـص الإشارة إلى

[٢٨٠] راجع تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠٤ ب٣٤ ح٢١.

التكوينية للمرأة، ونوعية وظائفها، وأنها ليست مثل الرجل، من قبيل أن السيارة الصغيرة لـها أربع عجلات في قبال السيارة الكبيرة حيث لـها ثمان عجلات أو أكثر، لا النقص بمعنى النقيصة كإنسان لا يد لـه، ولذا أكرمها الله بقوله تعالى: **[لهنّ مثل الذي عليهن]**[٢٨١].

وقال عليه السلام: «فإن المرأة ريحانة»[٢٨٢].

فالطائفتان من قبيل: **[ولقد كرمنا بني آدم]**[٢٨٣] و**[إنه كان ظلوما جهولا]**[٢٨٤] وقد تقدم الإلماع إلى مثل ذلك[٢٨٥].

---

[٢٨١] سورة البقرة: ٢٢٨.

[٢٨٢] وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٨ ب٨٧ ح٢٥٣٢٧.

[٢٨٣] سورة الإسراء: ٧٠.

[٢٨٤] سورة الأحزاب ٧٢.

[٢٨٥] للتفصيل راجع: (فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل أسوة للنساء) و(المرأة في المنظار الإسلامي) و(المرأة في المجتمع المعاصر) و(المرأة في ظل الإسلام) و(العقل يرى هذه القوانين) للإمام المؤلف قدس سره.

التسمية

مسألة: يستحب تسمية المسلَّم عليه بعد السلام مباشرة، كما قال ﷺ: «السلام عليك يا فاطمة». وقال الإمام الحسن عليه السلام: «السلام عليك يا أماه» إلى آخره.

بل يستحب تسمية كل من المسلِّم والمسَلَّم عليه الآخر، ولذا سمى الرسول ﷺ وعلي عليه السلام والحسنان عليهما السلام فاطمة (صلوات الله عليها)[٢٨٦]. والمراد بالاسم: الأعم من الكنية واللقب، وكما سمت فاطمة (سلام الله عليها) أولئك الأطهار عليهم السلام.

وقد ذكر علماء النفس أن الإنسان يهش إذا ذكر اسمه في مقام التعظيم، كما يوجب ذكر اسم المحبوب الفرح للمسمي أيضاً.

وبذلك يظهر أنه لا خصوصية في السلام والجواب، بل ملاكه ـ مثل الأدلة الأخرى كما هَنّأ بذكر اسم أولئك الأطهار عليهم السلام الرسولُ الأعظم ﷺ في قصة تلقيهم التمر، قائلا: «هنيئاً مريئاً يا حسن»[٢٨٧] وهكذا ـ يشمل كل مكان يناسب ذكر الاسم.

وفي أحاديث المعراج: إن الله سبحانه كرّر في خطاباته له ﷺ

---

[٢٨٦] جرى ذكر أدلة ومؤيدات أخرى للاستحباب سابقاً في مسألة (استحباب التلقيب) فليراجع.

[٢٨٧] بحار الأنوار: ج٤٣ ص٣١١ ب١٢ ح٧٣.

(يا أحمد)[٢٨٨]، وكذلك في خطاباته لبعض الأنبياء عليهم السلام كرر، سواء في القرآن مثل: **[وما تلك بيمينك يا موسى]**[٢٨٩] و**[ناديناه أن يا إبراهيم]**[٢٩٠] وهكذا، أو فيما روي من الأحاديث القدسية.

نعم، إذا كانت التسمية إهانة ـ في بعض الأعراف الاجتماعية ـ فلا يكون من المستحب، بل من المكروه، وأحياناً الحرام، كل في مورده.

خطاب الأم

مسألة: يستحب خطاب الأم بكلمة (يا أماه) أو ما شابه مما يُعدّ احتراماً لـها.

---

[٢٨٨] عوالم العلوم: ج١١ص٢٦ ب٣ ح١. تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام. نقلاً عن (الجنة العاصمة)، عن (كشف اللآلي) لابن العرندس بإسناده، عن جابر الأنصاري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى، أنه قال: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما».

[٢٨٩] سورة طه: ١٧.

[٢٩٠] سورة الصافات: ١٠٤.

صيغ السلام المختلفة

مسألة: قد سبق أنه يجب رد السلام، وقد سبق حكم ما لو كان المسلِّم غير بالغ، ويجوز أن يجيب بأية صيغة مثل: (عليك السلام)، و(عليكم السلام)، و(عليكم السلامات)، و(عليك السلامات)، و(عليك سلام الله)، و(عليكم سلام الله)، وكذلك إذا قدّم (السلام) على (عليك).

والظاهر أنه يكفي في كل من التسليم والرد لفظ: (السلام) فقط، ولذا قال في القرآن الحكيم: **[قالوا سلاما قال سلام]**[٢٩١]، وجعل هذا إشارة إلى أنهما سلّما بصيغة كاملة لا ظهورلـه، إذ هو مَجاز والمجاز خلاف الأصل.

وهل يكون من السلام الصيغ الأخرى مثل: (عليك التسليم)، أو (التسليم عليك)، أو (أنا مسلِّم)، أو يقول في الجواب: (أنا مسلِّم) أو ما أشبه ذلك؟.

لا يبعد ذلك، للإطلاقات، وكونه تحية وداخلاً في قوله سبحانه: **[وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها]**[٢٩٢].

ولو لم يكن في السلام ذكر الله تعالى لا لفظاً ولا تقديراً، كما لو قال: (عليك سلام الملائكة) فهل يجب الجواب؟.

.....

[٢٩١] سورة هود: ٦٩.

[٢٩٢] سورة النساء: ٨٦.

لا يُعلم الوجوب.

وكذلك لا يعلم الكفاية إذا قال المجيب: (عليك سلام الملائكة).

والحاصل أنه كلما عرف ولو بالملاك المطمئن به أنه داخل في السلام والجواب أخذ به، وكلما شك فالأصل العدم.

ولربما يُسأل: لماذا قدمت فاطمة (عليها الصلاة والسلام) الخبر على المبتدأ، بينما العادة جارية على تقديم المبتدأ على الخبر مثل: (السلام عليك أيها النبي)، و(السلام علينا)، و(السلام عليكم)؟.

الجواب: لعل السبب أن تقديم (عليك) أدل على المحبوبية، كما ذكروه في علم البلاغة من أن المقام إذا كان مقام هذا أو ذاك قدّم ما كان المقام مقامه.

ولا يبعد جواز تغيير (عليك) إلى سائر الصيغ التي تفيد هذا المعنى مثل: (السلام لك)، ولذا ورد في بعض السلامات: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يعود السلام، ودارك دار السلام، حَيِّنا ربنا منك بالسلام»[٢٩٣].

والملاك هنا أيضاً هو ما ذكرناه من الملاك الآنف وجوباً وعدماً، ولابن العم دام ظله[٢٩٤] رسالة سلامية[٢٩٥] ذكر فيها ألف مسألة حول السلام لكنها لم تطبع حتى الآن.

---

[٢٩٣] مستدرك الوسائل: ج٦ ص٣٤٥ ب٣٦ ح٦٩٦٢.

[٢٩٤] وهو آية الله العظمى السيد عبد الهادي الشيرازي دام عزه.

[٢٩٥] تحت عنوان: دار السلام في فروع السلام وأحكامه.

مدح المؤمن وتوقيره

مسألة: يستحب مدح الطرف الآخر بالحق وتوقيره، سواء في السلام أم في أثناء الكلام، أم في سائر الموارد، ومنه الإشارة بالفعل وما أشبه، ولذا قالت (سلام الله عليها): «يا قرة عيني وثمرة فؤادي».

ووجه هذه الكلمة أن الإنسان الذي فقد شيئاً أو خاف محذوراً تأخذ عينه في النظر هنا وهناك بدون استقرار، فإذا وجده أو أَمِنَ استقرت عينه، وفاقد الولد شاردة عينه فإذا جاءه الولد استقرت، فـ (قرة عيني) من القرار والاستقرار.

كما أن في بعض تعابيرهم عليهم السلام: «ثمرة فؤادي» وكأنه بمناسبة أنَّ الشجرة كما تتزين بالثمرة كذلك يتزين الإنسان بالولد، ويمكن أن تكون المناسبة غير ذلك[٢٩٦].

ومن المعلوم أن المدح يوجب قوة التجمع وتماسكه سواء في المجتمع الصغير من قبيل العائلة، أم الوسط كالقبيلة، والتجمعات المهنية، أو الثقافية، أو الاقتصادية، أو ما أشبه، أم الكبير كاهل البلد والقطر، أم الأكبر كالأمة.

لكن المدح يجب أن يكون بمقدار يطابق الواقع وأن لا يكون فيه محذور،

---

[٢٩٦] الثمرة امتداد للشجرة كماً وكيفاً وزمناً وكذلك الولد، كما أنها علة غائية لها في الجملة وهي بالفعل لما هو في الشجرة بالقوة.

وإلاّ فقد قال ﷺ: «احثوا في وجوه المداحين التراب»[٢٩٧] وذلك فيما كان تملقاً، أو ما كان من مصاديق مدح الظالم، أو ما أشبه ذلك.

وكما يستحب المدح في مورده يكره القدح ـ مع المنع من النقيض حرمة أو بدونه كراهة ـ فيما إذا انطبق عليه محرم أو مكروه.

إظهار المحبة للأولاد والأقرباء

مسألة: يستحب إظهار الأم المحبة لأولادها، كما في قولها عليها السلام: «يا قرة عيني وثمرة فؤادي».

وهذا ليس خاصاً بالأم بل كذلك حال الأب، والأولاد بالنسبة إلى الأبوين، وهكذا سائر الأقرباء، فإن إظهار المحبة نوع من الإجلال والاحترام، وهكذا حال إظهار المحبة بالنسبة إلى سائر المؤمنين.

وكما يمكن إظهار المحبة بالكلام، كذلك يمكن بالكتابة والإشارة. والفرق بين (المودة) و(المحبة) إذا اجتمعا أن (المودة) هي الظاهرة و(المحبة) هي القلبية، أما إذا افترقا فكلٌ يشمل الآخر.

[٢٩٧] بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٩٤ ب١٣٤ ح١.

فَقالَ: يَا أُمّاهُ، إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً

استحباب السؤال والتحقيق[٢٩٨]

مسألة: يستحب السؤال والاستعلام عن المجهول[٢٩٩]، ومنه السؤال عن أهل الدار عما يُستجد فيه، كما سأل الحسن ثم الحسين ثم علي (عليهم الصلاة والسلام) بقولهم: «إني أشم عندكِ رائحة طيبة».

ثم لا يخفى أن السؤال ينقسم إلى الأحكام الخمسة:

فقد يكونه واجباً كما في السؤال عن الأمور الدينية الواجبة، قال تعالى: [**فسئلوا أهل الذكرِ**][٣٠٠].

وقد يكون مستحباً كالسؤال عن الأمور الدينية أو الدنيوية المستحبة ذاتاً، أو الراجح الإطلاع عليها.

وقد يكون مكروهاً كما إذا كان مزعجاً في الجملة، أو مستلزماً للوقوع في المكروه.

وقد يكون حراماً.

قال سبحانه: [**يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم**

---

[٢٩٨] راجع (الفقه: العقل).

[٢٩٩] إذ السؤال طريق المعرفة، كما أن التفكير والتدبير طريقها.

[٣٠٠] سورة النحل: ٤٣، سورة الأنبياء: ٧.

تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم][٣٠١].

وقد يكون مباحاً كغير موارد الأحكام الأخرى[٣٠٢].

لكن لا يخفى أن السؤال المحرم ـ كالسؤال الواجب ـ ليس محرماً بذاته وإنما يحرّم لعارض، مثل أن يكون موجباً لهدر حق، أو مستلزماً ضرراً بالغاً للسائل، أو ما أشبه ذلك، وإن قال بعض بالواجب النفسي في بعض الموارد.

أما الآية المباركة فهل هي محمولة على الحرمة أو الكراهة؟. احتمالان، وإن كان الظاهر من أخيرها أنها على نحو الإرشاد والكراهة.

أما ما ورد من أن (السؤال ذل)[٣٠٣] فالمراد ـ على تقدير كون المعنى المراد هو السؤال بمعنى الاستعلام[٣٠٤] ـ الإشارة إلى حقيقة تكوينية وهي أنزلية مرتبة السائل من حيث هو سائل من المسئول منه بما هو كذلك، إضافة إلى أن كونه ذلاً لايستلزم كراهته مطلقاً، بل يدخل الأمر في باب التزاحم، ولذا ورد في الحديث: «ما ضل من استرشد»[٣٠٥]..

---

[٣٠١] سورة المائدة: ١٠١.

[٣٠٢] ربما يكون المقصود: السؤال عن ما لا يضر جهله ولا ينفع علمه بوجه.

[٣٠٣] راجع من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٥ باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح٥٧٦٢، وقال علي عليه السلام: «السؤال مذلة» ـ بحار الأنوار: ج٧٥ ص١٢ تتمة ب١٥ ح٧٠ ـ.

[٣٠٤] إذ يحتمل كون المراد به الاستجداء، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبي ذر: «يا أبا ذر، إياك والسؤال! فإنه ذل حاضر، وفقر تتعجله، وفيه حساب طويل يوم القيامة» ـ من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٥ باب النوادر وهو آخر أبواب الكتاب ح٥٧٦٢ ـ.

[٣٠٥] بحار الأنوار: ج٧٥ ص١٢ تتمة ب١٥ ح٧٠.

وورد: «ولا يستحيَنَّ أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه»[٣٠٦].

ولذا قالوا: «اسأل عن أمور دينك حتى يقال: إنك مجنون»، بمعنى كثرة السؤال.

استعمال الطيب[٣٠٧]

مسألة: يستحب استعمال الطيب خصوصاً المتزايد منه، كما كانوا يجدونه فيه ﷺ وكما دل عليه حديث الكساء، حيث كان النبي ﷺ يكثر من الطيب، بالإضافة إلى ما كان لـه من الحسن والطيب الذاتي، ولعل استعماله الطيب مع عدم حاجته إليه بدنياً، كان بغية أن يتساقط منه في الطريق[٣٠٨] كما في الأحاديث، وأن يكون أُسوة فلا يقولون إنه طيب ذاتاً، فما لي وله؟.

وقد ورد في الحديث أنه ﷺ أمر بأن يشترى بثلثي مهر الزهراء (سلام الله عليها) الطيب[٣٠٩].

وفائدة الطيب لا تنحصر في الرائحة الحسنة فقط، بل لـه فوائد أخرى منها: إنـه منشـط للأعصاب، ومـوجب لعدم نفرة بعض عن بعض، بل موجب

---

[٣٠٦] نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨٢.

[٣٠٧] راجع (الفقه: الآداب والسنن).

[٣٠٨] إذ أن قسماً من الطيب المائع، وهناك قسم جامد كالطحين يذر على الملابس ونحوها مثل: الذريرة والسعوط والمسك.

[٣٠٩] راجع المناقب لابن شهر آشوب: ج٣ ص٣٥٢ فصل في تزويجها عليها السلام.

للتقارب أكثر فأكثر، فإن الإنسان ينفر من الروائح الخبيثة، بينما ينتعش ويستأنس بالروائح الطيبة. إذ الإنسان مفطور على حب النظافة، و«النظافة من الإيمان»[٣١٠] في كل شيء، في الدار والأثاث والبدن والدكان واللباس وغير ذلك.

وللطيب بحوث كثيرة مذكورة في كتب الحديث والطب وغيرهما[٣١١].

أما استعمال الروائح المنفرة وما يستلزمها كالتدخين فهو من أسوأ الأشياء، حيث يستلزم القذارة والوساخة في الإنسان وغيره، كما يستلزم تنفير الناس خصوصاً الزوجة من الزوج المدخن وبالعكس، وكذلك يستلزم الأمراض كالسرطان والتدرن الرئوي وغيرهما.

ثم إن الروائح الكريهة مكروهة استعمالاً، إلاّ إذا سببت إيذاءً للناس فإنها عندئذ محرمة[٣١٢].

ولا يخفى أن الجوارح لها أحكام، فللأذن أحكام، وللعين أحكام، وللسان والذوق أحكام، وللمس أحكام، وأما الأنف فلم نجد لـه حكماً إلاّ في الحج، حيث يحرم إمساك الأنف عن الروائح الكريهة.

ومن المحتمل أن يكون من المكروه أيضاً استشمام رائحة المرأة الأجنبية، ولذا قالـت (سلام الله عليها) ـ في قصـة ابن أم مكتوم ـ: «وأشم ريحه»[٣١٣]، حيث

---

[٣١٠] مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٣١٩ ب٩٢ ح٢٠٠١٦.

[٣١١] تطرق الإمام المؤلف قدس سره لذلك في العديد من كتبه ومنها: (الفقه: الآداب والسنن)، و(الفقه: الحج).

[٣١٢] الإ في صورة التزاحم، ويستثنى أيضاً ما كان متعارفاً.

[٣١٣] راجع مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٢٨٩ ب١٠٠ ح١٦٧٤٠.

إن

.....

الكراهة في الجانبين أي: شم الرجل رائحة المرأة، وشم المرأة رائحة الرجل، أما إذا كان موضع ريبة وافتتان فلا يبعد الحرمة.

كما أن استعمال المرأة التي تخرج من البيت للطيب بحيث يشم ريحها الأجانب مكروه جداً، وقد قال بعضهم بالحرمة ولو لم يكن موضع ريبة وتلذذ وخوف افتتان.

ولا يبعد استحباب شم الأطفال رحمة ورأفة بهم كما ورد بالنسبة إلى رسول الله ﷺ حيث كان يشم علياً عليه السلام في طفولته، وهناك بعض الروايات الأخرى بالنسبة إلى استشمامه للحسنين (عليهما الصلاة والسلام) وكذلك فاطمة (صلوات الله عليها).

وأحكام الطيب في الحج واضحة.

عدم التسرع في الحكم

مسألة: يرجح عدم التسرع في الحكم على شيء قبل استظهاره، كما في قول الحسن عليه السلام ثم الحسين عليه السلام: «كأنها رائحة جدي».. وقول علي عليه السلام: «كأنها رائحة أخي وابن عمي».

والجاهل غالباً يتسرع في إصدار أحكامه بشكل قطعي، كما نشاهد ذلك في كثير من العوام والأطفال.

بينما العاقل لا يقطع ثبوتاً، ولا يتسرع في ذكره إثباتاً، إلاّ بعد التأكد والتفحص والتثبُّت، وحتى بالنسبة إلى القطعيات العرفية فإن كثيراً منها يشك فيها لدى التأمل، فيلزم على الإنسان أن لا يقطع بها فوراً، بمعنى أن تكون لـه حالة من التساؤل والتردد وطرح شتى الاحتمالات، ولذا ذكروا: إن أخطاء الحواس ـ من العين والأذن وغيرهما ـ تصل إلى ثمانمائة قسم، ومن قرأ علم الفلسفة والفيزياء وما أشبه، ظهر لـه كثرة أخطائه حتى في القطعيات[٣١٤].

وهل كانت رائحة الرسول ﷺ رائحته الذاتية المنبعثة من جسده المبارك، أو رائحة طيبة مكتسبة؟.

احتمالان.

---

[٣١٤] حول الجوانب المختلفة لهذا المبحث راجع (الفقه: العقل)، و(الأصول: مبحث القطع).

فإن كانت تلك الرائحة رائحة طيبة مكتسبة دل هذا الكلام ـ ونحوه مما ورد في الروايات ـ على أنه ﷺ كان يستعمل عطراً خاصاً دائماً أو غالباً حتى عُرف به.

الإتيان باللقب

مسألة: قد سبق أنه يستحب الإتيان باللقب، كما في قوله عليه السلام: «جدي رسول الله».. وكذلك في قول علي عليه السلام: «أخي».

بحث في مؤاخاته ﷺ لعلي عليه السلام

ثم لا يخفى أن الرسول ﷺ آخى بين أهل مكة رجالاً ونساءً، الرجال للرجال، والنساء للنساء مرة، وآخى بين المهاجرين والأنصار ـ رجالاً ونساءً كذلك ـ في المدينة المنورة مرة ثانية[٣١٥] وفي كلتا المرتين اتخذ علياً عليه السلام أخاً لنفسه دون غيره.

أما في مكة فهو واضح[٣١٦]..

---

[٣١٥] حول هذا المبحث راجع (لأول مرة في تاريخ العالم) للإمام المؤلف قدس سره.

[٣١٦] لوجود المقتضى وانتفاء المانع، وأما في المدينة فلربما يتوهم أن فلسفة الإخاء فيها كانت مانعاً من اتخاذه أخاً وسبباً ليتخذ أحد الأنصار أخاً، ولذلك تصدى الإمام المؤلف قدس سره للإجابة عن ذلك.

وأما في المدينة ـ مع أن فلسفة الإخاء فيها كانت تقتضي أن تكون بين المهاجرين ومثله من الأنصار ـ فلإفادة أنه ﷺ لا يمكن أن يكون لـه أخ في مستواه، كما أن علياً عليه السلام لا يمكن أن يكون لـه أخ في مستواه، وإنما هما نور واحد وأحدهما أخ الآخر، وإن كان الرسول ﷺ في المرتبة الأولى وعلي عليه السلام في المرتبة الثانية.

ولعلّ من أسباب هذا التآخي إفادة أنه ﷺ مع علي عليه السلام كموسى وهارون عليهما السلام اعتباراً، وإن لم يكن أخاه حقيقة كما كان هارون عليه السلام أخاً لموسى عليه السلام حقيقة.

ويدل عليه حديث المنزلة المشهور بين الشيعة والسنة، حيث قال ﷺ: «يا علي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي»[٣١٧].

[٣١٧] بحار الأنوار: ج٣٢ ص٤٨٧ ب١٢ ح٤٢٠.

فَقُلتُ: نَعَم، إنَّ جَدَّكَ تَحتَ الكِساءِ

الإجابة على الأسئلة

مسألة: تستحب الإجابة على سؤال السائل فإنه من مصاديق (قضاء الحوائج)، وقد يكون من صغريات (إرشاد الجاهل)، و(تنبيه الغافل)، ومن مصاديق (المعروف).

وهذا أيضاً ينقسم إلى الأحكام الخمسة، كما ذكرناه في باب السؤال، على تلك الوتيرة.

ويصح أن تكون الإجابة باللفظ أو الكتابة أو الإشارة؛ لأن الكل يفيد شيئاً واحداً.

نعم قد يكون بعضها أولى من بعضها الآخر، فإن في الجواب لفظاً احتراماً لا يتحقق ـ عادةً ـ مثله في الإشارة.

الوضوح والتعجيل والإيجاز

ويستحب أيضاً التعجيل في الإجابة وبدون لبس أو إبهام[٣١٨] ولذا نرى أنها عليها السلام فور سؤال الحسن والحسين وعلي عليهم السلام قالت: «نعم إن جدك تحت الكساء»، و«ها هو مع ولديك تحت الكساء».

[٣١٨] إذ ذلك من مصاديق (الإتقان)، والتعجيل تعجيل في قضاء حوائج الإخوان.

كما يرجح أن يكون الجواب على قدر السؤال[٣١٩]، ولكن قد يكون تطويل الجواب وتفصيله مطلوباً وإن كان أكثر من حدود سؤال السائل كما أنها (عليها الصلاة والسلام) قالت: «تحت الكساء» زيادة على المسئول عنه[٣٢٠] لمحبوبية التكلم مع المحبوب كما ذكره علماء البلاغة في قولـه سبحانه: **[هِيَ عصايَ أتوكؤا عليها وأهشُ بِها على غنمِي ولِيَ فِيها مآرِبُ أخرى]**[٣٢١] حيث كان تكلمه مع الله سبحانه وتعالى محبوباً لموسى عليه السلام مع أن في إجابته: **[هِيَ عصايَ]** كفايةٌ في مقام الجواب على سؤال الله سبحانه وتعالى.

ولكن قد يكون السبب في إطالة الجواب على سؤال الله جهة أخرى غير هذه الجهة التي ذكرها علماء البلاغة من محبوبية إطالة الكلام مع السائل وهي:

إن موسى عليه السلام أراد أن يعدد الفوائد كي يستكشف أن الله سبحانه وتعالى أراد أية فائدة منها، حيث لم يكن هناك قرينة مقامية تعين المراد والهدف المقصود، كما إذا قال إنسان لشخص آخر بيده كتاب: ما هذا الذي بيدك؟.

فيقول: كتاب فيه مختلف العلوم الأدبية من النحو والصرف والبلاغة والاشتقاق ونحوها، وهو بهذا يحاول أن يطلع السائل على محتويات الكتاب حتى إذا كان مراده النحو أو الصرف أو البلاغة أو الاشتقاق اشتراه أو استعاره أو ما أشبه ذلك، وإذا كان مراده اللغة أو التفسير مثلاً أو ما أشبه ذلك لم يأخذه.

---

[٣١٩] وذلك من (الحكمة).

[٣٢٠] إذ ظاهر السؤال كان عن أصل وجوده صلى الله عليه وآله وسلم.

[٣٢١] سورة طه: ١٨.

إلى غير ذلك من الفوائد المحتملة في إطالة السؤال أو الجواب، ولربما كان في إجابتها عليها السلام «تحت الكساء» جهة أخرى غير صرف محبوبية الكلام مع المحبوب فليدقق.

ثم إن الأفضل في الجواب ـ كما أشير إليه ـ أن يكون حسب مقتضى الحال من الإجمال أو التفصيل، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجاب: «نحن من ماء» في القصة المشهورة [٣٢٢]؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يرد أن يبين الخصوصيات، وقد صدق صلى الله عليه وآله وسلم لأن الإنسان مخلوق من الماء.

وقد لا يمكن التفصيل؛ لأن ذهن الطرف المقابل لا يستوعبه أو يتحمله كما قال سبحانه: [**يسئلونك عنِ الروحِ قلِ الروحُ منِ أمرِ ربي**][٣٢٣]، فإن الإنسان لا يستوعب حقيقة الروح كما أنه لا يستوعب حقيقة النفس والعقل وكثير من الصفات النفسية كالغضب والحزن والصفات الأخرى، بل إن الإنسان يجهل حتى حقيقة نفسه[٣٢٤]، وقد يكون من حِكَم ذلك: أن يعترف الإنسان بعجزه فيعدل عن غروره وكبريائه.

ولذا نحن نعيش سبعين أو ثمانين أو مائة وربما مائة وخمسين سنة، وبعد ذلك كله لا نعرف كثيراً من حقائقنا الداخلية إلاّ على نحو مجمل جداً، فما هو المخ؟ وما هو الكبد؟ وما هي الرئة؟ إلى غير ذلك.

---

[٣٢٢] شرح نهج البلاغة: ج١٤ ص١١٤ الفصل الثالث قصة غزوة بدر.

[٣٢٣] سورة الإسراء: ٨٥.

[٣٢٤] كتب أحد علماء الغرب كتاباً أسماه: (الإنسان ذلك المجهول).

نعم، أنبياء الله والمعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) يعرفون الشيء الكثير الكثير الذي لا نعرف منه حتى القليل القليل، وهذا بحث طويل مذكور في كتب علم (النفس الإنسانية) وفي كتب سائر العلوم المرتبطة بحقائق الأشياء.

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ الذي هو في أعلى مراتب العلم قائلاً: **[وقل ربِ زِدنِي علِما]**[٣٢٥].

وأخيراً فإنه يمكن الاسترشاد بهذه الرواية ـ حديث الكساء ـ ونظائرها لضرورة اهتمام الأبوين والأمهات بما يسأله الطفل، وعدم إهمال الإجابة على أسئلته ـ كما يفعله كثير من الآباء والأمهات ـ ..

وقد ثبت علمياً ما لذلك من التأثير الكبير على شخصية الطفل وفكره وسلوكه الحالي والمستقبلي.

---

[٣٢٥] سورة طه: ١١٤.

التوجه نحو العظيم

مسألة: يستحب الإقبال والتوجه نحو العظيم، والوفود إليه، كما صنع الحسن والحسين وعلي وفاطمة عليهم السلام.

فإن العظيم يُزار ولا يزور[٣٢٦] إلا إذا كان مأموراً بالزيارة بنفسه، كما في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان يزور لتبليغ رسالات الله أو للحسبة، وكذلك كان علي (عليه الصلاة والسلام) يدور في الأسواق للحسبة فيأمر وينهى، وقد وردت بذلك روايات متعددة.

وقد ورد في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه وأحمى مياسمه»[٣٢٧]..

فإن كثيراً من الأطباء في العصور السابقة وفي عصرنا الحاضر في بعض البلاد كالهند والصين يدورون في الأسواق والأزقة وعلى البيوت والمحلات وغيرها لأجل معالجة المرضى.

---

[٣٢٦] أي من شأنه ـ إكراماً لمكانته ـ أن يزوره الناس، وليس من الصحيح أن يتعامل الآخرون معه كمعاملتهم للأفراد العاديين، ولكن ذلك ليس بمعنى أن يتكبر على الناس فإن التكبر مذموم، بل هذا الكلام للإرشاد إلى ضرورة إكرامه وتعظيمه وعدم التوقع منه كما يتوقع من الآخرين.

[٣٢٧] نهج البلاغة، الخطب: رقم١٠٨ ومن خطبة لـه عليه السلام وهي من خطب الملاحم. وفيه: أحمى مواسمه.

وكذلك كان الأنبياء والرسل عليهم السلام يدورون في أماكن مختلفة، وكان عيسى عليه السلام ينتقل من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل قبيلة قبيلة ويذهب إلى هنا وهناك.

ومن المعلوم أن الوفود على العظيم والاستماع لـه سواء كانت عظمته معنوية أو علمية أو نحو ذلك يوجب استفادة الإنسان من معنوياته وعلومه وما أشبه، ولذا ورد: من مشى إلى العالم خطوتين، وجلس عنده لحظتين، وتعلم منه مسألتين، بنى الله لـه جنتين، كل جنة أكبر من الدنيا مرتين.

وقد ذكرنا في بعض كتبنا أن الله سبحانه وتعالى لا منتهى لرحمته، كما أن الإنسان الذي يدخل الجنة لا منتهى لوجوده هناك زماناً، ولهذا فأمثال هذه الأحاديث ليست مستبعدة إطلاقاً.

وعدم تصديق بعض الناس لمثل هذه الأمور أو زعمهم أنها غير مجدية لا يغير هذه الحقيقة، فإن مَثل الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كمثل الدنيا بالنسبة إلى الطفل الذي في الرحم، فإذا قيل للطفل الذي في الرحم: إن الدنيا بهذه السعة وهذه الألوان والكيفيات والخصوصيات والمزايا لا يكاد يصدق، بل ليس بمقدوره أن (يتصور) ذلك فضلاً عن (التصديق)؛ لأن الإنسان إنما يصدق ما ألفه واستأنس به، ولذا ورد أن الإنسان يرى في الآخرة: «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٣٢٨].

ثـم إن استحبـاب الإقبال نحو العظيم ـ بالإضافة إلى أنه عقلي ـ مشمول

[٣٢٨] راجع من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص١٧ باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٤٩٦٨.

لمثل

.....

قولـه (عليه الصلاة والسلام): «ولم يوقر صغيركم كبيركم»[٣٢٩] كما قال العكس مشمول لقوله (عليه الصلاة والسلام): «ولم يرحم كبيركم صغيركم»[٣٣٠]، إلى غير ذلك من الأدلة في الجانبين.

ثم إن الإقبال نحو المعصوم عليه السلام والوفود إليه وزيارته هو أجلى مصاديق هذا الأمر الراجح، ولا فرق في ذلك بين حالة حياتهم عليهم السلام وحالة مماتهم عليهم السلام .. وقد وردت روايات متواترة في فضل زيارة قبورهم عليهم السلام[٣٣١] خاصة زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام فراجع.

[٣٢٩] مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٣٣ ب٣٩ ح١٤٢١٦.

[٣٣٠] مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٣٣ ب٣٩ ح١٤٢١٦.

[٣٣١] راجع الكافي: ج٤ ص٥٧٩ باب فضل الزيارات وثوابها.

بحث في معنى السلام و...

مسألة: يستحب سلام الوارد على المورود عليه، وكذلك يستحب سلام الصغير على الكبير.

ولا يخفى أن السلام بمعنى أن يكون الطرف سالماً عن الآفات والعاهات وغيرها، وقد كان السلام تحية الأنبياء عليهم السلام كما يدل على ذلك قوله سبحانه: **[قالوا سلاما قال سلام]**[٣٣٢]..

كما أن البسملة كانت معهودة متداولة لدى الأنبياء السابقين عليهم السلام أيضاً، كما ورد في قصة الهدهد: **[إِنَهُ مِن سليمان وإِنَهُ بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحِيمِ]**[٣٣٣] وذلك لأن الأحكام بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام واحدة[٣٣٤] إلاّ في بعض الخصوصيات، ولذا قال صلى الله عليه وآله: «إني بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق»[٣٣٥].

أما السلام بالنسبة إلى الأموات، فالظاهر أنه إما تحية محضة منسلخة عن معناها اللغوي، وإما بمعنى: السلامة في الآخرة؛ لأن السلامة في الآخرة

---

[٣٣٢] سورة هود: ٦٩.

[٣٣٣] سورة النمل: ٣٠.

[٣٣٤] ولذلك جرى استصحاب الشرائع السابقة فيما لم يثبت فيه النسخ، بل كان ذلك للإطلاقات راجع (الأصول) للإمام المؤلف قدس سره.

[٣٣٥] راجع مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٧ ب٦ ح١٢٧٠١.

أيضاً

.....

مطلوبة للإنسان، بل المطلوب الواقعي لـه ذلك إذا قيس إلى الدنيا، إذ الدنيا مؤقتة وزائلة، بينما الآخرة باقية ودائمة، ولذا قال عليه السلام كما يحكيه القرآن الحكيم: [**والسلامُ عليَّ يومَ وُلِدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أبعثُ حيّا**][٣٣٦]، فسلامة الولادة تمتد إلى ساعة الموت، كما أن سلامة الموت تمتد إلى الحشر، وسلامة الحشر تمتد إلى الأبد، لوضوح أن الطفل إذا ولد ناقصاً كما إذا كان أعمى أو أعرج أو أصم أو أبكم أو ما أشبه ذلك بقي كذلك إلى حين موته على الأغلب الأغلب، وكذلك الأمر إذا كان الإنسان مبتلى حال موته فإنه يبقى كذلك ـ في الجملة ـ كما ورد: «إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»[٣٣٧].

نعم، قد تنال الإنسان الشفاعة وهو في القبر أو في يوم القيامة.

لا يقال: لا يحتاج الأمر إلى السلامة يوم يبعث حياً؛ لأن الإنسان الذي يسلم في القبر يسلم في الحشر.

لأنه يقال: ليس كذلك لأنه ورد في روايات متعددة: إن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النيران، وإما يلهى عن بعضهم إلى الحشر، فمن الممكن أن يكون الإنسان سالماً حين الموت ـ فترة القبر ـ ولا يكون سالما في الآخرة، كما لو جرى لـه امتحان إلهي هناك، بسبب أنه كان يعيش في الفترة

---

[٣٣٦] سورة مريم: ٣٣.

[٣٣٧] بحار الأنوار: ج٦ ص٢١٤ ب٨ ضمن ح٢.

بين الرسل وما أشبه ذلك وخرج من الامتحان فاشلاً فإنه سيعاقب حينئذ.

وهذا بحث كلامي ذكرناه استطراداً.

أَتَأذَنُ لي أَن أَدخُلَ مَعَكَ

الاستئذان

مسألة: يستحب وقد يجب الاستئذان من العظيم للحضور بمحضره، كما استأذنوا عليهم السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فإنه مستحب إذا كان في مكان مباح ونحوه..

وواجب إذا كان المكان خاصاً بالعظيم على نحو آكد، فإنه يجب الاستئذان حين الدخول في مكان الغير فكيف بما إذا كان عظيماً.

وربما يقال:

مِن جمع الواجب والمستحب كالصلاة الواجبة في المسجد مما يوجب التأكد، كما ذكروا في الواجبات المصادفة للمستحبات، وبالعكس.

والمراد بالعظيم ـ هاهنا ـ: هو العظيم معنوياً، أما العظيم المادي كالأكثر مالاً أو سلاحاً أو عشيرة فليس لـه هذا الحكم، قال سبحانه: **[وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى]**[٣٣٨].

نعم، إذا صدق عليه الكريم يشمله قولـه (عليه الصلاة والسلام): «أكرموا

---

[٣٣٨] سورة سبأ: ٣٧.

كريم كل قوم»[٣٣٩].

.....

ولو استأذن فأذن لـه فلا إشكال.

وإن استأذن فلم يأذن لـه، فإذا كان المحل مباحاً جاز الدخول وإن كان لايبعد الكراهة حينئذ؛ لأنه نوع هتك لـه، لكن الهتك لا يصل إلى حد الحرمة.

أما إذا كان في المحل الخاص به حَرُم.

ولو استأذن فلم يعلم أنه أذن لـه أم لم يأذن؟

لم يجز الدخول للأصل.

[٣٣٩] مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٩٥ ب٥٧ ح٩٧٨٠.

حق السبق[٣٤٠]

مسألة: يستحب استئذان المتأخر من المتقدم في الاستفادة مما يعد حقاً للسابق، ومن صغرياته ما ورد ها هنا حيث استأذنوا عليهم السلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الدخول معه تحت الكساء.

وحق السبق قد تجب مراعاته، وقد تستحب، كل في موضعه.

فإذا تحقق الحق عرفاً وجب المراعاة لما في جملة من الروايات من أنه: «لا يبطل حق مسلم»[٣٤١]، مثل حق التحجير وحق المسجد والمدرسة والسوق وما أشبه، مما ذكر في كتاب إحياء الموات[٣٤٢].

وإلاّ [٣٤٣] كان من الأفضل المراعاة؛ لأنه من الأدب والأخلاق، فيشمله دليلهما، مثل حق الكلام وحق السؤال عن العالم وحق السوم وما أشبه ذلك.

ولو شك أنه من الحق الواجب أو المستحب كان الأصل عدم الوجوب؛ لأنهما شريكان في الرجحان، فالزائد يحتاج إلى الدليل، وإلاّ فالأصل البراءة.

---

[٣٤٠] راجع لهذا الفصل (الفقه: القواعد الفقهية).

[٣٤١] بحار الأنوار: ج١٠١ ص٣٩٧ ب٣ ح٤٤.

[٣٤٢] موسوعة (الفقه): ج٨٠ كتاب إحياء الموات.

[٣٤٣] بأن لم يكن حقاً عرفاً بحيث يتحقق معه موضوع الروايات وإن أطلق عليه الحق لغة كحق الأسبق في السؤال وشبهه.

ولو لم يعلم أيهما السابق، فالمحكَّم القرعة؛ لأنها لكل أمر مشكل.

نعم، في الأمور المالية يجب الرجوع إلى (قاعدة العدل) المستفادة من مستفيض الروايات على ما ذكره (الجواهر)[٣٤٤]، وفي كتاب الخمس، وكذلك ذكرناه في موارد متعددة من (الفقه) وخصوصاً في كتاب (القواعد الفقهية).

ولا يخفى أنه في بعض الموارد لا تجري القرعة ولا قاعدة الماليات، وإنما تجري قاعدة ثانوية، كما إذا لم يعلم الوالي أيهما قتل والده، حيث لا يجوز لـه قتلهما ولا قتل أحدهما على سبيل البدل؛ لأن الحدود تدرأ بالشبهات.

وكما إذا لم يعلم الزوج أيتهما زوجته، أو زوجها، لم يجز لـه ولها الاقتراع، ولا تجري قاعدة العدل بالتقسيم بينهما، إلى غير ذلك من الموارد التي ذُكرت في الفقه.

لا يقال: التحاكم إلى القرعة تحكيم لغير العاقل على العاقل، وليس ذلك من عمل العاقل؟.

لأنه يقال: بل هو تحكيم للعقلاء، فإن العقلاء جعلوا القرعة حاكماً عند التحير ـ في مواردها ـ.

لا يقال: يعود المحذور إذ العقلاء حكّموا غير العاقل؟.

لأنه يقال: حيث لم يجد العقلاء أفضل من هذا الطريق لحل المنازعات منحوه الاعتبار، فهو من ترجيح الراجح على المرجوح[٣٤٥].

---

[٣٤٤] تأليف العلامة الشيخ محمد حسن النجفي ﵀ المتوفي سنة ١٢٦٦هـ.

[٣٤٥] إضافة إلى ما ورد من أن الله تعالى يجعل الرشد أو الخير في الاقتراع، وإن بدى في بادي النظر غير ذلك، فكثيراً ما يكون الخير عكس ما يتصوره الإنسان خيراً.. «ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبه الأمور» ـ دعاء الافتتاح

وعلى أي حال فحيث كان الحق خاصاً بالرسول ﷺ لم يستأذن ثالثهم عليهم السلام منهما، بل من الرسول ﷺ وحده، وهكذا بالنسبة إلى رابعهم وخامسهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

-

قال تعالى: [عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ] ـ سورة البقرة: ٢١٦ ـ .
وأما قوله عزوجل [فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ] ـ سورة الصافات: ١٤١ ـ فلقد كان ذلك خيراً ليونس عليه السلام امتحاناً وترفيعاً للمكانة وللدرجات ولغير ذلك: كالاعتبار مثلاً.

فَقالَ: وَعَلَيكَ السَّلامُ يا وَلَدِي

شمول الولد للسبط

مسألة: ولد البنت يعتبر (ولداً).. كما قال ﷺ: «يا ولدي».

وهذا واضح لأن من يخلق من ماء الإنسان ابتداءً أو استدامة يكون ولداً، ويكون المخلوق منه والداً، سواء بالنسبة إلى الوالدين أو إلى الأجداد والجدات.

نعم بعض الأحكام الشرعية خاصة بمن يولد من الرجل لا المرأة، كباب الخمس والزكاة، كما ذكرها الفقهاء في كتبهم الفقهية.

ولذا ذكر جمع من الفقهاء ـ وليس بمستبعد ـ بالنسبة إلى ولد الزنا أنه ولد عقلاً وعرفاً ولغةً بل وشرعاً أيضاً، وإنما المخصص بعض الأحكام كالإرث، وإن كان صاحب المستند قدس سره[٣٤٦] وسّع في التخصيص كما لا يخفى لمن راجعه.

والشاعر[٣٤٧] الذي قال:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

استعمل نوعاً من المغالطة؛ لأنه لا منافاة بين أن يكون ولد الرجل الأبعد

---

[٣٤٦] العلامة الفقيه المولى أحمد بن محمد مهدي النراقي رحمه الله المتوفى سنة ١٢٤٥هـ.

[٣٤٧] الشاعر مجهول، وقيل هو لعمر بن الخطاب على ما ذكره جامع الشواهد فصل الباء بعده النون، وأما الكرماني فقد نسبه إلى الفرزدق في شرحه لشواهد شرح الكافية.

وولده أيضاً، إذ الولد مخلوق من ماء الرجل والمرأة معاً فهو ولدلـهما.

وكما يشمله الولد كذلك يشمله الذرية، كما في قصة عيسى عليه السلام حيث ألحقه الله بنوح عليه السلام من جهة أمه مريم عليها السلام.

أما شمول الخاصة والعامة والحامة ونحو ذلك أولاد البنت فلا غبار عليه إطلاقاً.

وكما أن ولد البنت ولد، كذلك بنت الولد، ولذا فقوله سبحانه: **[ووالدٍ وما ولد]**[٣٤٨] يشمل كليهما كما يشمل الوالدين أيضاً.

مسألة: يستحب بيان أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول لكل من الحسن والحسين عليهما السلام: «يا ولدي»، إذ في ذلك إحقاق للحق ورد لمن زعم أن ولد البنت ليس ولداً، وذكر لإحدى فضائلهم عليهم السلام.

[٣٤٨] سورة البلد: ٣.

إظهار العطف للسبط

مسألة: يستحب إظهار الجدّ عطفه ومحبته وعنايته بأسباطه، كما قال النبي ﷺ: «يا ولدي ويا صاحب حوضي».

بحث عن حوض الكوثر

ولا يخفى أنه لا منافاة بين أن يكون الحوض للرسول ﷺ في المحشر، وبين أن يكون علي عليه السلام هو الساقي، وبين أن يكون الحسن عليه السلام صاحبه، إذ قد تكون للشيء الواحد إضافات ونسب متعددة، وقد تختلف الأحكام بالاعتبارات المختلفة، فالله سبحانه وتعالى منح الحوض للرسول ﷺ وجعل الساقي العام عليه علياً (عليه الصلاة والسلام) وجعل الحسن عليه السلام صاحبه، بمعنى اختصاصه به بعد الرسول ﷺ طولياً، كما أن العبد مملوك لسيده في طول ملكية الله تعالى لـه.

كما أن الظاهر أنهم جميعاً (عليهم الصلاة والسلام) يسقون الناس من ذلك الحوض.

لا يقال: لما خص الحوض بالذكر في الأحاديث الشريفة ـ عادة ـ مع أن الإنسان بحاجة إلى الطعام أيضاً في يوم القيامة إذ أنه خمسون ألف سنة؟.

لأنه يقال: إن حاجة الإنسان إلى الماء أشد ـ يومئذ ـ منه إلى الطعام، وذلك نظراً إلى العطش الشديد الذي يستولي على الناس من الحرّ وغيره، ولذلك تركزت العناية على ذكره.

ولقد ورد في بعض الأحاديث: إن أرض المحشر تتحول ـ بإذن الله ـ إلى شيء من المأكول كالخبز يأكل منه الناس، كما أنه لا يستبعد أن يكون هناك مختلف أنواع الفواكه والمآكل والمشارب تحت ظل العرش للمؤمنين.

وكذلك من المحتمل أن يكون هناك الزواج أيضاً لوضوح أن الإنسان يحتاج حسب طبيعته إلى الزوج والزوجة طيلة خمسين ألف سنة، ويؤيده ما ورد من وجود الحور العين في القبر وفي الجنة، فتأمل.

وربما يقال: إن القبر إذا كان كذلك فالمحشر يكون بطريق أولى، وإن كانت هذه تقريبات لا يمكن القول بها إلاّ بعد ورود الدليل بالنسبة إلى الزواج.

وكذلك لم ترد الإشارة إلى كثير من شؤون الإنسان في المحشر، وربما تكون قد ذكرت في الروايات ولم تصل إلينا [٣٤٩].

توقير الطفل وذكر فضائله

مسألة: يستحب احترام الطفل وتوقيره وذكر فضائله، لطريقيته ومقدميته، وقال تعالى: [**وأمّا بِنِعمةِ ربِّكَ فحدِّث**][٣٥٠].

---

[٣٤٩] حول هذه المباحث راجع (كفاية الموحدين) وكتاب (حق اليقين).

[٣٥٠] سورة الضحى: ١١، واطلاقه يشمل النعمة للشخص ولغيره.

فإن إعطاء الشخصية للطفل يوجد حالة معنوية في نفسه تنتهي بالنتيجة ـ في كثير من الأحيان ـ إلى تكوين شخصية أكثر تكاملية للطفل، كما ثبت ذلك في علم النفس، فإن ذكر فضائل الطفل يكرسها في نفسه، كما أن الإيحاء والإغراء لـه مقام في نفس المغرى ـ بالفتح ـ سواء كان الإغراء بالباطل أم بالحق، بالحرام أم بالحلال، بالكبر أم بالدناءة، وإن كان في طرف الفضائل أشد تأثيراً؛ لأن الإغراء بالفضائل فطري أيضاً، فتساعد الفضيلة الفطرة، وليس كذلك في جانب الرذائل إذ الرذائل ليست فطرية.

وما نجد في بعض الآيات من ذم الإنسان مثل قولـه سبحانه: **[إِنَّهُ كان ظلوما جهولا]**[٣٥١] وقولـه سبحانه: **[إِن الإِنسان خلِق هلوعا]**[٣٥٢] وما أشبه ذلك، فالظاهر إنها بالأمور العارضة [٣٥٣]، وإنما الأصل قوله سبحانه: **[ما ترى فِي خلقِ الرحمنِ مِن تفاوتٍ]**[٣٥٤] وقولـه سبحانه: **[فِطرت اللهِ التِي فطر الناس عليها]**[٣٥٥] وقولـه سبحانه: **[ولقد كرمنا بنِي آدم وحملناهم فِي البر والبحرِ]** [٣٥٦] وما أشبه ذلك.

---

[٣٥١] سورة الأحزاب: ٧٢.

[٣٥٢] سورة المعارج: ١٩.

[٣٥٣] ومقام الفعل وضمن دائرة الإدارة كما سبق فليراجع.

[٣٥٤] سورة الملك: ٣.

[٣٥٥] سورة الروم:٣٠.

[٣٥٦] سورة الإسراء: ٧٠.

... والكبير أيضا

وهذا ليس خاصاً بالطفل وإنما الكبير كذلك مع اختلافهما في أن الطفل أكثر تأثيراً بالإيحاء والإغراء، بينما الكبير ليس كذلك، ولهذا قال الشاعر[٣٥٧]:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت وليس ينفعك التقويم للحطب

مع أنا نرى أن كثيراً من الكبار أيضاً يرضخون للحق أو للباطل إذا حُرِّضوا عليهما، أو أُغروا بهما، ولذا نجد كثيراً من أصحاب رسول الله ﷺ دخلوا الإسلام طوعاً مع أنهم كانوا في مرحلة الكهولة أو بعدها، وهكذا العكس في بعض الموارد الأخرى.

فالاحترام والإهانة والتربية والتعلم والتشجيع وما أشبه ذلك ـ مما يرد إلى النفس من الخارج ـ كلها مؤثرة في النفس، من غير فرق بين أن يكون كل ذلك عن طريق السمع أو البصر أو اللمس أو ما أشبه ذلك، بل وحتى الفكر، ولذا كان اللازم التفكر بالخير دون الشر.

ولذا ورد: «فكر ساعة خير من عبادة سنة»[٣٥٨]، أو «ستين سنة»[٣٥٩]، أو «سبعين سنة».

وقال الله سبحانه وتعالى قبل ذلك: [**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله**

---

[٣٥٧] هو سابق بن عبد الله البربري الرقي، فقيه ومحدث من أهل خراسان سكن الرقة، توفي سنة ١٣٢هـ.

[٣٥٨] مستدرك الوسائل: ج٢ ص١٠٥ ب١٧ ح١٥٥١.

[٣٥٩] روى الطريحي في (مجمع البحرين) في لفظ (فكر): «تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة».

مثنى وفرادى ثم تتفكروا][٣٦٠]، فإن كان الإنسان بمفرده وتمكن مـــن

.....

التفكر السليم فليتفكر هو بنفسه، وإلاّ فليكونوا اثنين أو أكثر ويتفكروا، وقوله سبحانه: ﴿**أن تقوموا لله مثنى وفرادى**﴾[٣٦١] الظاهر فيه أن مثنى من باب المثال إذ لا خصوصية للعدد، فمن الممكن أن يكونوا ثلاثة وأربعة وخمسة وأكثر.

ذكر فضائل المعصومين عليهم السلام

مسألة: يستحب بيان فضائل الإمام الحسن عليه السلام، كما يستحب ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام بصورة عامة، للروايات المتكاثرة، وقد جاء في الحديث:

«أحيوا أمرنا، إن من أحيى أمرنا لا يموت قلبه يوم تموت فيه القلوب، رحم الله من أحيا أمرنا»[٣٦٢].

إضافة إلى ما لذكر فضائلهم عليهم السلام من التأثير الإيجابي التربوي على الناس.

---

[٣٦٠] سورة سبأ: ٤٦.

[٣٦١] سورة سبأ: ٤٦.

[٣٦٢] راجع وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠ ب١٠ ح١٥٥٣٢.

الاستجابة للطفل ولغير المسلم

مسألة: يستحب الإجابة للطفل وقضاء حاجته.

فإنه يستحب ـ كما سبق ـ إجابة المؤمن، كبيراً كان أم صغيراً، رجلاً أم امرأة.

بل قد ألمعنا في بعض المباحث السابقة إلى أن هذا جار في غير المسلم أيضاً، وحتى في المحارب ـ إلاّ ما خرج بالدليل ـ كما سمح علي عليه السلام لأهل صفين أن يأخذوا حاجتهم من ماء الفرات[٣٦٣]، وأمر الحسين عليه السلام أصحابه بسقي الذين جاءوا لقتاله وقتلوه أخيراً [٣٦٤].

ولا فرق بين أن تكون الحاجة معنوية أو مادية، فقد يسأل عن مسألة شرعية أو عقلية أو عرفية أو عادية أو غيرها، وقد يطلب حاجة مثل أن يطلب ماءً أو خبزاً أو غير ذلك، فإن هذه الموارد تندرج في الأدلة العامة.

نعم، إذا كانت الحاجة أو الإجابة محرمة لم يجز؛ لأن الإقتضائي مقدم على اللا إقتضائي كما ذكره الفقهاء.

---

[٣٦٣] راجع وقعة صفين: ص١٦١ استيلاء أهل العراق على الماء ثم سماحهم به لأهل الشام.

[٣٦٤] راجع بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٧٦ ب٣٧.

أما إذا كانت مستحبة أو واجبة أو مباحة جاز بالمعنى الأعم، حيث إن

.....

قضاء الحاجة الواجبة واجب، والمستحبة مستحب[٣٦٥]، والمباحة مستحب أيضاً باعتبار أنه قضاء الحاجة.

ولو طلب حاجة لا نعلم إنها من أيهما، فإن أمكن حمل الفعل على الصحة جاز، بل استحب، وإلاّ لم يجز.

نعم، إذا دار الأمر بين الواجب والحرام ولم يمكن الفحص أو فحص ولم يعرف الواقع ولم يكن هناك ما يشخص الموضوع ولو بإحدى الأصول كان من موارد التخيير.

وفي المورد المشكوك إنما يكون حراماً في ما يجب فيه الاحتياط مثل: الدماء والفروج والأموال الكثيرة، وأما إذا جرى أصل الحلية كان جائزاً[٣٦٦].

رجحان التأكيد

مسألة: التأكيد يرجح في مقام الإجابة على السؤال، ويتأكد في المسائل الهامة، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسنين عليهما السلام: «قد أذنت لك»، بل يرجح مطلق التأكيد إذا كان فيه الفائدة. فإنه لم تكن حاجة إلى أن يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «قد» و«لك»، إذ «أذنتُ» معناها الإذن لـه، لكنه تأكيد ونوع احترام للطرف،مثل قوله سبحانه:

---

[٣٦٥] لجهتين: كونه مقدمة لمستحب، وانطباق عنوان قضاء الحاجة عليه.

[٣٦٦] حول هذا المبحث راجع (الأصول: مبحث الأصول العملية).

[رحمةٍ منه][٣٦٧]..

.....

إذ من الواضح أن الرحمة منه قطعاً كما في الآية الكريمة، وكذلك في الدعاء حينما نقول: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ»[٣٦٨]، إذ لا حاجة إلى (من عندك) وكذلك: «وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ»[٣٦٩].

وهكذا في قوله سبحانه: [وأيدهم بروحٍ منه][٣٧٠] وهذا كثير.

ومن المعلوم أنه في المورد الحسن يكون احتراماً، كما أنه في المورد السيئ يسبب مزيداً من الإهانة، كما إذا خاطب مدمناً للخمر: أنت أنت الخمّار، أو ما أشبه ذلك، وهذا باب من أبواب البلاغة.

ومن المعلوم أن التأكيد لا ينحصر في هاتين الفائدتين فقط، بل لـه فوائد كثيرة لا مجال لذكرها.

---

[٣٦٧] سورة النساء: ١٧٥.

[٣٦٨] من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٣٢٤-٣٢٥ باب التعقيب ح٩٥١.

[٣٦٩] من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٣٢٤-٣٢٥ باب التعقيب ح٩٥١.

[٣٧٠] سورة المجادلة: ٢٢.

فَدَخَلَ مَعَهُ تَحتَ الكِساءِ،

اجتماع الأقرباء

مسألة: يستحب اجتماع الأقرباء، ويؤيده روايات اجتماعات المؤمنين، وكان من مصاديق ذلك دخولهم عليهم السلام تحت الكساء[٣٧١]، فإن جمع الأجسام في غير المكروه والحرام من أهم ما يستلزم صحة الجسم وسلامة النفس.

أما النفس: فلأنه مما يوجب السرور والارتياح، ومن المعلوم أن النفس تؤثر في البدن صحةً وسقماً.

وأما البدن: فلأنه ثبت في علم الطب أن الله تعالى جعل البدن من المعقمات ـ في غير المرضى ـ ولذا كان سؤر المؤمن شفاءً، وقد قرأت في بعض المطبوعات الرسمية: إن السؤر من أهم ما يزيل قسماً من الأمراض، والمراد به أعم من سؤر الفم أو سائر البدن كالاستحمام في الأنهار والأحواض وغيرها.

ولعلّ من أسباب توفر الصحة في الأزمنة السابقة هو تطبيق هذه التعاليم في الأطعمة والأشربة والحمامات وغيرها، لكن بشرط مراعاة النظافة الكاملة.

وعلى أي حال فتجمّع الأبوين والأولاد يوجب الحبّ المتزايد بين الأب وبنيه، وبين الزوجين، وبين الإخوة.

---

[٣٧١] من الواضح أن الفعل الواحد قد تنطبق عليه عناوين متعددة وقد يكون مجمعاً لجهات رجحان متشابهة أو مختلفة (وجوباً واستحباباً).

ولربما لم تكن زينب وأم كلثوم عليهما السلام قد ولدتا بعدُ وإلاّ لأمكن أن يكون لـهما نصيب أيضاً في هذه الفضيلة، فتأمل، وإن احتمل عدم اشتراكهما نظراً للاختصاص.

ثم إنه لم يذكر في هذا الحديث ولا في شيء من الروايات التي رأيتها أنهم ـ عندما اجتمعوا تحت الكساء عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ اجتمعوا في جانب واحد على تقدير أو في الجانبين؟.

كما أنه لم يُذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد اجتماعهم عنده بقي نائماً ـ أي مستلقياً ـ وهم كذلك معه؟.أم أنهم جميعاً جلسوا معه، أو بالاختلاف، فكان الوالدان إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والولدان في حِجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً، نعم في آخر الحديث قال علي عليه السلام: «ما لجلوسنا هذا».

استيفاء البيان

مسألة: يستحب استيفاء البيان وإكمال الإفادة، ومنه: إتمام ذكر الحديث أو القصة وعدم تركها ناقصة، كما فعلت الزهراء (سلام الله عليها) حيث ذكرت الحديث من أوله إلى آخره؛ فإن ذلك من الإتقان، إضافةً إلى ما لـه من الرجحان بلحاظ الفائدة، وقد سبق نظيره.

نعم، قد يقتضي بعض الأمور الخارجية أو الداخلية عدم ذكر القصة بكاملها، كما نجد ذلك في القصص القرآنية، حيث إن الله سبحانه وتعالى وزع القصة في أماكن متعددة، وذكر في كل مرة جانباً من جوانب القصة.

مثلاً: في قصة النبي موسى عليه السلام والسحرة ذكر مرة: **[كأنها جان]** [٣٧٢] وذكر مرة: **[حية]**[٣٧٣] وأخرى **[ثعبان]**[٣٧٤] وما أشبه ذلك باعتبار أحوال الحية المختلفة، فالجان حية صغيرة سريعة الحركة كأنها الجن، بينما ليست الحيّة كذلك، والثعبان يقال بلحاظ (ابتلاعها).

وهكذا في سائر قصص القرآن الحكيم، كقصة إبراهيم عليه السلام ونوح عليه السلام وعيسى عليه السلام وغيرهم.

---

[٣٧٢] سورة النمل: ١٠، سورة القصص: ٣١.

[٣٧٣] سورة طه: ٢٠.

[٣٧٤] سورة الأعراف: ١٠٧، سورة الشعراء: ٣٢.

وقد يكون عدم البيان الكامل بسبب مانع خارجي، كما أن علياً (عليه الصلاة والسلام) لم يكمل الخطبة الشقشقية، حيث دفع إليه شخص كتاباً فجعل ينظر فيه، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو اطردت في خطبتك من حيث أفضيت. فقال عليه السلام: «هيهات إنها شقشقة هدرت ثم قرت»[٣٧٥].

لا يقال: لقد استنفد الإمام عليه السلام غرضه من الخطبة، فلم يكن هناك مجال لطلب ابن عباس منه كي يواصل الحديث؛ لأنه عليه السلام تحدث عن عهد الحكام الثلاثة الذين كانوا قبله.

لأنه يقال: هذا الكلام غير صحيح لإمكان أن يكون الإمام عليه السلام بصدد بيان الأحداث الأخرى، أو الملاحم التي سوف تقع بعده، أو تفصيل ما ذكره.

أما لماذا سكت الإمام عليه السلام ؟

فلأنه رأى فوت الفرصة بسبب قطع خطبته، إذ لابد أن يكون للخطبة موالاة ومتابعة، فإذا فاتت الموالاة كان الاستمرار في الكلام خلاف البلاغة.

ولربما كانت جهة أخرى لذلك، والله العالم.

---

[٣٧٥] نهج البلاغة، الخطب: رقم٣ ومن خطبة لـه عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية.

وَقال: السَّلامُ عَلَيكِ يا أُمّاهُ.

فَقُلتُ: وَعَلَيكَ السَّلامُ يا قُرَّةَ عَينِي وَثَمَرَةَ فُؤادِي.

تفضيل الولد الأصغر

مسألة: يستحب تقديم الأصغر على الأكبر، وتفضيله في إبراز المحبة، في الجملة، ولعله لذلك أضافت عليها السلام للحسين عليه السلام كلمة: «يا ولدي».

وذلك لحاجة الأصغر إلى المزيد من العطف والحنان، ولعلّ في كلامها (عليها الصلاة والسلام) تنبيها على ذلك.

نعم، يجب أن لا يؤدي ذلك إلى أن يشعر الأكبر بأنه موضع ازدراء وقلة اهتمام، وأن الوالد أو الوالدة يعطيه أقل من حقه؛ لأن ذلك ربما أوجب عداءً وحسداً.

وقد قال بعض: إن تفضيل يعقوب عليه السلام ولده يوسف عليه السلام على سائر إخوته كان السبب في إثارة عدائهم وحسدهم، قال سبحانه: **[لقد كان فِي يوسف وإِخوته آيات لِلسائلِين ۞ إِذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إِلى أبِينا مِنا ونحن عصبة إِن أبانا لفِي ضلالٍ مبِينٍ ۞ اقتلوا يوسف أوِ اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبِيكم وتكونوا مِن بعدِهِ قوما صالِحِين]**[٣٧٦].

---

[٣٧٦] سورة يوسف: ٧ ـ ٩.

لكن هذا الكلام غير تام إن أريد به الاستشكال عليه عليه السلام؛ لأن يعقوب عليه السلام كان يفضّل يوسف عليه السلام لفضله وكونه نبياً وما أشبه ذلك، وهذا وإن أثار العداء إلاّ أنه لابدّ منه من باب الأهم والمهم، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينوه بفضل علي (عليه الصلاة والسلام) مما أثار عداء وحسد جملة من الأصحاب، كما هو معروف في التاريخ.

والحاصل أن هنالك حالتين:

الحالة الأولى: أن لا يفعل الإنسان شيئاً اعتباطاً يثير الحسد والكراهية.

والحالة الثانية: أن يقوم الإنسان ببيان الحق الواجب عليه بيانه وإن أثار الحسد، ولذا قال سبحانه: [**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**][٣٧٧]، وكان الأنبياء محسودين وكذلك الأئمة الطاهرون (عليهم الصلاة والسلام).

[٣٧٧] سورة النساء:٥٤.

فَقالَ لِي: يا أُمّاهُ، إِنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ جَدِي رَسُولِ اللهِ ﷺ؟.

فَقُلتُ: نَعَم، إِنَّ جَدَّكَ وَأَخاكَ تَحتَ الكِساءِ.

الإعلام بالواقع

مسألة: يستحب الإخبار عن الواقع فيما كان مفيداً، وإخبار السائل عن الأكثر من حدود سؤاله إذا كان فيه فائدة، وفي ذلك قضاء للحاجة، كما قالت (سلام الله عليها) للحسين عليه السلام: «إن جدك وأخاك تحت الكساء»، وقالت لعلي عليه السلام: «ها هو مع ولديك تحت الكساء».

وهذا وإن كان بالنسبة إلى المقارن، إلاّ أنه يتعدى إلى السابق واللاحق بالملاك وبالإطلاقات..

لكن من الواضح أن ذلك[٣٧٨] فيما إذا لم يكن ضاراً أو محتمل الضرر، كإخبار الغاصب بملك المغصوب[٣٧٩]، وإخبار مريد الشر بمن يريد به الشر، وما أشبه ذلك. ففي المورد الضار حرام قطعاً، أما في مورد احتمال الضرر فالظاهر الحرمة أيضاً؛ لأن احتماله كقطعه، نعم إذا ظهر الخلاف كان من التجري وقد التزمنا في (الأصول) بأنه قبيح فاعلاً لا فعلاً.

---

[٣٧٨] أي استحباب الإخبار.

[٣٧٩] أي بملك يريد غصبه، فيرشد الغاصب إلى ملك الناس ليغصبه.

كما أن الإخبار عن الواجب والمستحب والمكروه يلحقه حكمها، كإخبار المستفتي عن الواجب والمستحب بالفتوى كفايةً أو عيناً في صورة الانحصار؛ لأنه من التعاون على البر والتقوى، إلى غير ذلك. ومنه يعلم حال الاستفتاء عن المكروه، وقد ذكر تفصيله في بحث وجوب التعليم ومقدمة الواجب وغيرهما.

ثم لو أخبر المستخبر المريد إيقاع الشر بمال أو عرض أو نفس، فالضمان تابع لإقوائية السبب أو المباشر كما ذكر في الفقه، وقد احتملنا ـ في بابه ـ أنه لو تساويا كان الضمان عليهما كمن يدفع السيارة إلى جاهل بالقيادة فيصطدم بإنسان فيقتله، حيث إن المحتمل أنه عليهما لا على السائق فقط، فتأمل[٣٨٠].

ولا يخفى أن قولها (عليها الصلاة والسلام): «وأخاك» من زيادة الكلام لمزيد الفائدة وإلاّ فقد كان السؤال عن الجد فقط.

ومن المحتمل أن الحسن (عليه الصلاة والسلام) أيضاً كانت لـه رائحة طيبة، فكانت الرائحتان ممتزجتين، وهذا غير بعيد؛ لأن الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) كان دأبهم استعمال العطر كما يفهم من متواتر الروايات، فإن الطيب ـ بالإضافة إلى رائحته الزكية ـ يقوي الأعصاب ويشرح الصدر، ولهذا ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «الطيب من أخلاق الأنبياء»[٣٨١]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما طابت رائحة عبد إلا زاد عقله»[٣٨٢].

---

[٣٨٠] راجع (الفقه: كتاب الضمان).

[٣٨١] الكافي: ج٦ ص٥١٠ باب الطيب ح١.

[٣٨٢] دعائم الإسلام: ج٢ ص١٦٥ ف٤ ح٥٩٣.

فَدَنَا الحُسَينُ عليه السلام نحوَ الكِساءِ،

وَقالَ: السَّلامُ عَلَيكَ يا جَدَّاهُ، السَّلامُ عَلَيكَ يا مَنِ اختارَهُ اللهُ،

تكرار السلام

مسألة: يستحب تكرار السلام خاصة على العظيم، كما قال الحسين عليه السلام: «السلام عليك يا جداه، السلام عليك ... ».. وكما ورد في الزيارات: «السلام عليك يا .. السلام عليك يا .. السلام عليك يا .. ».

فإن تكرار السلام يوجب تأكيد التحية وتشديد أواصر الصداقة، ولذا نشاهد تكرره في الزيارات ونحوها مثل: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا صفوة الله»، وما أشبه ذلك.

وإنما لم يسلّم الحسين عليه السلام على الحسن عليه السلام ـ بعد السلام على جدّه صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأنه نوع تأدب بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولذا لم يأتِ بصيغة التثنية أو الجمع أيضاً كما هو واضح في باب الآداب، فإنه إذا كان كبير في المجلس وجاء إنسان خصّص السلام بذلك الكبير، فإذا شرك معه الصغير أو جمعهما في صيغة واحدة لم يكن بتلك المرتبة من الاحترام للكبير، ولذا يكون الإقتداء بهم (عليهم الصلاة والسلام) حتى في مثل هذه الخصوصية.

ولعل وجه تقديمه (عليه الصلاة والسلام) «جداه» على «من اختاره الله» باعتبار أن كونه «جداً» سابقاً على كونه «ممن اختاره الله سبحانه وتعالى»؛ لأن اختيار الله وقع على الجد لا أن الجد وقع على من اختاره الله، وليس مرادنا التقدم الزماني بل الرتبي، فإن كل واحد من كلمة قبل وكلمة بعد وكلمة مع وما أفاد معنى إحدى هذه الثلاثة قد يكون باعتبار الزمان، وقد يكون باعتبار المكان، وقد يكون باعتبار المنزلة..

وقوله ﷺ لعلي (عليه الصلاة والسلام): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي»[٣٨٣] ليس المراد به بعد مماتي لا نبي، بل بعد نبوتي لا نبي سواء في حياتي أم مماتي.

---

[٣٨٣] الأمالي للطوسي: ص٢٥٣ المجلس٩ ح٤٥٣. الحديث مما أجمعت الأئمة والحفاظ والأعلام من الفريقين على صحته من جميع الوجوه وتوثيق سنده ورجاله كما في صحيح مسلم: ج٧ ص١٢٠ باب من فضائل علي عليه السلام، ونص الحديث: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

أَتَأذَنُ لي أَن أَكونَ مَعَكُما تَحتَ الكِساءِ؟.

التفنن والتنوع في الكلام

لعل الوجه في قوله: «معكما» دون «معك» أنه عليه السلام لو قال: «معك» كان إهانة للحسن عليه السلام فقال: «معكما»، ففرق بين «السلام عليكما» وبين «معكما» كما يعرفه أهل البلاغة.

وأما الاستئذان فكان منه صلى الله عليه وآله فقط حيث إن حق السبق لـه، والحسن (عليه الصلاة والسلام) وإن دخل تحت الكساء لكنه كان وارداً على صاحب الحق لا أن حق السبق شمله حتى يتوقف ـ من هذه الجهة ـ الإذن عليه أيضاً[٣٨٤].

وربما يحتمل أن يكون الاختلاف في ضمير المفرد والتثنية باعتبار التفنن والتنويع في الكلام، حيث إن من فنون الكلام أن يكون مختلفاً حتى لا يمل السامع نتيجة لوحدة الكيفية، كما قالوا في باب الالتفات كقوله سبحانه: [**وما لِيَ لا أعبدُ الذي فطرَني وإليهِ ترجعون**][٣٨٥]، فإن التفنن لا فرق فيه بين الغيبة والحضور والتكلم، وبين سائر أضراب التفنن.

وهكذا يقال في جملة من آيات القرآن حيث اختلاف العبارات ـ وذلك على فرض الالتزام بوحدة المؤدى في بعضها ـ فقد ذكر بعض الأدباء:

---

[٣٨٤] هذا كله بالنظر إلى الظواهر ـ كما هو واضح ـ لا بلحاظ مقام الولاية وشبهها ولذا ذكر: (من هذه الجهة).

[٣٨٥] سورة يس: ٢٢.

إن الله سبحانه وتعالى كما خلق الكون متفنناً فيه من الجهات المختلفة في الألوان والأطعمة والأذواق والأشكال والأحجام وغير ذلك، كذلك جعل الإنسان بحيث يتطلب التفنن والتنوع في كل شيء.

قالوا: وهذا هو وجه ـ أو من وجوه ـ التفنن في العبادة، مثلاً: الصلاة فيها تكبيرة وحمد وسورة وركوع وسجود وقيام وقعود وتشهد وتسليم وما أشبه، وركعاتها اثنتان وثلاثة وأربعة وواحدة وأكثر كما في بعض الصلوات المذكورة في المستحبات، إلى غير ذلك.

وكذلك الحال في الحج والاعتكاف والوضوء والغسل وما أشبه ذلك مما ذكر في مبحث فلسفة الأحكام، وقد أشرنا إلى بعض ذلك في كتاب (الفقه: الآداب والسنن)، وكتاب: (في ظل الإسلام) وغيرهما.

إفراد الضمير وجمعه

لا يخفى أن المجيء بصيغة المفرد حيث قال: «وعليك السلام» ولم يقل: «وعليكم السلام» ـ مع أنه جائز بل مستحب كما يستفاد من بعض الروايات ـ إنما هو لإفادة الوحدوية في هذا المقام، حتى أن الملائكة الذين يسلم عليهم في صيغة الجمع يأتون في مرحلة ثانوية، وقد ذكر علماء البلاغة أن كلمة (إنني) و(أنا) في بعض المقامات أدل على العظمة من كلمة (نحن) حيث إن (أنا) يدل على التفرد، وأنه لا أحد معه [**إِنَنِي أنا اللهَ لا إِلهَ إِلا أنَا فاعبدنِي**][٣٨٦]، بينما قوله (نحن) يدل على أن معه آخر[٣٨٧] ولذا قالوا: (نحن) في بعض المقامات أكثر تواضعاً من (أنا).

ثم إنه يقال: (عليك) و (عليكم) مع أن (على) للضرر غالباً، لبيان أنه يغمره السلام؛ لأن السلام المنتهى إليه كأنه يغمره من الرأس إلى القدم، ولذا ورد في القرآن الحكيم: [**رَحمتَ اللهِ وبَركاتهَ عليكم أهل البيت**][٣٨٨] وإلا فالمراد انتهاء السلام إليه، ولذا قلنا في الفقه: إنه يصح (السلام لك) وأنه يجب الجواب أيضاً، وفي بعض الأدعية بالنسبة إلى الله: (وإليك السلام).

---

[٣٨٦] سورة طه: ١٤.

[٣٨٧] ولذا قال البعض: إن قولـه تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ] ـ سورة الحجر: ٩ ـ كان بلحاظ الملائكة أيضاً.

[٣٨٨] سورة هود: ٧٣.

الاعتقاد بالشفاعة

مسألة: يجب الاعتقاد بالشفاعة، ولا يخفى أنها من ضروري العقل قبل أن تكون من ضروري الشرع، وهي من الفطريات ومما تسالمت عليها الملل، والاختلاف إنما هو في المصاديق والخصوصيات.

وهي عبارة عن شفع شيء بشيء ليتمكنا من الوصول إلى نتيجة مطلوبة، كما أن الإنسان يساعد الحمّال في حمله، أو السيارة لتتحرك الماكنة، أو ما أشبه ذلك، ولقد قامت عليها الأدلة الأربعة، ويدلّ على كونها من ضروريات الشرع الآيات والروايات المتواترة.

ومن أنكر الضروري فإن رجع إنكاره إلى تكذيب الرسول ﷺ كان كافراً، وإن لم يرجع إلى تكذيب الرسول ﷺ كان غير مرتد، على ما ذكره الفقيه الهمداني قدس سره[٣٨٩] وغيره في مبحثه، وقد ذكرنا حكم الارتداد في (الفقه)

---

[٣٨٩] الشيخ آقا رضا ابن الشيخ محمد الهادي الهمداني النجفي، ولد في همدان سنة ١٢٥٠هـ وقرأ مقدماته فيها ثم هاجر إلى النجف الأشرف وهو شاب وأقام فيها حتى نال مرتبة عالية من العلم وأصبح من المدرسين في عصره. درس على الشيخ الأنصاري رحمه الله في النجف، وعلى الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي قدس سره في النجف وسامراء، وكان من خيرة تلاميذه. ترك كتباً عدة أهمها: (مصباح الفقيه) وهو شرح لكتاب الشرائع في عدة أجزاء. وحاشية على رسائل الشيخ الأنصاري. وحاشية على المكاسب، لم تتم. ورسالة في اللباس المشكوك. وحاشية على (الرياض) غير كاملة. وكتاب البيع مما حضره على الميرزا الشيرازي قدس سره.. وأجوبة مسائل◄ ►مختلفة. والرسالة العملية.

وذكرنا شروطه هناك، فراجع.

وكما يجب الاعتقاد بالشفاعة، يجب ـ من باب إرشاد الجاهل وهداية الغافل ـ على العالم بيانها للناس وإلفاتهم إليها.

الثناء بالحق

مسألة: يستحب الثناء بالحق والجهر بفضائل الآخرين، خصوصاً إذا كانت نافعة مستلزمة للحثّ نحو المكارم.

ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم للحسن عليه السلام: «صاحب حوضي»، وللحسين عليه السلام: «شافع أمتي»، وكما قال الحسين عليه السلام: «يا من اختاره الله».

ولا يخفى أن كل المعصومين عليهم السلام شركاء في جميع الفضائل والمناقب كما يستفاد من مجموعة من الروايات، وإن تجلت بعضها في بعضهم[٣٩٠] بمقتضى تنـــوع

مرض آخر أيامه بمرض الصدر وأقام في سامراء لطيب هوائها، ثم توفي فيها يوم الأحد ٢٨ صفر سنة ١٣٢٢هـ، دفن في رواق الإمامين العسكريين عليهما السلام وقبره مقابل قبر الطاهرة النقية حكيمة خاتون.

[٣٩٠] كالصبر في الإمام الحسن عليه السلام، والشجاعة في الإمام الحسين عليه السلام، والعبادة في الإمام السجاد عليه السلام، والعلم في الصادقين عليهما السلام، وإن كان المتأمل يستطيع أن يستكشف من ومضات حياة كل واحد منهم كل تلك الصفات فيرى في الإمام علي عليه السلام القمة في الصبر والشجاعة والعبادة والعلم وهكذا وهلم جرا.

أدوارهم واختلاف ظروفهم ومسؤولياتهم حتى بدى بعض الصفات ألصق ببعضهم من بعض، وأضحى بعضهم مظهراً لبعضها في الدنيا والآخرة.

ولذا كان علي عليه السلام صاحب الحوض، وكلهم عليهم السلام واقفون على الحوض، وكلهم عليهم السلام شفعاء، إلى غير ذلك.

وهذه الخصيصة إما في الكيفية أو في الكمية أو في الجهة أو في غيرها، وذلك كما أن هناك علاقة بين بعض الأشياء وبعضها الآخر في الخلقة تكويناً، فالدواء الفلاني للصفراء، والدواء الآخر للسوداء، والنار توجب الحرارة، والثلج يبرد، وهكذا.

وأولياء الله سبحانه كذلك، حيث إن كل إمام عليه السلام سبب ووسيلة لقضاء حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، كما يظهر من الروايات، وإن كان الكل لكل الحوائج اقتضاءً وفعلية في الجملة.

وهل أن الترابط والعلائق بين سلسلة المقتضيات والأسباب والشرائط و...، وبين مقابلاتها، سواءً في الماديات أو المعنويات كان ذاتياً بسبب خصوصية في ذا وذاك، أم أنه بالجعل، نظراً لتعلق إرادته تعالى بذلك، فكان من الممكن جعل الثلج والنار بالعكس في التأثير، وهكذا وهلم جرا؟.

احتمالان.

بل احتمالات[٣٩١].

ولا شك أن الله سبحانه قادر على ما يتصور من الممكنات إلا أن الكلام في

.....

[٣٩١] منها: التوليد أو الإعداد أو التوافي.

الكيفية الخارجية [٣٩٢] والتي هي خارجة عن حدود علمنا.

الشفاعة للناس

مسألة: تستحب الشفاعة للناس إذا لم يكن هناك محذور.

وإنما يفهم من «شافع أمتي» استحباب الشفاعة للناس ـ بالإضافة إلى كونه كشف الكرب وقضاء الحاجة ـ لأن أهل البيت عليهم السلام لا يتصفون بصفة إلاّ كانت حسنة مما يدل على ذلك، لفهم العرف الملازمة ولأدلة التأسي.

ولا يخفى أن الشفاعة ـ كما أشرنا إليها ـ عبارة عن شفع شيء بشيء لنيل درجة أو قضاء حاجة، وذلك فيما كان المشفوع لـه أهلاً للشفاعة، وكانت للشفيع إمكانية ذلك، مثل مساعدة الحمال على حمل ثقله، فالحمال أهل للحمل والمساعد أهل للمساعدة، وهذا أمر عقلائي في الماديات والمعنويات.

لا يقال: فما معنى قوله تعالى: **[وأن ليس للإنسان إلا ما سعى]**[٣٩٣]؟.

لأنه يقال: تأهيل النفس يعتبر نوعاً من السعي، فإن السعي قد يكون بالواسطة وقد يكون مباشرةً، كما أن العلم الذي «هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه»[٣٩٤] كما في الرواية، يعدّ نتيجة تأهيل الإنسان نفسه لذلـك، وكـمـا

---

[٣٩٢] ومن مصاديقها ذاتية أو عرضية العلاقة بين العلة والمعلول، ودخول ما سبق في المتن في دائرة الممكن أو أنه مندرج في دائرة المحال.

[٣٩٣] سورة النجم: ٣٩.

[٣٩٤] بحار الأنوار : ج٦٧ ص١٤٠ ب٥٢ ح٥ (بيان). وفي البحار: ج١ ص٢٢٥ ب٧ ح١٧عن◄ ◄الصادق عليه السلام قال لعنوان البصري: «يا أبا عبد الله، ليس العلم بالتعلم إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه».

في قولـه تعالى: [**ومن يتقِ الله يجعلله مخرجا ۞ ويرزقه مِن حيث لايحتسِبِ ومن يتوكل على اللهِ فهو حسبه**][٣٩٥].

لا يقال: قد نرى في الدين ما ليس من السعي كالإرث؟.

لأنه يقال: إنه من سعي المورِّث، مثل الضيافة حيث إنها من سعي المُضيف، وكما في «المرء يحفظ في ولده»[٣٩٦]، والذي عليه بناء العقلاء وسيرتهم، وهكذا يمكن القول هنا بأنه من سعي الشافع، فإذا لم تكن لـه الشفاعة لم يكن للشافع ما سعى.

أما احتمال أنه تخصيص فغير ظاهر؛ لأن سياق الكلام يأبى عن التخصيص[٣٩٧].

ثم إن شفاعتهم عليهم السلام بعضها بسبب أن الإفاضة من الله إلى المشفوع لـه بواسطتهم، وبعضها بسبب مكانتهم وجاههم الذي حصلوه بالطاعة والعبادة، والتفصيل في كتب الكلام.

---

[٣٩٥] سورة الطلاق: ٢ ـ ٣.

[٣٩٦] المناقب: ج٢ ص٢٠٦ فصل في ظلامة أهل البيت عليهم السلام.

[٣٩٧] حول هذا المبحث راجع (الفقه: الاقتصاد) للإمام المؤلف قدس سره.

قَد أَذِنتُ لَكَ. فَدَخَلَ مَعَهُما تَحتَ الكِساء،

فَأَقبَلَ عِندَ ذلِكَ أَبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ عليه السلام

استحباب التكنية

مسألة: تستحب التكنية، كما يستحب احترام الناس بذكر كُناهم، كما قالت (سلام الله عليها): «أبو الحسن».

والمراد بقولها (سلام الله عليها): «فأقبل عند ذلك أبو الحسن» إما الزمان، أو الوقت، أو ما أشبه ذلك[٣٩٨] أي ـ على إحدى المعاني ـ حين ذلك الوقت الذي اجتمع فيه الثلاثة تحت الكساء جاء علي (عليه الصلاة والسلام).

و(عند) وشبهه قد يكون زمانياً، وقد يكون مكانياً، وقد يكون معنوياً، مثل قولـه سبحانه: **[وما عِندَ اللهِ خيرٌ وأبقى]**[٣٩٩] إذ أن الله سبحانه وتعالى لا زمان لـه ولا مكان، ولا إشكال من حيث اختلاف السياق الذي هو خلاف الظاهر فيما إذا كانت هناك قرينة، كما في مثل قوله سبحانه: **[ما عِندكم ينفدُ وما عِندَ اللهِ باقٍ]**[٤٠٠] حيث إن (عند) في الإنسان يكون على الأقسام الثلاثة،

---

[٣٩٨] قد يكون المراد من أحدهما: الفترة والمقطع الزمني ـ بشكل أعم ـ ومن الآخر الفورية والإتصال ـ بشكل أخص ـ و(ما أشبه) يكون إشارة للحالة بالتجرد عن معنى الزمن.

[٣٩٩] سورة القصص: ٦٠، سورة الشورى: ٣٦.

[٤٠٠] سورة النحل: ٩٦.

بينما عند الله سبحانه وتعالى ليس إلاّ معنوياً، فهو مثل قوله سبحانه: **[تعلم ما فِي نفسِي ولا أعلم ما فِي نفسِك]**[٤٠١] فإن الله سبحانه وتعالى لا نفس له وإنما جيء بكلمة (نفس) للسياق فقط.

والفرق بين (أقبل) و(جاء) و(أتى):

أن الأول دال على الإتيان مع نوع من الإقبال[٤٠٢] بخلاف (جاء).

كما أن (أتى) فيه إشراب معنى الإعطاء، ولذا ورد: **[وآتوا الزكاة]**[٤٠٣] بينما (جاء) و(أقبل) ليس فيهما هذا الإشراب، فإن اللغة العربية ـ كما تقدمت الإشارة لذلك ـ في كل كلمة منها خصوصية لا توجد في الكلمة الأخرى، ولذا أنكر جمع من الأدباء (المرادفة) فيها إلاّ بالمعنى الأعم الأوسع، أي في الجملة[٤٠٤].

---

[٤٠١] سورة المائدة: ١١٦.

[٤٠٢] والمواجهة والمقابلة.

[٤٠٣] سورة البقرة: ٤٣ و٨٣ و١١٠ و٢٧٧، وسور أخرى.

[٤٠٤] راجع (الأصول: مباحث الألفاظ).

وَقال: السَّلامُ عَلَيكِ يا بِنتَ رَسُولِ اللهِ.

استحباب السلام على الزوجة

مسألة: يستحب السلام على الزوجة واحترامها، كما قال علي عليه السلام: «يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، وقد يجب احترامها، كل في مورده.

ولا يخفى أن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) كانت قائمة على احترام المرأة احتراماً لائقاً بكرامتها ومكانتها الإنسانية والإسلامية.

حيث لخصها علي عليه السلام في قوله: «فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»[٤٠٥] إشارة إلى نوع عاطفيتها.

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: [**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**][٤٠٦] وهذا تلخيص جيد جميل لكل شؤون المرأة.

وقد ذكرنا في بعض كتبنا المرتبطة بالمرأة [٤٠٧]: إن الغرب وبعض المسلمين في العصر الحاضر كلاهما أساؤوا إلى المرأة، حيث إن الغـرب أفرط فيها،

---

[٤٠٥] مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٢٥١ ب٦٧ ح١٦٦٢٣.

[٤٠٦] سورة البقرة: ٢٢٨.

[٤٠٧] انظر كتاب (المرأة في المنظار الإسلامي) و(المرأة والمجتمع المعاصر) و(المراة في ظل الإسلام) وغيرها، للإمام المؤلف قدس سره.

وبعض

.....

المسلمين فرّطوا فيها إلاّ من عصمه الله من المسلمين[٤٠٨].

ولا يؤخذ على المسلمين ما ورد في الآية الكريمة: **[واهجروهن في المضاجعِ واضربوهن]**[٤٠٩]؛ لأنه:

أولا: الضرب إنما هو بقصد الردع، لا الإيلام والإيذاء، وهو مقيّد بالحد الأدنى، ولذا قالوا: إن الضرب بالسواك وما أشبه.

وثانيا: إنه أقل سوءً من الفضيحة التي تنتهي إلى المحاكم وإفشاء الأمر بين الأقرباء والجيران ونحوهم، فهو من باب الأهم والمهم الذي هو عقلي قبل أن يكون شرعياً.

وثالثا: إن الضرب من باب النهي عن المنكر فيما لو اضطر إلى الضرب، ولذا جاز عكسه[٤١٠] إذا فعل الزوج المنكر وتوقف النهي على الضرب، كما ذكرناه في (الفقه) في هذا المبحث، وإن أشكل عليه صاحب الجواهر قدس سره، لكن الإشكال لا وجه لـه بعد إطلاقات الأدلة[٤١١].

---

[٤٠٨] انظر كتاب (الغرب يتغير) و(لماذا تأخر المسلمون؟) للمؤلف قدس سره.

[٤٠٩] سورة النساء: ٣٤.

[٤١٠] أي بأن يُضرَب الزوج.

[٤١١] حول هذه المباحث راجع: (الفقه: النكاح)، و(الفقه: الطلاق)، و(المرأة المسلمة وأحكامها)، و(فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل أسوة للنساء) للإمام المؤلف قدس سره.

احترام الزوج

مسألة: يستحب وقد يجب ـ كل في مورده ـ احترام الزوج، ومن مصاديق ذلك ذكر كنيته ولقبه.

فإنه كما يجب على الرجل احترام المرأة، كذلك يجب على المرأة احترام الزوج، حيث إن بينهما علاقة الصداقة والمحبة والمودة إلى جوار علاقة الزوجية، بل قبلها قبليةً معنويةً لا زمانيةً كما هو واضح.

فإن الحياة الزوجية في منظار الإسلام تعني[٤١٢]: تعاون شخصين لبناء حياة مشتركة سعيدة، روحياً وجسمياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وتربوياً وغير ذلك لـهما أولاً، ثم للأولاد ثانياً، وللأسرة ثالثاً.

وقد شاهدنا في أيام الإسلام في العراق ـ قبل الحرب العالمية الثانية حيث لم تطبق بعدُ القوانين الغربية هناك ـ كيف كانت البيوت الزوجية عامرة بأفضل المعاني الإنسانية والعاطفية والعقلية والتربوية وغير ذلك.

وقد كان الطلاق نادراً جداً، حتى أن أحد العلماء المتخصصين في إجراء العقود في كربلاء المقدسة قال لي: إنه طيلة أيام السنة لم يطلّق إلاّ طلاقاً واحداً،

---

[٤١٢] يراجع (الفقه: الآداب والسنن) للإمام المؤلف قدس سره، وكتاب العشرة من (بحار الأنوار)، و(وسائل الشيعة) وغيرها.

بينما كان عدد سكان كربلاء زهاء مائة ألف إنسان، وكان المتخصصون في إيقاع صيغة عقد النكاح ـ وربما الطلاق نادراً ـ ثلاثة أشخاص فقط، بينما نجد الآن وبعد شيوع المادية في بلاد الإسلام، وقوع الطلاق في مختلف البلاد بكثرة مذهلة، بالإضافة إلى المنازعات والمخاصمات المنزلية الكثيرة جداً.

ولهذا البحث مقام آخر[٤١٣] وإنما أردنا أن نلمع إليه إلماعاً، وأن المسلمين ماذا خسروا حين تركوا الإسلام، وذلك ما أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله: **[ومَن أعرضَ عن ذِكرِي فإنَّله معيشة ضنكا]**[٤١٤]، فإن الإعراض عن ذكر الله سبحانه يشمل كل الأحكام حتى المستحب والمكروه[٤١٥] والمباح، إذ كل حكم لـه فلسفته الدقيقة وإن لم يكن واجباً أو محرماً، ولذا ورد: «إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه»[٤١٦].

---

[٤١٣] انظر كتاب (بقايا حضارة الإسلام كما رأيت)، و(المرأة في المجتمع المعاصر) و(المرأة في المنظار الإسلامي) و(العائلة) وغيرها للإمام المؤلف قدس سره.

[٤١٤] سورة طه: ١٢٤.

[٤١٥] فإن فعل المكروه وكذا ترك المستحب (فيما كان الترك مكروهاً) إعراض عن ذكر الله وقوانينه وما ذكر الله به.

[٤١٦] مستدرك الوسائل: ج١ ص١٤٤ ب٢٣ ح٢١٤.

فَقالَ: يا فاطِمَةُ، إنّي أَشَمُّ عِندَكِ رائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّها رائِحَةُ أَخي

التعرف على حياة المعصومين عليهم السلام

مسألة: يستحب ـ وقد يجب ـ تتبع حالات المعصومين عليهم السلام وآثارهم وخصوصيات سيرتهم وحياتهم[٤١٧]، كما يدل على ذلك جملة من الشواهد.

إن التكرار من الحسين ثم الحسن ثم علي (عليهم الصلاة والسلام): «بأني أشم عندكِ رائحة طيبة» يدل ـ هو ونظائره ـ على أمرين:

الأول: تتبعهم عليهم السلام لكل الأحوال والخصوصيات حتى مثل خصوصية وجود رائحة طيبة في البيت.

الثاني: تتبعهم حال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكل دقة، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم أين يذهب؟ وأين ينزل؟ وماذا يفعل؟ وما أشبه، وذلك ينفع في التأسي به صلى الله عليه وآله وسلم وفي تذكير الآخرين بذلك، وغير ذلك.

وقد ذكر المؤرخون: إن المسلمين كانوا يتتبعون حال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لحظة

---

[٤١٧] كتب الإمام المؤلف عن المعصومين عليهم السلام الكتب التالية: لأول مرة في تاريخ العالم، باقة عطرة في أحوال خاتم النبين صلى الله عليه وآله وسلم، هكذا حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قادة الإسلام، فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الحكومة الاسلامية في عهد الإمام علي عليه السلام، محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن، فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل أسوة للنساء، ثورة الإمام الحسن عليه السلام، الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، الحسين عليه السلام أسوة، الحسين عليه السلام مصباح الهدى، جهاد الحسين عليه السلام ومصرعه، سلسلة من حياة المعصومين عليهم السلام، وغيرها.

بلحظة ودقيقةً بدقيقة، حتى إنهم لما تطرقوا لسفر رسول الله ﷺ إلى الحج ذكروا عدد من أردفهم خلفه وهو ﷺ على الناقة، بل وذكروا اسم كل فرد ممن أردفهم، كما أنهم ذكروا أين نزل ﷺ، وأين صلى، وذكروا أنه ﷺ في المكان الفلاني وجدوا حية وما أشبه ذلك من الخصوصيات الدقيقة.

والحق معهم في هذا التتبع؛ لأنه ﷺ حجة في كل قول وفعل وتقرير، وحركة وسكون، وكلام وسكوت، وما أشبه ذلك.

وقد ذكرنا جملة من هذه الأمور في كتبنا التي تتحدث عن رسول الله ﷺ مثل كتاب: (ولأول مرة في تاريخ العالم)[٤١٨]..

وكتاب (باقة عطرة)[٤١٩]..

ومثل ما ذكرناه من أحواله ﷺ في كتاب: (حكومة الرسول ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام)[٤٢٠].

---

[٤١٨] يقع الكتاب في جزئين قياس ٢٤×١٧. الجزء الأول ٣٣٥ صفحة، والجزء الثاني ٣٢٠ صفحة. طبع عدة مرات. منها ط مكتبة جنان ا لغدير / الكويت.

[٤١٩] يقع الكتاب في ٢١٤صفحة قياس٢٠×١٤. طبع مرة واحدة. دار السبيل للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، عام ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

[٤٢٠] النسخة الأصلية مخطوطة وهي عند مؤسسة الوعي الإسلامي في بيروت. وقد ترجمها إلى الفارسية العلامة السيد محمد باقر الفالي وطبع الكتاب تحت عنوان: (روش حكومت بيامبر ﷺ وأمير مؤمنان عليه السلام) في قم المقدسة وبعشرة آلاف نسخة، لكنها صودرت بكاملها من المطبعة وأتلفت تماماً من قبل المتشددين في الحكومة الإيرانية (جهاز المخابرات). وبعد مضي عدة سنوات قامت (هيئت متوسلين به قمر بني هاشم عليه السلام) وفي سنة ١٤٠٦هـ بطبع الكتاب خفية في إيران تحت عنوان: برتوي از مكتب بيامبر وأمير مؤمنان. ويقع الكتاب في ٩٥ صفحة◄ ◄قياس ٢٠×١٤. ترجم إلى الأردو تحت عنوان: حكومت بيغمبر اسلام واميرالمؤمنين كي جند جهلكيان، ترجمه جنت مآب سوسائتي، ويقع في ٥٥ صفحة قياس ٢٠×١٤، طبع جنت مآب ببلشنك سينتر لكهنو الهند، سنة ١٩٩٩م.

وهذا ما وصل إلينا من تاريخه ﷺ..

وأما ما لم يصل إلينا من أحواله ﷺ فهو كثير جداً، بل لعلّ ما وصل إلينا لا يبلغ حتى جزءً من مائة جزء من أحواله الكريمة؛ وذلك لأن عمر بن الخطاب منع من الرواية عن رسول الله ﷺ واستمر هذا المنع إلى أواخر العباسيين، وإنما رُفع المنع مدة قصيرة أي في حكومة أمير المؤمنين علي عليه السلام وفي زمان عمر بن عبد العزيز، كما لا يخفى على من راجع التواريخ.

وبذلك خفي علينا الكثير من أحواله ﷺ، أما عند السنة فلمنع الحديث، وأما عند الشيعة فلإحراق الجائرين كتبهم مرةً بعد مرة، ثم التقية الشديدة، للظروف الحرجة التي مرّوا بها في قضايا مفصلة مذكورة في كتب التواريخ.

ولعل ما ورد في أحوال الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) بأنه يأتي بدين جديد يشير إلى ذلك أيضاً، أي بالإضافة إلى إحيائه عليه السلام السنة وإماتته البدعة فإنه (عليه الصلاة والسلام) يظهر ما خفي من أحوال الرسول ﷺ وآبائه الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين).

وَابنِ عَمّي رَسُولِ اللهِ؟ فَقُلتُ: نَعَم، هَا هُوَ مَعَ وَلَدَيكَ تَحتَ الكِساءِ.

فَأقبَلَ عَلِيٌّ عليه السلام نَحوَ الكِساءِ وَقالَ: السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُولَ اللهِ، أَتَأذَنُ لي أَن أَكُونَ مَعَكُم تَحتَ الكِساءِ؟.

ابن عمي

إضافة (ابن العم) لدفع توهم الغافل: إن علياً عليه السلام أخ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النسب، بمعنى كونهما من أب وأم أو أحدهما، فهو يفيد أن قوله عليه السلام: «أخي» إنما هو للإشارة إلى منتهى درجة الأخوة في الله تعالى، ولوثاقه الرابطة الروحية والمعنوية بينهما، وهذا من أكبر فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام..

وأما في القرابة فهما عليهما السلام أبناء عمومة.

التواجد بمحضر أولياء الله

مسألة: يستحب التواجد في محافل ومجالس أولياء الله لما له من الآثار والثمار، كما سيأتي. وربما يستدل من مجموعة سياق حديث الكساء ومن بعض القرائن الداخلية والخارجية، أنهم (صلوات الله عليهم) ـ وهم على علم بذلك من قبل ـ كانوا يتتبعون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليكونوا معه حتى تحت الكساء، نظراً للحكمة الإلهية التي اقتضت ذلك، إضافة إلى أن كونهم عليهم السلام بمحضره صلى الله عليه وآله وسلم ـ بشكل عام ـ سبب للاستفادة المعنوية والعلمية وغيرهما منه صلى الله عليه وآله وسلم، إذ من الواضح أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ حيث ما نزل أو ذهب ـ تتنزل عليه الفيوضات الإلهية منه

جل وعلا دوماً وباستمرار، ومن كان مع إنسان تتنزل عليه الفيـوضـات ستشملـــه

.....

الفيوضات بدرجة ما أيضاً، كما أن من كان مع إنسان تنزل عليه اللعنة ستصيبه اللعنة ولو بترشحاتها في الجملة، حسب ما قرر في قوانين الكون مما أشرنا إليه سابقاً. نعم ليس ذلك على نحو الموجبة الكلية، بل يشترط في المحل القابلية والسنخية ولو في الجملة، مثلاً: من يقترب من المريض سيصاب بالعدوى ولو بشكل طفيف غير محسوس، ولذا ورد في الحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»[٤٢١] إلى غير ذلك.

وورد في عكسه: «إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة»[٤٢٢]. وقد ثبت في العلم الحديث: إن لكل شيء تموجات لا مرئية حتى التفكير مما يسبب تأثير الإنسان المقترب من صاحب الموج خيراً أو شراً بتلك الأمواج.

أما تجاور قبر الإمام الرضا عليه السلام مع قبر هارون، فذلك مما لا يؤثر لا من هذا الجانب ولا من ذلك الجانب، حيث لا قابلية لهارون إطلاقاً كي يستفيد من فيوضات الإمام الرضا عليه السلام، كما أن الإمام الرضا عليه السلام في أعلى درجات المناعة والعصمة حيث لا يتأثر بمجاورة هارون إطلاقاً، ولذا قال دعبل الخزاعي:

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر

---

[٤٢١] وسائل الشيعة: ج١٢ ص٤٩ ب ٢٨ ح١٥٦١٢.

[٤٢٢] مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٨ ب١٠٠ ح١٠٠٨٣.

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر[٤٢٣]

[٤٢٣] الأمالي للصدوق: ص٦٦١ المجلس٩٤ ح١٦.

قالَ له: وَعَلَيكَ السَّلامُ

يا أَخِي وَيا وَصِيّي وَخَلِيفَتِي وَصاحِبَ لِوائِي

الاعتقاد بالولاية

مسألة: يجب الاعتقاد بولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه عليه السلام أخ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه وخليفته والإمام من بعده كما صرح بذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك فوائد كثيرة؛ فإن الولاية لـها آثار معنوية وأحكام شرعية وفوائد اجتماعية وسياسية وقيادية، لوضوح أن ولاية القادة الصالحين المستقيمين توجب إفاضة الله سبحانه وتعالى لطفه ورحمته على من يتبعهم ويتولاهم، كما أنها توجب الاستقامة في سلوك التابعين وتحضّهم على مكارم الأخلاق.

والأحكام الشرعية المأخوذة منهم أحكام إلهية واقعية توجب خير الدنيا والآخرة.

وهذه التأكيدات الكثيرة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إنما تقصد تحريض الأمة في كل مناسبة على توليه والاهتداء بهديه عليه السلام حتى يسعدوا في دنياهم وفي آخرتهم، فالفائدة تعود إليهم بالأساس لا إليهما (صلوات الله وسلامه عليهما) **[قل ما سألتكم مِن أجرٍ فهوَ لكم]**[٤٢٤]، وقد

[٤٢٤] سورة سبأ: ٤٧.

قال هو عليه السلام ذات يوم: «ما أحسنت إلى أحد وما أساء إليَّ أحد».

.....

فقالوا: يا أمير المؤمنين، وكيف ذلك وقد أحسنت كثيراً إلى الناس وقد أساؤوا كثيراً إليك؟.

فقال (عليه الصلاة والسلام): «أما تقرأون قول الله سبحانه وتعالى: **[إِن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإِن أسأتم فلها]**[٤٢٥]»[٤٢٦].

نعم، لا إشكال في أن الأتباع كلما كثروا انتفع المتبوع أكثر، لقاعدة: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء»[٤٢٧]، ومن الواضح أن ذلك من سعي الإنسان القائد والذي يقتضي تفضل الله سبحانه وتعالى أيضاً.

فلا يقال: هذا ينافي قولـه تعالى: **[وأن ليس للإنسان إلا ما سعى]**[٤٢٨].

وقوله سبحانه: **[كل امرئٍ بما كسب رهين]**[٤٢٩].

وما أشبه ذلك مما يحصر الفوائد العائدة إلى الإنسان في عمله.

---

[٤٢٥] سورة الإسراء: ٧.

[٤٢٦] راجع متشابه القرآن: ج١ ص١١٨. وفيه: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه؛ لأن الله تعالى يقول: [مَن عَمِلَ صالِحا فلِنَفسِهِ ومَن أساءَ فعليها] ـ سورة فصلت: ٤٦، سورة الجاثية: ١٥ ـ».

[٤٢٧] مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٣٠ ب١٥ ح١٣٩٦٢.

[٤٢٨] سورة النجم: ٣٩.

[٤٢٩] سورة الطور: ٢١.

التركيز على الاعتقاديات

مسألة: يجب التأكيد على المسائل الاعتقادية وبيانها للناس وتذكيرهم بها، فإن التأكيد على المسائل الاعتقادية مهم جداً، إذ بالاعتقاد ينحرف الإنسان أو يستقيم.

وقد ذكر الرسول ﷺ في هذه الجملة أنه عليه السلام أخوه ووصيه وخليفته وصاحب لوائه.

أما الأخوة فقد تقدم الإلماع إليها، وهي أخوة معنوية، لا أخوة نسبية.

والوصي حيث كان أعم من أن يكون خليفة أكده ﷺ بهذا القسم من الوصاية، أي: الوصاية في حال كون الوصي خليفة أيضاً.

وأما قوله ﷺ: «صاحب لوائي»، فيحتمل أن يريد صاحب لوائه في الدنيا؛ لأنه عليه السلام كان حامل اللواء في أكثر حروب رسول الله ﷺ، ويمكن أن يريد صاحب لوائه في الآخرة ما يسمى في الروايات بـ «لواء الحمد»[٤٣٠]، ومن المحتمل أن يراد الأعم من المادي والمعنوي والدنيا والآخرة، وليس هذا من استعمال اللفظ في أكثر من معنى حيث أحاله بعض، بل من باب الكلي الذي لـه مصاديق كما لا يخفى[٤٣١]، فلا إشكال من هذه الجهة أيضاً.

---

[٤٣٠] راجع مستدرك الوسائل: ج٧ ص٤٥٩ ب٢٢ ح٨٦٥٥. وفي بحار الأنوار: ج٩٣ ص٣٥١ ح٢٢.

[٤٣١] استعمال اللفظ في الجامع ممكن وواقع بل كثير الوقوع، أما استعمال اللفظ في أكثر من معنى على أن يكون كل واحد منها تمام المراد فهو المحال لا غير، راجع (الأصول) للمؤلف قدس سره.

قَد أَذِنتُ لَكَ.

فَدَخَلَ عَلِيٌّ عليه السلام تَحتَ الكِساءِ، ثُمَّ أَتَيتُ نَحوَ الكِساءِ وَقُلتُ: السَّلامُ عَلَيكَ يا أَبَتاهُ يا رَسُولَ الله،

انتقاء الكلمات المحببة

مسألة: يستحب انتقاء الكلمات المحببة في الخطاب، ومن صغريات ذلك خطاب البنت أباها بكلمة (أبتاه) مما يستلزم إدخال السرور على قلبه وفؤاده.

وهذا ليس خاصاً بالبنت، بل يشمل كل الأقارب، وكذلك الأباعد.

فإنه من حسن الأخلاق أن يخاطب الإنسان غيره بخطاب يحبه، ولهذا ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكنّي الناس حتى الأطفال، فقد رأى طفلاً وبيده عصفور ثم رآه مرة أخرى وليس بيده العصفور فقال لـه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما يرويه الرواة ـ: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟»[٤٣٢].

هذا بالإضافة إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمر الزهراء (سلام الله عليها) بأن تسير على سيرتها السابقة في خطابها لـه، بعد ما نزلت آية: **[لا تجعلوا دعاءَ الرسولِ بينكم كدعاءِ بعضِكم بعضا]**[٤٣٣]، فأطاعت الزهراء (سلام الله عليها) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

[٤٣٢] مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٠٩ ب٦٦ح٩٨٢١. والنغير تصغير النغر، وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار.

[٤٣٣] سورة النور: ٦٣.

لكنها كانت تضم (أبتاه) إلى (رسول الله) أيضاً وتقول: «يا أبتاه يا رسول الله» كما في هذا الحديث.

وما ذكرناه من انتقاء الألفاظ المحببة إلى قلوب الناس في الخطاب، ليس خاصاً بالخطاب، بل من الأدب أن يستعمل الإنسان الألفاظ المحببة إلى الناس في كل محادثاته لـهم، وكذلك في الكتابة وغيرها، فإن من التعقل ـ الذي حبب إليه الشرع أيضاً ـ التودد إلى الناس.

إعادة السلام

مسألة: يستحب إعادة السلام وتجديده بتغير الحالات وتنوعها، كما صنعت عليها السلام ذلك.

أَتأذَنُ لي أَن أَكونَ مَعَكُم تَحتَ الكِساءِ؟.

الاستئذان مع العلم بالإذن

مسألة: يستحب الاستئذان حتى مع العلم بوجود الإذن، وذلك للاحترام الأكثر، كما استأذنوا عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أنهم يعلمون برضاه لا بعلم الغيب فقط بل بشهادة القرائن.

وإن من محاسن الآداب أن يراعي الإنسان حريم الآخرين ثبوتاً وإثباتاً، وذلك ينعكس على نفسه ايجابياً أيضاً.

فمن هاب الرجال تهيبوه ومن وهن الرجال فلن يهابا (٤٣٤)

وحتى إذا كان الطرف الآخر غير مؤدب فإن الإنسان إذا تعامل معه بأدب فإنه لابد وأن يتأدب ولو بقدر، خصوصاً في الأمور المرتبطة باللسان، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة..

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث لـه: «وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم»[٤٣٥]..

لإفادة المبالغة في أن كثيراً من أهل النار إنما يدخلون النار بسبب

---

(٤٣٤) ينسب هذا البيت إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كما نسبه البعض إلى محمد بن إدريس الشافعي إمام الشافعية.

(٤٣٥) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩١ ب١١٩ ح١٦٠٥٣.

ألسنتهـــم،

.....

وقد قال الشاعر:

جراحات السهام لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

وقال [٤٣٦]:

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

وقصة ذلك الخليفة والمعبرين اللذين عبر أحدهما بموت أقربائه قبله فعاقبة، وعبر الثاني بأنه أطول عمراً من أقربائه فأكرمه مشهورة، مع أن المؤدى كان واحداً.

[٤٣٦] يعزى إلى محمد بن إدريس الشافعي.

قالَ: وَعَليكِ السَّلامُ يا بِنتِي وَيا بَضعَتِي قَد أَذِنتُ لَكِ.

فَدَخَلتُ تَحتَ الكِساءِ

البَضعة وأقسام الخطاب

الذي وجدته في الروايات أن الرسول ﷺ عبر بكلمة: (البضعة) عن شخصين: الزهراء والرضا (عليهما الصلاة والسلام) مع وضوح إن كلهم عليهم السلام كانوا بضعة منه ﷺ إلا أن الخطاب بذلك قد يكون لمزيد العناية.

وكأن هذه الكلمة تفيد أن المخاطب جزء من المتكلم؛ لأن بضعة الإنسان جزء منه وهي ليست على سبيل المبالغة، بل هي صادقة بالنسبة إلى الوالدين والأولاد، ويأتي في هذا المبحث أيضاً ما ذكرناه في المبحث الآنف حيث إن الرسول ﷺ ذكر أفضل كلمة محببة إلى قلب الزهراء (سلام الله عليها).

فهناك عدة أقسام من الخطاب: خطاب يوجب الإهانة والإيذاء، وذلك حرام كما قال سبحانه: [وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ][٤٣٧]. وخطاب يوجب التحبيب والتحبب وذلك مستحب. وقد يكون واجباً إذا كانت هنالك ملابسات أو لوازم وملزومات وملازمات وما أشبه مما يقتضي ذلك.

وقد يكون عادياً فيكون مباحاً بلا كراهة ولا استحباب، والأفضل أن ينتقي الإنسان الأفضل حتى من المستحب؛ لأن للمستحبات مراتب.

---

[٤٣٧] سورة الحجرات: ١١.

فَلَمَّا اكتَمَلنا جَمِيعاً تَحتَ الكِساءِ
أَخَذَ أَبي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَرَفَي الكِساءِ

اجتماع القلوب والأجسام[٤٣٨]

مسألة: يستحب التجلي في التجمع وإظهاره زيادة على أصل الاجتماع، ولربما لذلك أخذ رسول الله ﷺ بطرفي الكساء.

فإن الأخذ بطرفي الكساء أوجب للتجمع وأدلّ على كثرة المحبة، فإنه إذا كان التجمع ألصق بعضه ببعض كانت القلوب أقرب، ولربما كان لذلك استحباب أكل الجماعة من إناء وصحن واحد، ولعل لـهذه الجهة أيضاً عبر القرآن الحكيم عن الزوجين بقوله: **[هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن]**[٤٣٩]، ولذا يستحب ذلك هنا وفي غيره بالملاك.

ولا يخفى أن تجمع القلوب وتقاربها مبعث كل خير؛ لأنه يوجب التعاون على البر والتقوى والتقدم في الحياة، وربما يجنب الإنسان كثيراً من المعاصي كالغيبة والتهمة والنميمة وغير ذلك.

ولتقارب القلوب أسباب ظاهرية وأخرى خفية وباطنية.

---

[٤٣٨] حول هذا المبحث بنقاطه المختلفة يراجع للمؤلف دام عزه: (الفضيلة الإسلامية)، (الفقه: الاجتماع)، (الفقه: السياسة)، (الفقه: الدولة الإسلامية)، (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) وغيرها.

[٤٣٩] سورة البقرة: ١٨٧.

فمن الأسباب الظاهرية:

الاقتراب من الناس؛ لأن القرب منهم يوجب[٤٤٠] محبتهم، وكثرة الالتفاف بهم توجب مزيداً من الإحساس بآلامهم وآمالهم، وتستلزم التعرف على مشاكلهم والتفاهم الأكثر معهم، ولذا نرى الحكومات الاستشارية دائماً تقترب من الناس بخلاف الحكومات الديكتاتورية حيث تنقطع عن الناس وتفرض حواجز بينها وبينهم، وهكذا الفرق بين كل استشاري وكل مستبد، أخذاً من رب العائلة إلى ما فوقها من التجمعات.

وأما الأسباب الخفية والباطنة فمنها: الخوف من الله سبحانه، قال تعالى: **[لو أنفقتَ ما فِي الأرضِ جمِيعا ما ألفتَ بينَ قلوبِهِم ولكِنَّ اللهَ ألف بينهم]**[٤٤١].

وقال ﷺ: «بنية صادقة»[٤٤٢].

وفي الآية الكريمة: **[بِقلبٍ سلِيمٍ]**[٤٤٣].

والإسلام يأمر بالأمرين معاً، ولذا أوجب برّ الوالدين وصلة الرحم، وقد أمر النبي ﷺ بعطف الكبير على الصغير واحترام الصغير الكبير.

والتجمع المتلاصق تحت الكساء من مظاهر التجمع الظاهري.

---

[٤٤٠] بنحو المقتضي.

[٤٤١] سورة الأنفال: ٦٣.

[٤٤٢] الأمالي للصدوق: ص٦٨ المجلس١٦ ح٢.

[٤٤٣] سورة الشعراء: ٨٩، سورة الصافات: ٨٤.

وفي كثير من الأحاديث دلالة على أنهم (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يجتمعون ـ في مناسبات مختلفة ـ حتى قبل خلق الخليقة في العرش كما ورد في الرواية[٤٤٤]، وكذلك كانوا عليهم السلام يجتمعون في حال حياتهم وبعد مماتهم، كما اجتمعوا في مصرع الحسين (عليه الصلاة والسلام) ليلة الحادي عشر من المحرم، كما ورد في المقاتل[٤٤٥].

ومن المعلوم أنهم عليهم السلام **[أحياء عند ربهم يرزقون]**[٤٤٦] فلا عجب من ذلك.

---

[٤٤٤] راجع بحار الأنوار: ج١١ ص١٤٢ ب٢ ح٩.

[٤٤٥] معالي السبطين: ج٢ ص٤٥ المجلس١٢.

[٤٤٦] سورة آل عمران: ١٦٩.

الإشارة في الأمور الهامة

مسألة: ترجح الإشارة في الأمور المهمة، ومن مصاديق ذلك: الإشارة إلى السماء حين الدعاء، وكذا إلى العظماء، ورجحانها في الأعم يستفاد من ملاك هذا الحديث، وله شواهد ومؤيدات أُخرى.

فإن في الإشارة تأكيداً للهدف الذي يتوخاه الإنسان؛ لأنه تنسيق بين العمل والقول، فمن سألك عن الطريق تقول: من الجانب الأيمن، وتشير إليه أيضاً، إلى غير ذلك من الأمور خصوصاً إذا كانت لـها أهمية.

وكما تستحسن الإشارة في الأمور الحسنة تستقبح في الأمور السيئة.

وقد قال الكفار: **[كذاب أشرِ]**[٤٤٧]، وأجابهم سبحانه بقولـه: **[سيعلمون غدا منِ الكذابُ الأشرِ]**[٤٤٨].

وقال الحسين عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً»[٤٤٩].

فـ (الأشر): الفرح، المتكبر، الطاغي، وربما: من يشير استهزاءً، فتأمل.

---

[٤٤٧] سورة القمر: ٢٥.

[٤٤٨] سورة القمر: ٢٦.

[٤٤٩] بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٢٨ ب٣٧ ح٢.

و(البطر): من بطرته النعمة وسببت لـه غروراً وعدم مبالاة بالحياة وبتغييراتها. و(المفسد): من يفسد المصالح ويحرفها عن طريقها الطبيعي.

و(الظالم): يشمل بإطلاقه من يظلم نفسه أو الناس أو الحيوان أو الجماد، ولذا ورد: «فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ»[٤٥٠].

ثم قد تكون الإشارة لمجرد الدلالة، كما قال سبحانه: **[فأشارت إليهِ قالوا كيف نكلمُ من كان فِي المهدِ صبِيا]**[٤٥١].

ولا يخفى أن للإيماء والإشارة أحكاماً متعددة تكليفية ووضعية مذكورة في مختلف أبواب الفقه، أخذاً من باب (الطهارة) وانتهاءً إلى باب (الديات)، كرفع اليدين إلى الآذان في حال التكبير، ورفعهما قبال الوجه في القنوت، وفي حالة الدعاء، وفي باب الحج حيث أن من أشار إلى الصيد كانت عليه كفارة، وإشارة الأخرس في النكاح والطلاق وسائر المعاملات، والإشارة حين الوصية فيمن لايتمكن من الكلام، كما في قصة أمامة حيث كانت تشير بالوصية كما ذكره المستدرك[٤٥٢]، وكذلك إشارة المريض بعينه ـ مثلاً ـ تقوم مقام أعضائه في أداء أعمال الصلاة، و...

وكذلك بالنسبة إلى غير الأخرس والمريض، فإن الإشارة كثيراً ما تؤدي نفس مؤدى الكتابة والعبارة مما ذكر مفصلاً في مختلف الأبواب الفقهية.

---

[٤٥٠] نهج البلاغة، الخطب: رقم١٦٧ ومن خطبةلـه عليه السلام في أوائل خلافته.

[٤٥١] سورة مريم: ٢٩.

[٤٥٢] راجع مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٢٦ ب٤١ ح١٦٢٧٢.

أنواع الإشارة وأحكامها

مسألة: يرجح كون الإشارة بتمام الكف وشبهها، وتحرم فيما إذا تضمنت استهزاءً وشبهه، وكان من عادة الرسول ﷺ أن يشير بتمام كفه؛ لأن فيه نوعاً من الاحترام، كما أنه ﷺ إذا أراد التكلّم مع أحد كان يتوجه إليه بكل بدنه لا برأسه فقط؛ لأن التوجه بكل البدن فيه نوع من الاحترام.

والإشارة في هذه الأماكن مستحبة، وقد تكون واجبة لأسباب عارضة، كما أن الإشارة الموجبة للإيذاء أو الإهانة محرمة.

وقد كان من المحرّم على الرسول ﷺ الإشارة الخفية بعينه فيما يقصد إخفاءه عن جلسائه، كما ورد هذا الاختصاص في قصة الحكم بن العاص حيث كان الرسول ﷺ قد أمر بقتله، لكن الأصحاب لم يقتلوه عندما حضر مجلس الرسول ﷺ واعتذروا أنه لم يشر إليهم بعينه، فقال الرسول ﷺ ـ حسب الرواية ـ: ألم تعلموا أن الإشارة بالعين محرمة عليّ[٤٥٣]؟.

وكذلك فإن من الحرام (خائنة الأعين) ومعنى خائنة الأعين: خيانتها في المحرمات، مثل النظر إلى ما يحرم النظر إليه من النساء الأجنبيات، وبالعكس في الرجال، وشبه ذلك، والفرق بين النظر وبين خائنة الأعين أن النظر ليس فيه إخفاء، بينما (خائنة الأعين) يتضمن معنى الإخفاء.

.....

[٤٥٣] راجع شرح نهج البلاغة: ج١٨ ص١٣ ذكر بقية الخبر عن فتح مكة.

والإشارة بأقسامها السابقة [٤٥٤] لا فرق فيها بين الإشارة بالعين، أو الرأس، أو اليد، أو اللسان، أو الرِجل، أو غيرها، إذ إن كلها مصاديق لتلك الكليات المحكومة بالحرمة أو الاستحباب أو الكراهة، ومن هذا الباب الهمز واللمز، ولذا قال سبحانه: [**وَيل لِكل هُمَزَةٍ لُمَزَة**][٤٥٥].

رفع اليد حين الدعاء

مسألة: يستحب رفع اليد إلى السماء حين الدعاء.

وقد ورد التصريح بهذا في الحديث الشريف معللاً بأن الأرزاق والمقادير الإلهية تنزل من السماء.

تقديم الميامن

مسألة: يستحب تقديم الميامن في الأعمال، وكان رسول الله ﷺ يبدأ بميامنه كما في الأحاديث[٤٥٦].

نعم، ربما يستظهر من حديث تقديم الرِجل اليسرى في حالة الخروج من

.....

[٤٥٤] المحرمة والمستحبة والواجبة...

[٤٥٥] سورة الهمزة: ١.

[٤٥٦] راجع وسائل الشيعة: ج١ ص٤٤٩ ب٣٤ ح١١٨٣.

المسجد[٤٥٧]، وفي حالة الدخول إلى بيت الخلاء، وكما يظهر من معتاد المتشرعة من تطهير الموضع باليد اليسرى، أن الأشياء غير الحسنة يكون الأفضل فيها استخدام اليد اليسرى، كما أنه كذلك بالنسبة إلى إعطاء الكتاب باليد اليسرى للمجرمين في الآخرة[٤٥٨].

ولعل لتقديم اليمنى في مختلف الأمور[٤٥٩] علة ظاهرة وعلة خفية، والله أعلم بالأحكام والمصالح.

أما الظاهرة: فربما لأن اليد اليسرى حيث كانت أقرب إلى القلب لم تحتج إلى الحركة والفعالية التي تحتاج إليها اليد اليمنى البعيدة عن القلب، حيث تحتاج إلى التحرك الأكثر كي تتوازن مع اليسرى في القوة والنشاط والحيوية.

وأما الخفية: فللتفاؤل باليمنى، فإن التفاؤل لـه شأن كبير في تحقيق الحياة السعيدة للفرد والأمة بخلاف التشاؤم، ولذا ورد «تفاءلوا بالخير تجدوه»، إذ التفاؤل يشجع على الاستمرار والاستقامة والمضي إلى الأمام، بينما التشاؤم والتطير وما أشبه يوجب العكس، ولذا ورد: «إذا تطيرت فامض»[٤٦٠] إلى غير ذلك.

---

[٤٥٧] راجع مستدرك الوسائل: ج٣ ص٣٩١ ب٣٠ ح٣٨٦٢.

[٤٥٨] قال تعالى: [وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ] سورة الحاقة: ٢٥ـ٢٦.

[٤٥٩] ومن ذلك التختم باليمين، والمصافحة بها.

[٤٦٠] تحف العقول: ص٥٠ وروي عنه ﷺ في قصار هذه المعاني.

استحباب الدعاء في كل الأحوال

مسألة: يستحب الدعاء في كل حال، فإن الدعاء سلاح المؤمن[٤٦١] ومُخّ العبادة [٤٦٢]، وقد قال سبحانه: **[وقال ربكم ادعوني أستجب لكم]**[٤٦٣]، وقال تعالى: **[قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم]**[٤٦٤].

والدعاء استمداد من خالق الكون ومن بيده كل شيء، وهو ـ بالإضافة إلى أنه أمر واقعي ـ يعطي الأمل والرجاء الذي يعدّ من أهم الحلول للكثير من المشكلات.

أما إنه أمر واقعي فواضح، إذ أن ـ بإرادة الله تعالى ـ بعض الأشياء البسيطة فقط هي بيد الإنسان ولـه بها العلاج، أما غالب الأسباب والعلل والشرائط القريبة والبعيدة، بل أكثر من ذلك فليس بيد الإنسان، وهو عبر الدعاء يستمد العون منه تعالى في علاجها وحلها، ومن يستكبر فهو بين جاهل ومعاند؛ لأن الإنسان حتى الطبيعي والدهري يعلم ـ إذا التفت ـ أن غيره يدير الكون وأنه لا حول لـه ولا قوة.

---

[٤٦١] وسائل الشيعة: ج٧ ص٣٨ ب٨ ح٨٦٥٤.

[٤٦٢] وسائل الشيعة: ج٧ص٢٧ ب٢ ح٨٦١٥.

[٤٦٣] سورة غافر: ٦٠.

[٤٦٤] سورة الفرقان: ٧٧.

وأما أن الدعاء يمنح الرجاء، فلأن الأمل بالله سبحانه ورجاء حل المشكلة وقضاء الحاجة يبعث على البهجة والسرور وراحة الأعصاب وطمأنينة النفس، وهي تؤثر في الجسد وتوجب الصحة والعافية، وكذلك تستلزم الاندفاع نحو الأمام، بعكس اليائس الذي يتخلى عن جهاده وأعماله ومشاريعه نظراً لتشاؤمه، ولذا قال سبحانه: [**إِنَهَ لا يَيأسَ مِن رَوحِ اللهِ إِلا القومَ الكافِرَون**][٤٦٥].

لا يقال: إن كان القضاء قد جرى بالخير، فطلبه طلب لما هو بحكم الحاصل، وإن كان قد جرى بالشر، فالدعاء لا يؤثر.

لأنه يقال:

نقضاً: بأنه كما لا يصح أن يقال إن جرى القضاء بالسفر فلا فائدة في تهيئة الوسائل والمقدمات، وإن لم يقض به فلا أثر للتهيؤ والإعداد والاستعداد.

وحلاً: بأن الدعاء مقتضٍ لحل المشاكل وقضاء الحوائج، فإن انضمت إليه سائر الشرائط وارتفعت الموانع تحقق المعلول وحصل المقصود.

وبعبارة أخرى: إن الدعاء جزء من العلل التكوينية ـ وهو جزء خفي، وهناك أجزاء جلية ظاهرة ـ وقضاء الله وقدره جرى بتحقق المعلول عند تحقق علته، وبعدم تحققه عند انتفاء العلة بما هي علة ـ ولو بانتفاء أحد أجزائها ـ فكما قضى بتحقق الاحتراق عند وضع المرء يده في النار دون مانع، كذلك قضى بإعطاء كثير من الحاجات عند الدعاء أو الإلحاح بالدعاء لفترة تطول أو تقصر حسب تقديره جل وعلا.

---

[٤٦٥] سورة يوسف: ٨٧.

الدعاء للغير

مسألة: يستحب الدعاء للغير، كالدعاء للنفس، ولذا قال ﷺ: «عليَّ» دعاءً ايجابياً وسلبياً.

ويتأكد استحباب الدعاء للأقرباء خاصة؛ لأنه من مصاديق صلة الرحم أيضاً، فإن الدعاء مستحب لكل مؤمن، ولذا قال ﷺ ـ كما سيأتي ـ: «فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك عليَّ وعليهم».

بل إن الدعاء مستحب حتى للكافر لـهدايته، ولذا كان ﷺ يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[٤٦٦].

إلى غير ذلك مما ذكر في كتب الدعاء، وقد ذكرنا جملة منها في كتاب (الدعاء والزيارة)[٤٦٧].

---

[٤٦٦] بحار الأنوار: ج٢٠ ص٢١ ب١٢.

[٤٦٧] يقع الكتاب في ١٠٧٢ صفحة قياس ٢٤×١٧، انتهى سماحته رحمه الله من تأليفه ليلة ٦رمضان المبارك ١٣٧٥هـ بكربلاء المقدسة. وقد تناول فيه الأدعية والصلوات والزيارات، والنوافل اليومية والصلوات المستحبة، وأعمال السنة وملحقاتها، أعمال يوم النيروز، أعمال شهر نيسان، وآداب السفر، وآداب الزيارة، وزيارة الرسول الأعظم ﷺ، وزيارة فاطمة الزهراء عليها السلام، وزيارة أئمة البقيع عليهم السلام، وسائر الزيارات في المدينة المنورة، وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام، وأعمال مسجد الكوفة، وزيارة قبر مسلم بن عقيل وهاني بن عروة رضي الله عنهما، وأعمال مسجد السهلة، وعمل مسجد زيد ومسجد صعصعة ومسجد الجعفي ومسجد بني كاهل ومسجد غني، وزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وزيارة الناحية المقدسة، والتبرك بتربة الحسين عليه السلام، وزيارة الكاظمين عليهما السلام، وفضل مسجد براثا، وزيارة النواب الأربعة رضي الله عنهم، وزيارة سلمان الفارسي رضي الله عنه، وزيارة الإمام الرضا عليه السلام، وزيارة السيد محمد عليه السلام، وزيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام، وزيارة أم القائم عليها السلام،

ثم إن الإنسان إذا دعا لنفسه ولغيره، فالظاهر أفضلية أن يقدّم الدعاء لغيره على الدعاء لنفسه، لما ورد في دعاء المسلم لأخيه[٤٦٨]، بل ما ورد من دعاء الملائكة وطلبهم المضاعفة لـه عندئذ: «إن الملائكة تقول لمن يدعو لغيره: ولك مثله»[٤٦٩].

نعم، النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربما كان يقدم الدعاء لنفسه ـ كما في هذا الحديث وغيره ـ ولعلّه كان لأن دعاءه لنفسه أقرب للإجابة فيقدمه تمهيداً لكي لا ترد الصفقة الواحدة المتضمنة لـه ولغيره.

التوجه إلى الله عند اجتماع الأسرة

وزيارة السيدة حكيمة عليها السلام، وزيارة الإمام المهدي عجل الله فرجه، دعاء العهد، دعاء الندبة، الزيارات الجامعة الكبيرة، والزيارة بالنيابة عن الغير، وزيارة السيدة زينب الكبرى عليها السلام، وزيارة بيت المقدس، وزيارة الأنبياء عليهم السلام، وزيارة أولاد الأئمة عليهم السلام، وزيارة فاطمة المعصومة عليها السلام، وزيارة العلماء والمؤمنين، وحديث الكساء، ورقاع الحاجة، و... طبع عدة مرات منها: طبعة مؤسسة البلاغ، بيروت/لبنان، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. وطبعة مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت/لبنان، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. وطبعة مكتبة الألفين، الكويت. وطبع في إيران، باللغتين العربية والفارسية. كما أعادت طبعه مؤسسة الفكر الإسلامي، قم المقدسة، عام ١٤٠٨ هـ. باللغتين العربية والفارسية، بخط محمود اشرفي تبريزي، قياس ٢٤×١٧، مرتين. وقد ترجمه آية الله الشيخ اختر عباس النجفي إلى اللغة الأردية تحت عنوان (مفاتيح الجنان جديد)، ويقع في ١٠٦٩ صفحة قياس ٢٤×١٧، وقامت بطبعه إدارة نشر معارف إسلامي لاهور باكستان، ومؤسسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لاهور باكستان.

[٤٦٨] ثواب الأعمال: ص١٥٣ ثواب دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب.

[٤٦٩] ثواب الأعمال: ص١٥٣ ثواب دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب.

مسألة: يستحب التوجه إلى الله عزوجل إذا اجتمع أفراد العائلة في مكان واحد، كما صنع النبي ﷺ بعدما اكتملوا عليهم السلام تحت الكساء، ومن الضروري تحريض الناس على ذلك. فإن تجمع الأقرباء والأرحام في مكان واحد قد يكون مثار القال والقيل والكلام بالباطل أو اللغو. فاللازم أن يصرفه الإنسان إلى شيء من الواجب أو المستحب، كبيان المسائل والأحكام والهداية والإرشاد والدعاء وقراءة القرآن والتعليم والتعلم ونحو ذلك، ولا أقل من السكوت حتى لا يوجب ذلك ارتكاب محرم كالغيبة ونحوها. ومن المعلوم أن دوام التوجه إلى الله سبحانه وتعالى في كل الحالات يوجب قرب الإنسان إلى الله وقضاء حوائجه وسعة رزقه وارتفاع منزلته، فقد قال سبحانه: **[فاذكروني أذكركم]**[٤٧٠].

والنفس إذا تلونت بذكر الله سبحانه وتعالى كانت مهبط الملائكة، كما أن النفس إذا تلونت بلون الشياطين كانت مهبطاً للشياطين، فإن النفس مثالها مثال الإناء الذي يمكن أن يملأ خمراً أو عسلاً. وفي القرآن الحكيم إشارة إلى الأمرين معاً، حيث قال سبحانه: **[هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ۞ تنزل على كل أفاك أثيم ۞ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون]**[٤٧١]، وقال تعالى في قبال ذلك: **[إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة]**[٤٧٢].

---

[٤٧٠] سورة البقرة: ١٥٢.

[٤٧١] سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٣.

[٤٧٢] سورة فصلت: ٣٠.

معنى (أهل البيت) وإطلاقاته

مسألة: يستحب وقد يجب ـ كل في مورده ـ إبلاغ الناس بأن الأربعة الأطهار: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخاصته وحامته، دون غيرهم.

وبين (الخاصة) التي تخص الإنسان، و(الحامة) التي بينها وبين الإنسان الحرارة والألفة، عموم من وجه.

ثم لا يخفى أن (أهل البيت) لـه إطلاقان[٤٧٣]:

أحدهما يشمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. والإطلاق الآخر لا يشمله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي المقام لا يشمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه هو القائل: «أهل بيتي»، أما في آية التطهير[٤٧٤] فيشمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً، وهذا متعارف عند العرب.

ومثله: الآل، فقد يقول: آل الرسول ويراد به غير الرسول، وقد يراد به حتى الرسول أيضاً، ويؤيده قولـه سبحانه: [**إِن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**][٤٧٥] مع وضوح أن إبراهيم وعمران عليهما السلام

.....

[٤٧٣] وهنالك إطلاق ثالث ستأتي الإشارة إليه.

[٤٧٤] قوله تعالى: [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً]، سورة الأحزاب: ٣٣.

[٤٧٥] سورة آل عمران: ٣٣.

كانا داخلين أيضاً. وفي آية أخرى: [**أدخِلوا آل فِرعون أشدَ العذابِ**][٤٧٦] حيث يشمل فرعون أيضاً.

ولقد صرح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في موارد متعددة بأن هؤلاء الأربعة عليهم السلام هم أهل بيته كي لا يتوهم شموله لنسائه أو سائر من كان في تلك البيوت كالخدم.

كما أن (أهل البيت) يشمل سائر المعصومين إلى الحجة المهدي (صلوات الله عليهم أجمعين) بدلالة متواتر الروايات، والتي منها ما ورد في زيارة الجامعة الكبيرة التي تقرأ عند مرقد كل إمام: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة»[٤٧٧].

وحال ذلك حال قولـه سبحانه: [**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**][٤٧٨] حيث إن الأدلة دلت على أن الأئمة الطاهرين عليهم السلام أيضاً أولياء للمؤمنين، فلا ينافي ذلك الحصر[٤٧٩]، والكلام في هذا المبحث طويل موكول إلى كتب الكلام[٤٨٠].

ولا يخفى أن مثل زينب وأم كلثوم أو إبراهيم بن رسول الله، وعلي الأكبر والعباس (عليهم الصلاة والسلام) وأمثالهم داخلون في (أهل البيت) بالمعنى العام لا بالمعنى الخاص الذي ينحصر في المعصومين عليهم السلام فقط.

---

[٤٧٦] سورة غافر: ٤٦.

[٤٧٧] من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦١٠ زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام ح٣٢١٣.

[٤٧٨] سورة المائدة: ٥٥.

[٤٧٩] إذ الحصر إضافي.

[٤٨٠] يراجع كتاب: كفاية الموحدين، حق اليقين، إحقاق الحق، كشف الحق، ونهج الصدق، عوالم العلوم والمعارف والأحوال، بحار الأنوار مبحث الإمامة، العبقات، شرح التجريد وغيرها.

تعميم الأدعية

مسألة: يستحب تعميم الصلوات وغيرها من الأدعية على أهل بيته ﷺ أجمعين؛ لأنهم خاصته ﷺ.. كما قال ﷺ: «وخاصتي» والمتعارف أن الهدايا تبعث للرجل وخاصته.

من هم الحامة؟

حامّة النبي ﷺ الواقعيون وبالمعنى الدقيق للكلمة هم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام حيث خصهم ﷺ بالذكر في هذا المقام الهام، وهو مقام مناجاته ﷺ ربه، ولو كان آخر معهم للزم ذكره مع ملاحظة أهمية المقام وكون المناجي هو النبي ﷺ والمناجى هو الله سبحانه وتعالى.

ومن المعلوم أن: (حميَ) غير (حمّ) وهذه المادة من (حمم) لا من (حمي) وقد ذكرنا وجه ذلك، وأن الحامّة هم الذين بينهم علقة خاصة[٤٨١]، ومنه (الحميم) حيث يطلق على القريب الذي لـه علقة وحرارة خاصة مع صديقه لا على كل صديق.

[٤٨١] في لسان العرب: (الحامّة) خاصة الرجل من أهله وولده، و(الحميم): القريب الذي توده ويودك.

التذكير بوشائج القربى

مسألة: يستحب التذكير بوشائج القربى، مما يوجب تزايد المحبة بين الأقرباء، كما قال ﷺ: «لحمهم لحمي ودمهم دمي».

وإنما كان لحمهم عليهم السلام لحمه ﷺ ودمهم عليهم السلام دمه ﷺ؛ لأنهم خلقوا نوراً واحداً، ومن أصل واحد، ثم فرقوا بهذه الصورة، كما يدل على ذلك جملة من الروايات كقوله ﷺ: «خلق الله الناس من أشجار شتى وخلقني وأنت [يا علي] من شجرة واحدة»[٤٨٢].

واللحم والدم من باب المثال، وإلاّ فالعظم والعصب والعرق وسائر الأجزاء أيضاً كذلك، للملاك وللقطع حسب الروايات.

هذا بحسب المعنى وبلحاظ أصل الخلقة، وأما بحسب المادة والتسلسل الجسمي الظاهري، فإن لحمهم عليهم السلام ودمهم أيضاً نابت من لحم الرسول ﷺ ودمه؛ لأن الولد من الماء المتكون من الدم الجاري في العروق والممتزج باللحم وهو منشؤه أيضاً، فكلهم عليهم السلام منه ﷺ. كما يدل على ذلك روايات أخر مثل قول الصادق عليه السلام لأبي حنيفة حيث قبّل عصا رسول الله ﷺ مشيراً إلى يده عليه السلام قائلاً: «هذا لحم رسول الله »ﷺ[٤٨٣].

---

[٤٨٢] بحار الأنوار: ج١٥ ص٢٠ ب١ ح٣٠.

[٤٨٣] راجع المناقب: ج٤ ص٢٤٨ فصل في علمه عليه السلام.

دفع الأذى عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: يجب دفع ما يؤلم، ودفع ما يوجب الحزن، عن أهل بيته عليهم السلام لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم».

وإطلاقه يشمل حال حياته صلى الله عليه وآله وسلم ومماته، كحال حياتهم ومماتهم عليهم السلام، إذ لا فرق بين الحالتين فيهم (عليهم صلوات الله وسلامه)[٤٨٤].

ومما يوجب حزنهم وأذاهم ـ دون شك ـ انتهاك حرمات الله والتجري على معصيته وخرق قوانينه ودساتيره.

والإيلام والأحزان بالنسبة إلى الروح واضح؛ لأن الجماعة الواحدة والذين توجد بينهم أواصر قرابة أو صداقة يؤلمهم ما يؤلم أحدهم، ويحزن أحدهم ما يحزن الآخرين، نظراً للرابطة العاطفية والمشاركة الوجدانية التي جعلها الله سبحانه وتعالى في أمثال هذه الموارد.

ولكن هل الإيلام شامل لأجسادهم أيضاً، بأن يكون ألم أحدهم عليهم السلام موجباً للألم في جسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟.

.....

[٤٨٤] إذ لاشك مثلاً في أن قتل الإمام الحسين عليه السلام أوجب أشد الحزن والألم على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لما دلت عليه الروايات بل والآيات [بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ]، سورة آل عمران: ١٦٩.

ذلك محتمل. فإن الارتباط القوي بينهم حسب الخلقة يقتضي ذلك[٤٨٥]، كما أن الارتباط بين البدن الواحد يقتضي تألم سائر الأعضاء بألم عضو واحد لكنه خلاف الانصراف، إذ المنصرف من التألم التألم الروحي والنفسي، فتأمل.

مشاطرة العائلة همومهم وأحزانهم

مسألة: يستحب أن يشارك كبير العائلة أفراد أُسرته في آلامهم وأحزانهم، لقوله ﷺ: «يؤلمني ... »، وكذلك بالنسبة إلى الأفراح، للملاك.

ولم يضف ﷺ (ويفرحني ما يفرحهم) ها هنا؛ لأنه ﷺ في مقام دفع الآلام عنهم[٤٨٦].. وفي بعض الأحاديث حيث لم يكن الكلام في هذا المقام فقد تم ذكر ذكر الأمرين معاً، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا، يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا»[٤٨٧].

---

[٤٨٥] وقد ثبت علمياً بل شوهدت في الخارج موارد كان شدة الارتباط العاطفي بين الطرفين سبباً لتألم أحدهما بتألم الآخر جسدياً.

[٤٨٦] ربما يعلل أيضاً بكون ذلك تمهيداً لطلبه منه سبحانه (الصلوات والرحمة والبركات عليهم) فهو أدعى لذلك عرفاً، وربما يكون السبب الإشارة الرمزية إلى أن حياتهم مستغرقة عادة بالآلام والأحزان فـ «المؤمن مبتلى» ـ وسائل الشيعة: ج١٤ ص٣٣٧ ب١٨ ح٢٥٧٦٤ ـ، و«أن الله إذا أحب عبداً ابتلاه» ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٤ ـ، و«حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» ـ بحار الأنوار: ج٦٧ ص٧٨ ب٤٦ ضمن ح١٢ـ، وكذلك حياة الذين نذروا أنفسهم في سبيل الله سبحانه حيث يضحون بالغالي والرخيص في سبيله تعالى.

[٤٨٧] بحار الأنوار: ج٥٣ ص٣٠٣ الحكاية ٥٥.

ما هو ماء الولاية؟

ولا يخفى أن الخلقة من فاضل طينتهم عليهم السلام حقيقي كما صرحت بذلك الروايات[٤٨٨]، وهل الأمر كذلك بالنسبة إلى ماء الولاية، أو أن ذلك من المجاز، تشبيهاً للولاية بالماء الذي جعل الله منه (كل شيء حي)؟. احتمالان.

فإذا كان من الثاني فهو من قبيل قول الشاعر[٤٨٩]: (لا تسقني ماء الملام)، ومن قبيل قوله سبحانه: **[واخفِض لهما جناحَ الذل مِنَ الرحمة]**[٤٩٠]. ويؤيد ذلك ما دل على أن «الأرواح جنود مجندة»[٤٩١]، وما دل على أن «القلب يهدي إلى القلب»[٤٩٢].

وقد اكتشف العلم الحديث أن للقلب[٤٩٣] والفكر تموجات تؤثر سلبياً أو إيجابياً على الآخرين في ظروف معينة[٤٩٤]. ولهذا أسست مدارس في يومنا هذا للإيحاء النفسي وغسل الأدمغة بسبب الأمواج الفكرية والإيحاء وشبه ذلك، كما لا يخفى على من راجع بعض الكتب الصادرة في هذا المجال.

---

[٤٨٨] راجع عوالم العلوم: ج١١ ص١٨ ب٢ ح٦ ط٢ تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.

[٤٨٩] هو أبو تمام (١٨٨-٢٣١هـ) أو أبو الطيب الغزي (ت ١٠٤٢هـ).

[٤٩٠] سورة الإسراء: ٢٤.

[٤٩١] من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٨٠ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة التي لم يسبق إليها ح٥٨١٨.

[٤٩٢] راجع بحار الأنوار: ج٧١ ص١٨١ ب١٢.

[٤٩٣] قد يكون المراد به مركز العاطفة، لا هذا العضو الصنوبري.

[٤٩٤] فهي كأمواج الإذاعة مثلاً في كونها غير مرئية وبحاجة إلى جهاز استقبال وبذلك يفسر أيضاً توارد الخواطر.

مواجهة أعداء آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة: تجب محاربة من حارب أهل البيت عليهم السلام كما يستفاد من هذا المقطع، حيث إن من حارب علياً أو فاطمة أو الحسن أو الحسين (عليهم الصلاة والسلام) فقد حارب رسول الله، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا حرب لمن حاربهم»، ومن الواضح حكم محاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[٤٩٥]. وكما تجب محاربة من حارب أهل البيت عليهم السلام بأجسادهم، تجب محاربة من حاربهم في أفكارهم ومناهجهم.

مناصرة أولياءهم عليهم السلام

مسألة: يجب أن يكون الإنسان سلماً لمن سالم أهل البيت عليهم السلام كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كذلك.

تحقيق في معنى العداء والمسالمة

والمراد المسالمة لهم ـ أي من سالمهم عليهم السلام ـ من حيث هو مسالم لهم وبهذا اللحاظ فلا يقتضي ذلك عدم وقوع التنازع بحيث آخر، ومن جهة ثانية (كالتنازع في دَيْن أو ميراث أو شبه ذلك).

.....

[٤٩٥] راجع تفسير القمي: ج٢ ص١٩٦ نزول آية التطهير.

كما أن إطلاق الجملة السابقة، يقتضي وجوب أن يحارب الإنسان من حارب أهل البيت عليهم السلام من غير فرق بين من حاربهم عسكرياً أو إعلامياً أو سائر أقسام الحروب، وكذلك في السلم؛ لإطلاق الجملتين ولا انصراف، ولو فرض فالملاك والقرائن المقالية والمقامية تقتضي التعميم.

ومن المعلوم أن من حارب بعضهم عليهم السلام كان كالمحارب لكلهم، ولكن المسالم لجميعهم يكون سلماً لـهم، فليست الجملتان على غرار واحد في المحاربة والمسالمة. والالتزام بأن حرب بعضهم حرب لجميعهم لما دل على أنهم نور واحد، فمن أنكر أحدهم فقد أنكر جميعهم، وكذلك حال الأنبياء عليهم السلام فمن أنكر نبياً من الأنبياء عليهم السلام كان كالمنكر لجميعهم، وهكذا حال صفات الله سبحانه وتعالى حيث إن من أنكر صفة واحدة كان كإنكار الجميع.

وبذلك يظهر الجواب عن سؤال السائل: ما هو الفرق بين الحرب والسلم؟. حتى عُدَّت الحرب لبعضهم أو في جهة من جهات أحدهم حرباً لـهم، لكن السلم لا يكفي فيه إلاّ السلم لجميعهم في جميع الخصوصيات.

ونضيف توضيحاً لذلك مثالاً:

فإن الحرب كالحالة المرضية، والحالة المرضية تتحقق ولو بتسرب جرثومة خبيثة واحدة إلى الجسم، بينما السلم كالحالة الصحية، والصحة لا تتحقق إلا بتوفر كافة العوامل وطرد كل الأوبئة والجراثيم، وكذلك (الحصن) فإنه يسلم من فيه بسد كل ثغوره وخلله وفُرَجه، بينما يهلك من فيه فيما إذا استطاع العدو فتح ولو ثغرة واحده فيه.

معاداة أهل البيت عليهم السلام

مسألة: تحرم معاداة أهل البيت عليهم السلام.

ولا يخفى أن العداء غير الحرب؛ لأن العداء حالة نفسية قلبية وإن تعدت إلى الجوارح، أما الحرب فلا تطلق إلاّ على حركة الجوارح بطريقة معينة، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم في مقابل ذلك: «ومحب لمن أحبهم»، حيث إن الحب أمر قلبي وإن تعدى إلى الجوارح أيضاً.

وحيث كانت العلاقة بين العداوة والمحبة علاقة الضدين اللذين لـهما ثالث، وكان من الممكن أن لا يكون إنسان بالنسبة إلى إنسان معادياً ومع ذلك لايكون محباً، لذلك أضاف صلى الله عليه وآله وسلم: «ومحب لمن أحبهم».

تعاضد الأرحام

مسألة: يلزم أن يكون الأقرباء ـ من باب أنهم من أجلى المصاديق وأهمها ـ يداً واحدة على أعدائهم فيما كانت العداوة بحق، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا حرب لمن حاربهم ... وعدو لمن عاداهم».

وذلك من مستلزمات نصرة المسلم وهو من لوازم الإيمان، سواء كانت العداوة لأمر ديني أو لحق شخصي، كمن غصب مال أحدهم فيكونوا يداً

واحدة

.....

عليه حتى يرد المال وهكذا وهلم جرا.

ومن الواضح أنه لا يصح نصرة القريب أو نحوه بالباطل.

وقول النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالماً ومظلوماً»[٤٩٦] يراد بالأول: كفه عن الظلم؛ لأنه نصرة لـه في الدنيا [٤٩٧] والآخرة كما فسر بذلك في بعض الروايات.

وخصوصية الأقرباء أنهم أولى بالمعروف، وإلاّ فالمسلمون ينصر بعضهم بعضاً وإن كانوا بُعَداء.

إضافة إلى أن العائلة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإذا غرست فيها معاني التعاضد والتعاون بالحق كان سبباً لتربية المجتمع على ذلك أيضاً.

---

[٤٩٦] راجع وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢١٢-٢١٣ ب١٢٢ ح١٦١١٤، وفيه عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً - إلى أن قال - وينصره ظالماً ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ولا يسلمه ولايخذله».

[٤٩٧] لما للظلم من الأثر الوضعي والعواقب الوخيمة على الظالم وذريته في هذه الدنيا.

محبة أهل البيت عليهم السلام

مسألة: تجب محبة أهل البيت عليهم السلام[٤٩٨] تحصيلاً لحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ومحب لمن أحبهم».

كما يلزم حبهم عليهم السلام أيضاً لذواتهم، فإحدى المحبتين طريقية والأخرى موضوعية ذاتية، ويوضح ذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إلى عقيل عليه السلام: «إني أُحبه حبين: حُباً لـه وحباً لحب أبي طالب لـه»[٤٩٩].

ثم لا يخفى أنه لا يصح الاكتفاء بمحبتهم عليهم السلام عن الامتثال لأوامرهم والتي هي أوامر الله سبحانه وتعالى، فإن المحب الحقيقي هو الذي يتوخى رضا المحبوب ويلتزم بمنهجه ويطيع سيده في كل أعماله، ولذلك ورد[٥٠٠]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه إن المحب لمن أحب مطيع

---

[٤٩٨] الأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، فليراجع: (إحقاق الحق)، و(الغدير)، و(العوالم)، و(كفاية الموحدين)، وغير ذلك.

[٤٩٩] بحار الأنوار: ج٢٢ ص٢٨٨ ب٥ ح٥٨.

[٥٠٠] هذا الشعر مما تمثل به الإمام الصادق عليه السلام وفيه تقديم تأخير ،والصحيح هو:

هَذَا مُحَالٌ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيع لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ

راجع وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٠٨ ب٤١ ح٢٠٥٩٦.

ولا ينفع حبهم عليهم السلام بدون الإطاعة والعمل إلا نفعاً في الجملة كما ذكر في الروايات، ففي الحديث: «إن ولي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وأن عدو محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عصا الله وإن قربت قرابته»[٥٠١]، و «أشد الذنوب ما استهان به صاحبه»[٥٠٢].

وفي ذلك بحث مفصل في علم الكلام، فإن الإيمان مركزه الجوارح واللسان والقلب، ويجب أن يتجلى عليها كلها ـ حسب المقرر في الشريعة ـ وهكذا أمثال الحب.

المحبة ودورها في التكوين والتشريع

مسألة: يستحب ـ وقد يجب ـ تكوين وإنماء المحبة السليمة المشروعة، فإن المحبة هي المحرك الأكبر نحو الفضائل، فمحبة الله سبحانه هي التي تبعث على إطاعة أوامره **[والذين آمنوا أشد حبا لله]**[٥٠٣]، وكذلك محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وكذا الصالحين، ومحبة الدخول في الجنة، ومحبة الذكر الحسن **[واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين]**[٥٠٤] وهكذا.

---

[٥٠١] تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٢٤.

[٥٠٢] وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣١٢ ب٤٣ ح٢٠٦٠٨.

[٥٠٣] سورة البقرة: ١٦٥.

[٥٠٤] سورة الشعراء: ٨٤.

ولذلك ورد في الحديث الشريف: «الدين الحب»، و«هل الدين إلاّ الحب»[٥٠٥] وغير ذلك. إضافة إلى أن الحب تدور عليه رحى الحياة، فالأم والأب يعتنيان بالأولاد وتربيتهم نتيجةً للمحبة، وكذلك اكتساب التاجر معلول لمحبته لنفسه وأُسرته، وكذلك الزراع يزرع، والطالب يكتسب العلم، إلى غير ذلك، كله للحب، حتى إذا فقد الحب من العالم انهدم العالم.

فاللازم أن يكوّن الإنسان الحبّ وينمّيه حتى يكون في خط الكون ـ الذي خلق بالحبّ وللحبّ ـ وحتى يكون في خط الدين.

لكن ما معنى أن الكون خلق للحب وبالحب؟، وأن به قوامه؟.

يتضح ذلك بمثال: فكما أن النور والجاذبية ونحوهما قوام الكون، فإذا فقدا انهدم الكون، قال سبحانه: [**إِن اللهَ يمسِكُ السماواتِ والأرضَ أن تزولا ولئِن زالتا إِن أمسكهما مِن أحدٍ مِن بعدِهِ**][٥٠٦] كذلك ـ بل وفي رتبة سابقة ـ المحبة، فإنها هي الباعث لإيجاد هذا الكون، وأعني: محبة الله سبحانه لإظهار ذلك الكنز الخفي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف»[٥٠٧]، ومحبته جل وعلا لهؤلاء الخمسة (صلوات الله عليهم أجمعين) كما سيأتي قريباً في قوله تعالى: «إني ما خلقت سماءً مبنية و... إلاّ في محبة هؤلاء الخمسة... » ويدل عليه كثير من الروايات الأخرى.

.....

---

[٥٠٥] مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢١٩ ب١٤ ح١٣٩٢٧.

[٥٠٦] سورة فاطر: ٤١.

[٥٠٧] بحار الأنوار: ج٨٤ ص١٩٩ ب١٢ ح٦ بيان.

وحب الله تعالى معناه ما ذكروه من (خذ الغايات واترك المبادئ) كسائر ما يُنسب إليه من الصفات من أمثال الغضب والسمع والبصر وشبه ذلك، فالكون كمائدة يهيئها المضيف للضيف من جهة حب المضيف للضيف.

ولماذا هذا الحب من الله تعالى؟. لأنهم عليهم السلام أكمل خلق الله سبحانه، ولأن المخلوق محبوب للخالق، ولأنهم أكثر خلق الله لـه طاعة وحُباً[٥٠٨].

وقد اتضح بذلك أن الكون يدور على رحى المحبة، كما اتضح في صدر هذا البحث أن الدين أيضاً كذلك[٥٠٩]. ونضيف أن كون (الدين الحب) باعتبار أن محبة الله وأوليائه[٥١٠] هي النواة المركزية للدين، حيث إن العلة الغائية للدين هي ذلك، وحيث شرّعت الأحكام كلها حول هذه النواة، قال سبحانه: **[والذين آمنوا أشد حبا لله]**[٥١١] وقال تعالى: **[إلا المودة في القربى]**[٥١٢] وهي العلة الأساسية للتمسك بالدين، ومن أراد المزيد فعليه بالمفصلات.

---

[٥٠٨] سيأتي بعض الكلام حول ذلك في مبحث (الغاية من الخلقة).

[٥٠٩] حيث ذكر (أن المحبة هي المحرك الأكبر نحو الفضائل...).

[٥١٠] الإضافة لـها معنيان هاهنا وكلاهما مفيد ومراد ولو بنحو الجامع، فـ (محبة الله) أي محبة الإنسان ـ مثلاً ـ لله تعالى و(محبة الله) أي محبة الله للإنسان، إذ الإضافة تكون تارة للفاعل وأخرى للمفعول، فمحبة الله للإنسان سبب لتشريعه الأحكام التي توجب سعادته في الدنيا والآخرة، ومحبة الإنسان لله سبب لالتزامه بدساتيره جل وعلا، وهناك معنى ثالث محبة الإنسان ليكون محبوباً لله، فليتأمل.

[٥١١] سورة البقرة: ١٦٥.

[٥١٢] سورة الشورى: ٢٣.

توثيق الترابط بين الأقرباء

مسألة: يستحب توثيق عرى الترابط بين الأقرباء، ومن طرق ذلك تعريفهم وتذكيرهم دوماً بأن بعضهم من بعض، خاصة إذا كانت لبعضهم منزلة رفيعة، فإن ذلك فيما إذا كانوا جميعاً على الدين والإيمان يوجب تماسكهم وتعاونهم على الخير والتزامهم بصلة الرحم، وبالتالي يستلزم قوة هذا التجمع الصغير، بل والمجتمع الأكبر، نظراً لتشكله منه.

فإن التجمع قوة وكلما كان تماسكه أكثر كانت قوته أكثر، والمعرفة مقدمة للتجمع والتماسك والتعاون بشكل أقوى.

أما خطاب النبي ﷺ لله سبحانه أنهم عليهم السلام منه ﷺ، فإن ذلك من التخضع والاستعطاف والالتماس، مثل أن يقول الفقير للغني: هؤلاء أولادي فتكرم عليَّ وعليهم بالمال.

هذا بالإضافة إلى أن الأقرباء إذا عرفوا أنهم ينحدرون من كبير في العلم والفضيلة، حفّزهم ذلك على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فإن الإنسان مندفع إلى طلب المعالي والترفع بذاته، خصوصاً إذا عرف أن المنسوب إليه رفيع.

وهذا من أسباب ابتعاد أولاد الأئمة عليهم السلام وذويهم عن الدنايا وترفعهم عنها، بخلاف أولاد أمية والعباس ومن إليهما، إذ نجد في أولاد الأئمة

وإخوتهم وذويهم أن معرفتهم بنسبهم أوجبت أن يرتفعوا عن الدنايا ويتصفوا بكثير من المزايا.

وقد ذكرنا في بعض الكتب أن نسبة بعض الأمور الشائنة إلى أولاد الأئمة عليهم السلام لم يثبت منها ثبوتاً شرعياً بحيث يبرأ الناسب شرعاً، وما ذكر في بعض الكتب لا سند لـه[٥١٣].

نعم، الثابت قصة ولدي آدم ونوح عليهما السلام وذلك استثناء، إذ ما ذكرناه ليس على نحو العلية، بل الاقتضاء الغالب، ولذا ورد: (الولد سرّ أبيه).

الاحتمالات في معنى (إنهم مني وأنا منهم)

يمكن أن يكون المراد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنهم مني وأنا منهم» أحد أمور[٥١٤]:

منها: إن خلقتهم عليهم السلام كانت بسببه صلى الله عليه وآله وسلم وخلقته صلى الله عليه وآله وسلم كانت بسببهم[٥١٥]

---

[٥١٣] أو مؤول، أو مروي عن غير طرقنا، أو غير ذلك، للتفصيل انظر موسوعة (الفقه) كتاب البيع، الجزء الرابع والخامس، وكتاب (من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام) للإمام المؤلف قدس سره.

[٥١٤] قد يكون المقصود: إن كل واحد منها تمام المراد، وقد يكون المقصود كون كل واحد منها بعض المراد وأحد المصاديق، وهذا أرجح بالنظر إلى سياق الحديث كله وإلى إطلاقه، وإلى القرائن المقامية والمقالية الأخرى، إضافة إلى أن نظر المصنف هو ذلك كما يظهر من استنباطه اللاحق.

[٥١٥] قد يكون المقصود: بنحو الدور المعي، وقد يمثل لذلك بالمتضايفين كالمتوازيين والأخوين (متوافقين كانا أم متخالفين).

كما قد يدل على هذا حديث «لولاك ... »[٥١٦]، وتقريره أن لولا النبي ﷺ لم يخلق الله تعالى الأفلاك ونظائرها، فلم يتيسر لأحد أن يحيا هذه الحياة، ولولا علي وفاطمة (سلام الله عليهما) لم يخلق الله تعالى النبي ﷺ.

وبعبارة أخرى: إن الكون كمجموعة بدون خلقته ﷺ وخلقتهم عليهم السلام ناقص، والله سبحانه لا يخلق إلاّ الكامل ـ كل في حده ـ بل لغو ونقض للغرض فليدقق، فلولاه ﷺ لكان الكون ناقصاً، فلم يكن الله لـه ﷺ ولهم عليهم السلام خالقاً، وبالعكس.

ومنها: المعنى الذي ربما يستظهر من قولـه ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين»[٥١٧]، لذا قالوا: (الإسلام محمدي الوجود... حسيني البقاء)، وكذلك قد يراد بـ «إنهم مني وأنا منهم» ذلك.

ومن المحتمل أن يراد بـ: «حسين مني وأنا من حسين» المعنى الأول المذكور في قوله ﷺ: «إنهم مني وأنا منهم» من التسبيب في أصل الخلقة.

ومنها: إن الاعتبار الدنيوي والمكانة الدنيوية في القلوب والأفكار وغيرها لأهل البيت عليهم السلام من النبي ﷺ، وكذا ما للنبي ﷺ في الدنيا من المنزلة والذكر الحسن فهو من تضحيات أهل البيت عليهم السلام ونتيجة تفانيهم في سبيله وسبيل دينه.

ومنها: ما سبق ولكن بلحاظ الآخرة.

---

[٥١٦] عوالم العلوم: ج١١ ص٢٦ ب٣ ح١.

[٥١٧] بحار الأنوار: ج٤٣ ص٢٧١ب١٢ ح٣٥.

ومنها: باللحاظين معاً، وغيرهما أيضاً، ويؤيد هذا المعنى الجمل السابقة على هذه الجملة «إن هؤلاء...».

ومنها: إن هذه عبارة عرفية تدل على شدة الترابط والتماسك بينه ﷺ وبينهم عليهم السلام، وترمز إلى أن ما يصيبه ﷺ يصيبهم عليهم السلام وما ينفعه ينفعهم وبالعكس، ونظيره ما يقوله الملك أو الحاكم لشعبه: أنا منكم وإليكم.

فقولـه ﷺ: «إنهم مني وأنا منهم» يأتي مؤكداً للجمل السابقة، وشدة الارتباط والقرب بينه ﷺ وبين أهل بيته عليهم السلام أوضح من الشمس، وهي تتجلى في القرب المادي النسبي، والقرب الروحي والمعنوي والفكري و... والقرب في المنشأ؛ لأنهم عليهم السلام كلهم من نور واحد، ولذا قال ﷺ: «خلق الله الناس من أشجار شتى، وخلقني وأنت [يا علي] من شجرة واحدة»[٥١٨].

ومنها: إن الخلقة لولا خلقة النبي ﷺ لم تدل على كمال الخالق، فلولاه ﷺ لم يخلق الله تعالى الخلق، إذ أنه حينئذ سيدل على عدم كمال قدرته، كالبنّاء الماهر لا يبني الدار الناقصة لدلالتها على عدم كماله[٥١٩].

---

[٥١٨] بحار الأنوار: ج١٥ ص٢٠ ب١ ح٣٠.

[٥١٩] الفرق بين هذا وما سبق أن هذا بلحاظ مرحلة الإثبات وذاك بلحاظ مرحلة الثبوت.

الولاية التشريعية والتكوينية[٥٢٠]

يستنبط[٥٢١] من قوله ﷺ: «إنهم مني وأنا منهم» ثبوت الولاية التشريعية والتكوينية لأهل البيت عليهم السلام، إضافة إلى وجود الأدلة الكثيرة الدالة على ذلك.

فالولاية التشريعية بمعنى أن بأيديهم عليهم السلام التشريع. والتشريع فيهم يعني نفس ما يعنيه الحديث الشريف الوارد فيه ﷺ: «إن الله أدب نبيه على أدبه ففوض إليه دينه»[٥٢٢]، على تفصيل ذكره السيد عبد الله الشبر قدس سره[٥٢٣] وغيره في

---

[٥٢٠] حول هذا المبحث راجع: (الفقه: البيع الجزء الرابع)، و(القول السديد في شرح التجريد) للمؤلف رحمه الله.

[٥٢١] نظراً لإطلاقها بل ودلالتها على (الوحدة)، وإذا تعذرت الحقيقة (الوحدة الذاتية) فستكون بلحاظ الصفات والآثار جميعاً باعتباره أقرب المجازات.

[٥٢٢] بحار الأنوار: ج١٠١ ص٣٤٢ ب٥ ح٤.

[٥٢٣] السيد عبد الله شبر بن السيد محمد رضا، ولد سنة ١١٨٨هـ من أسرة علوية يتصل نسبها بالإمام السجاد عليه السلام، وآل شبر من أعرق العائلات العراقية، والده علامة كبير أفاد منه علماً جماً ومعرفة متنوعة، تتلمذ على يدي وحيد عصره الشيخ جعفر صاحب (كاشف الغطاء)، أربت مؤلفاته على السبعين فلقب بـ (المجلسي الثاني) لوفرة إنتاجه وغزارة تأليفه وتصانيفه وثبات مواقفه، لقد ظل قدس سره منكباً على التصنيف والتأليف ومتصدراً مجالس التعليم والتدريس حتى وافته المنية في المشهد الكاظمي سنة١٢٤٢هـ فدفن إلى جانب والده المبرور في الحجرة الشرقية من رواق الإمامين المعصومين عن أربعة وخمسين عاماً، له من الكتب المشهورة: (تفسير شبر)، و(طب الأئمة)، و(تسلية الفؤاد)، وغيرها.

كتبهم[٥٢٤] وقد ألمعنا إليه في بعض الكتب الفقهية.

وأما الولاية التكوينية: فبمعنى أن لـهم عليهم السلام أن يتصرفوا في الكون بإذنه سبحانه، بل هم عليهم السلام يتصرفون بإذنه تعالى كما يتصرف عزرائيل بإذنه سبحانه في الإماتة، وكذلك بالنسبة إلى بعض الملائكة حيث قال سبحانه: **[فالمدبرات أمرا]**[٥٢٥].

وفي الحديث القدسي: «عبدي أطعني تكن مثلي أو مثلي، أقول للشيء: كن فيكون وتقول للشيء: كن فيكون»[٥٢٦]، وهذا يمكن تحققه بالنسبة إلى الطبقة العادية من الناس، فكيف بهم عليهم السلام وهم من المعدن الأسمى والجوهر الأعلى! كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»[٥٢٧]، وفي قصة عيسى عليه السلام دلالة على ذلك حيث كان يبرأ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله سبحانه وتعالى، وهم عليهم السلام أفضل من عيسى عليه السلام لما ورد من أن عيسى عليه السلام يصلي خلف الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)[٥٢٨]، بالإضافة إلى الروايات المتعددة والتي تعد من ضروريات مذهبنا، وقد أشرنا إلى هذا ا المبحث في مقدمة الكتاب.

---

[٥٢٤] يراجع: (نهج الحق وكشف الصدق) للعلامة الحلي قدس سره، و(كفاية الموحدين)، و(إحقاق الحق) للتستري قدس سره وغيرها.

[٥٢٥] سورة النازعات: ٥.

[٥٢٦] راجع مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٥٨-٢٥٩ ب١٨ ح١٢٩٢٨.

[٥٢٧] الكافي: ج٨ ص١٧٧ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ح١٩٧.

[٥٢٨] راجع الخصال: ج١ ص٣٢٠ باب الستة ح١.

التمهيد للدعاء

مسألة: يستحب أن يقدّم على الدعاء ما يوجب الاستجابة، كذكر أسماء المعصومين عليهم السلام والتوسل بهم، كما قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما قدم ثم قال: «فاجعل صلواتك ...».

فإن التوسل بأهل البيت عليهم السلام وجعلهم شفعاء بين يدي الدعاء يوجب استجابة الدعاء، كما دل على ذلك جملة من الأدلة.

وفي بعض الأحاديث أن تقديم الصلاة عليهم عليهم السلام على الدعاء وإلحاقها به أيضاً ـ أي الصلاة قبل الدعاء وبعده ـ يوجب الاستجابة، وفي رواية: «الصلوات ثلاث مرات» كما ذكرنا ذلك في كتاب (الفقه: الآداب والسنن).

فإن ذكر المحبوب مع طلب الحاجة يوجب إقبال الغير على السائل، والله سبحانه وتعالى يقبل على عبده إذا افتتح دعاءه بالصلاة على محمد وآل محمد، وإقباله تعالى ليس بالمعنى العرفي الحسي وشبهه، بل من باب: (خذ الغايات واترك المبادئ)، كما ذكروا بالنسبة إلى صفاته سبحانه التي هي من قبيل الغضب والرضا والحب والسمع والبصر أو ما أشبه ذلك، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفتتح دعاءه بالصلاة عليه وآله، إذ لا منافاة بين رفعة المقام وبين جريان سنن الله التشريعية على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما تجري السنن التكوينية عليه.

الصلاة على النبي وآله عليهم السلام

مسألة: يستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام كما قال صلى الله عليه وآله: «فاجعل صلواتك عليَّ وعليهم».

والمراد بالصلوات: العطف والحنان، ولذا يسمى أحد المتسابقين بالمصلي، فإن الإنسان يعطف إلى نحو الله سبحانه وتعالى في صلواته[٥٢٩] والله سبحانه وملائكته يعطفون على الإنسان في صلواتهما عليه.

ومن الواضح أن عطف الله سبحانه وتعالى: إنزال فضله ولطفه.

قال الشاعر[٥٣٠]:

صلت على جسم الحسين سيوفهم فغدا لساجدة الظبى محرابا[٥٣١]

ولعل قوله صلى الله عليه وآله: «فاجعل صلواتك» حيث جاء بالجمع ولم يقل: (صلاتك) كان من جهة اختلاف أنحاء العطف، كالعطف المعنوي والعطف المادي، والعطف في الدنيا والعطف في الآخرة، إلى غير ذلك.

---

[٥٢٩] فالصلاة لله بمعنى العطف والميل نحوه تبارك وتعالى.

[٥٣٠] السيد رضا الموسوي الهندي (١٢٩٠-١٣٦٢هـ).

[٥٣١] أي: نزلت على جسمه عليه السلام وعطفت نحوه.

التنويع في الدعاء

مسألة: يستحب تنوع الدعاء وتعدد ما يطلبه من الحوائج، وعدم الاقتصار على دعاء واحد، ولذا لم يكتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بواحدة منها لاختلاف معاني هذه الكلمات.

فالصلاة: هي العطف.

والبركة: الثبات والاستمرار.

والرحمة: هي الإفاضة.

والغفران: الستر.

لأن للممكن ـ بما هو ممكن ـ نواقص وقصوراً، ولذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «وإنه ليُران على قلبي»[٥٣٢] مما هو لازم الممكن، وإلاّ فهم عليهم السلام في أرفع درجات العصمة والكمال، ومن هذه الجهة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر كل يوم سبعين مرة من غير ذنب.

والرضوان: عبارة عن رضاه سبحانه وتعالى، وقد ذكرنا: إن الرضا عبارة عما ذكروه بقولهم: خذ الغايات واترك المبادئ؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس محلاً للحوادث.

---

[٥٣٢] بحار الأنوار: ج١٧ ص٤٤ ب١٥.

ولعلّ الإتيان بالجمع في بعض الجمل والإفراد في بعض الجمل ـ مع إمكان تصور كل واحد من الجمع والإفراد في كل الجمل ـ للتفنن في العبارة، فإنه من أقسام البلاغة، كما نجد ذلك بوفرة في القرآن الحكيم وفي كلماتهم (صلوات الله عليهم) وفي كلمات البلغاء.

وخطاب الله سبحانه وتعالى بصيغة المفرد لا بصيغة الجمع لئلا يتوهم اشتراك غيره معه في ذلك المقام[٥٣٣] كما في الإنسان حيث إنه يشاركه غيره، وإنما قال سبحانه: [**إِنَا نحنَ نزلنا الذكرَ وإِنا له لحافِظون**][٥٣٤] بصيغة الجمع إشارة إلى إشراكه سبحانه وتعالى الملائكة في إنزال الكتاب، ويمكن أن يكون وجهه غير ذلك مما ذكر في علم الكلام والبلاغة.

---

[٥٣٣] ربما يكون المراد بـ (في هذا المقام) الإشارة إلى دفع توهم (إن الملائكة أيضاً يصلّون على النبي ﷺ [إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ] ـ سورة الأحزاب: ٥٦ ـ .. فأجاب بقوله: (في هذا المقام) إلى أن خصوصية مقامهم عليهم السلام وهم تحت الكساء، كان مقام الإفاضة المباشرة منه تعالى وقد طلب الرسول ﷺ في مقامه ذلك أسمى مراتبها وأعلى درجاتها فاقتضى ذلك طلب ما هو منه جل وعلا مباشرة، إضافة إلى أن بعض الدعوات الأخر قد يقال باختصاص طلبها منه تعالى فتأمل.

[٥٣٤] سورة الحجر:٩.

الدعاء لأهل البيت عليهم السلام

مسألة: يستحب الدعاء لأهل البيت عليهم السلام بهذه الكلمات التي دعا صلى الله عليه وآله وسلم بها: «فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليَّ وعليهم».

ولا يخفى أنهم عليهم السلام يمتازون بصلوات ورحمة وبركة وغفران ورضوان خاص من الله سبحانه، لا يشاركهم فيها أحد من الأولين والآخرين.

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم خصّهم عليهم السلام بهذا الدعاء مع أنه يستحب الدعاء للجميع لذلك، ولأن المقام يقتضيه، إذ هناك فرق بين المقامات وهذا المقام الذي اجتمع فيه هؤلاء الأطهار عليهم السلام فيقتضي الاختصاص[٥٣٥].

وتقديم «عليَّ» باعتبار أنه صلى الله عليه وآله وسلم أفضلهم، ومن المعلوم أن تقديم الأفضل أولى[٥٣٦].

وقد قلنا في مبحث آنف: إن الإتيان بلفظ «على» دون «اللام» ـ مع أن «على» للضرر غالباً و«اللام» للنفع ـ من جهة إفادة انغماسهم عليهم السلام من الرأس إلى أخمص القدم في هذه البركات.

---

[٥٣٥] لأنه لذلك أوجد ولأجله تكوَّن.

[٥٣٦] وقد سبق من الإمام المؤلف رحمه الله بيان جهة أُخرى لذلك أيضاً.

ويمكن أن يكون الوجه؛ لأن الرحمة وأشباهها تنزل من فوق، وقد سُئل علي (عليه الصلاة والسلام): لماذا يرفع الإنسان يده إلى السماء في الدعاء؟.

فأجاب عليه السلام بأحد المصاديق قائلاً: «لقوله سبحانه: **[وفِي السمَاءِ رِزقكم وما توعدون]**[٥٣٧]»[٥٣٨]، والسماء محل نزول الرحمة والعذاب.

ومن الواضح أن الله تعالى ليس لـه مكان أو جهة، إلاّ أن التوجه إلى الأعلى لذلك.

وربما يضاف: أن التوجه للأعلى أدعى للخشوع والخضوع، وأكثر دلالة على الإجلال والإكبار والاحترام[٥٣٩]، كما يجد الإنسان ذلك من نفسه، وفي تصرفاته وتصرفات غيره.

---

[٥٣٧] سورة الذاريات : ٢٢.

[٥٣٨] راجع وسائل الشيعة: ج٦ ص٤٨٧ ب٢٩ ح٨٥٠٩.

[٥٣٩] وربما لذلك جعل الله السماء محل نزول الرحمة والتقديرات، ولكي ينسجم مع طبيعة الإنسان وفطرته.

علة تخصيصهم عليهم السلام بالدعاء هنا

قد يكون السبب في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عنهم» دون «عني وعنهم» مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إلى «صلوات الله وبركاته ورحمته و... » قال: «عليَّ وعليهم» الإشارة إلى أسبقية اتصافه صلى الله عليه وآله وسلم بالعصمة ولو رتبة [٥٤٠].

وربما يكون السبب: إرادة تلاوة شبه الآية الشريفة والتي لا يبعد أن يراد بها الأعم.

ومن المحتمل أن يكون وجه عدم ذكر نفسه صلى الله عليه وآله وسلم وذكرهم عليهم السلام أنهم محل توهم وتشكيك بعض الأمة دونه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث إن كثيراً ممن لا يشك في عصمته صلى الله عليه وآله وسلم يشكك في عصمتهم عليهم السلام .. إذ لا يعرف الجميع أن أهل البيت عليهم السلام معصومون إلاّ من كلماته (صلوات الله وسلامه عليه) فكان ذلك مدعاةً للتركيز عليهم.

[٥٤٠] ومن فوائد ذلك: كون هذا الطلب والدعاء صادراً عن المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق ولايصمت ولا يتحرك إلاّ بأمره سبحانه وإذنه، فيكون أقوى في الدلالة على عصمتهم عليهم السلام طلباً واستجابة.

بحث في معنى الرجس والعصمة

مسألة: يجب الاجتناب عن الرجس حدوثاً، ورفعه بقاءً، وقد يكون مستحباً كلٌّ في مورده بالنسبة لكل فرد، واستفادة ذلك من هذه الجملة «وأذهب عنهم الرجس» لفهم الملاك منه[٥٤١] بل الأولوية من وجه، ولقرينة دليل الأسوة وغير ذلك.

و(الرجس) عبارة عن القذارة والوساخة، سواءً القذارة المعنوية أم المادية، الشرعية منها، والعرفية مما يستقذره العرف ولا يعدّ في الشرع من النجاسات.

وكذلك الوساخة في النفس نوعان:

وساخة محرمة يجب إزالتها، كوساخة الشرك.

ووساخة مكروهة من الأفضل إزالتها، كالجبن وما أشبه ذلك.

فاللام للجنس (في قوله ﷺ: الرجس) فيكون دعاؤه ﷺ طلباً لإذهاب كل أنواع الرجس عنهم عليهم السلام الظاهر منه والباطن، الروحي والجسمي، المادي والمعنوي، المحرم منه والمكروه[٥٤٢].

---

[٥٤١] لتنقيح المناط القطعي.

[٥٤٢] سواء كان رجساً في الفاعل (الرجس الفاعلي) أم في الفعل (الرجس الفعلي) كما عبر في نظيره بالمعصية الفعلية والفاعلية.

وهذا يدل على ما فوق العصمة؛ لأن العصمة عبارة عن الاعتصام عن الذنب والسهو والخطأ والنسيان والجهل وما أشبه ذلك، والإطلاق يدل على ما فوق ذلك ويشمل حتى ترك الأولى، وقد ذكرنا في بعض الكتب الكلامية أنهم (عليهم الصلاة والسلام) منزهون عن ترك الأولى أيضاً.

بل قلنا: ببراءة الأنبياء عليهم السلام من ترك الأولى وإن نسب إليهم على قول مشهور، لكننا هناك نفينا ترك الأولى بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام أيضاً [٥٤٣]، وبيّنا أن ما ظهر منهم من بعض الأعمال والآثار فإنما هو من باب المقتضيات المخفية، مثلاً:

في قولـه سبحانه: **[عصى آدمُ ربَّه فغوى]**[٥٤٤] المراد به: المعنى المجازي[٥٤٥] لا الحقيقي، فإنه لم يكن عصياناً ـ على ما حققناه ـ لا بالمعنى اللغوي ولا بمعنى ترك الأولى، وإنما كان مقدراً من الله سبحانه وتعالى أن يفعل ذلك حتى ينزل إلى الأرض؛ لأن آدم عليه السلام خُلق للأرض[٥٤٦] كما في قوله سبحانه:

[إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَة][٥٤٧].

---

[٥٤٣] أي مضافاً إلى نفي المعصية ونفي المكروه، فقد قلنا بنفي ترك الأولى عنهم عليهم السلام أيضا.

[٥٤٤] سورة طه: ١٢١.

[٥٤٥] ربما يكون المراد نظير الأوامر الامتحانية، أو المراد: إن ما جرى كان شيئاً صورياً تمثيلياً، وقد يكون مراده من (المقتضيات المخفية) ذلك.

[٥٤٦] وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام: «... فإن الله عزوجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنة ... »، راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٩٣ ب١٤ ح١.

[٥٤٧] سورة البقرة: ٣٠.

وإنما أُسكن عليه السلام أولاً في الجنة، فلكي يخرج منها، فيتذكر محله فيها ويبكي وينقطع إلى الله سبحانه وتعالى أكثر فأكثر، ويكون ميله وميل ذريته إلى الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى في جنته أكثر فأكثر[٥٤٨].

وهكذا بالنسبة إلى كل نبي نبي عليهم السلام.

وعلى أي حال، فهذا بحث كلامي لا يرتبط بالمقام، وإنما ذكرناه استطراداً وإلماعاً فقط.

[٥٤٨] وهناك جواب آخر في حديث الإمام الرضا عليه السلام ـ في حديث طويل جواباً على شبهة رجل ـ قال عليه السلام: «... أما قوله عزوجل في آدم: [وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى] ـ سورة طه:١٢١ ـ فـ ... كانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض، وعصمته تجب أن تكون في الأرض ليتم مقادير أمر الله عزوجل، فلما أُهبط إلى الأرض وجُعل حجة وخليفة عصم بقوله عزوجل: [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً...] ـ سورة آل عمران: ٣٣ ـ راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٩٣ ب١٤ ح١.

الطهارة والتطهير

مسألة: يستحب ـ أو يجب ـ الطهارة والتطهير مطلقاً، ودليل التعميم قد سبق، وحيث إن للطهارة مراتبَ فيكون الرجس وما عدا المرتبة الدنيا من الطهارة واسطة، بأن لا يكون رجس ولا تكون طهارة برتبها ودرجاتها الرفيعة.

فلا يكون ـ على هذا ـ «وطهّرهم تطهيراً» من باب التأكيد، وإنما يفيد معنى جديداً، وهو ارتفاعهم عليهم السلام إلى غاية مراتب الطهارة.

فإنه لو اكتفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقولـه: «أذهِب عنهم الرجس» لَتُوهم الاكتفاء بإذهاب الرجس فقط بدون الارتفاع إلى أسمى مراتب الطهارة.

وبذلك يظهر أن قولـه (عليه الصلاة السلام): «تطهيراً» يفيد أيضاً هذا المعنى، فهناك إذهاب الرجس، وهناك التطهير في أعلى درجاته، وهناك «تطهيراً» الذي هو أقصى درجات الطهارة [٥٤٩].

هذا وإن كان من الممكن أن يكون «تطهيراً» للتأكيد.

ثم إن أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) خلقوا أطهاراً، فليس المراد بطلب الإذهاب: الرفع، بل الدفع[٥٥٠] إذ لم يكن فيهم عليهم السلام رجس حتى يطلب

---

[٥٤٩] يستفاد إرادة الدرجات العليا من الطهارة: من الإطلاق، ومن السياق، ومن القرائن المقامية والخارجية الأخرى.

[٥٥٠] الرفع: إزالة ما هو موجود، والدفع: الحيلولة دون وجوده. فلو تمرض زيد وعولج كان هذا رفعاً، أما لو كان في معرض التمرض والوباء فلقح بالمضادات من قبل كان هذا دفعاً.

إزالته.

.....

وكذلك المراد بـ «التطهير» خلقه طاهراً، وقد يكون المراد بذلك الاستمرار، كما قال علي (عليه الصلاة والسلام) بالنسبة إلى قولـه سبحانه: [**اهدِنا الصِّراط المُستقيم**][٥٥١] بمعنى: طلب استمرار الهداية، فإن ممكن الوجود بما هو هو في كل لحظة معرض للطرفين، وإنما يميل إلى الطرف الأرفع بلطف الله سبحانه وتعالى، كما يميل إلى الطرف الأنزل بخذلانه، فالإنسان في كل لحظة بحاجة إلى هداية وتسديد جديد من الله تعالى، فالمطلب ابتدائي في بعض واستمراري في بعض، سواء أخذ جانب الطهارة أم جانب النجاسة، الأول في المعصومين عليهم السلام وفي المؤمنين، والثاني في الكفار والمنافقين والفساق.

وقد ذكروا أن مَثَل الكون بالنسبة إلى الله سبحانه كمَثَل الصور الذهنية بالنسبة لنا ففي كل لحظة تحتاج إلى عناية وإفاضة، وإلاّ انهدمت واضمحلت، إذ البقاء بالغير لا بالذات كالحدوث.

اتصافهم عليهم السلام بجميع الفضائل

مسألة: يجب الاعتقاد بأن أهل البيت عليهم السلام متصفون بجميع الفضائل والكمالات وأعلى مراتب الطهارة.

---

[٥٥١] سورة الفاتحة.: ٦.

كلام الله سبحانه[٥٥٢]

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الله تعالى متكلّم بالمعنى الصحيح لذلك، وقد ثبت في علم الكلام أن الله سبحانه وتعالى لا يتكلم كتكلمنا بفم وشبهه، لاستحالة ذلك في حقه؛ لأنه تعالى ليس بجسم، ولا هواء هناك، إلى غير ذلك من شرائط الكلام المعهود المفقودة في ساحته المقدسة.

بل يراد بالقول:

إما خلق الصوت كما التزموا بذلك في قولـه سبحانه: [**وكلم الله موسى تكليما**][٥٥٣]..

وإما إيجاد علامة دالة على ذلك في اللوح بسبب القلم، وقد روى الصدوق قدس سره أن «اللوح والقلم ملكان»[٥٥٤] أو ما أشبه ذلك.

وقد ألمعنا سابقاً إلى أن القول في اللغة العربية يطلق على اللفظ وعلى الفعل[٥٥٥]، ولذا يقولون: «قال بيده كذا» فيما لو أشار بيـده، و«قـال برأسه

---

[٥٥٢] حول هذا المبحث راجع (شرح التجريد)، و(شرح المنظومة) للإمام المؤلف قدس سره.

[٥٥٣] سورة النساء: ١٦٤.

[٥٥٤] الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق: ص٢٢ ب١٢.

[٥٥٥] ولو فرض كون هذا الإطلاق مجازياً للتبادر، ولعدم الالتزام بالوضع التعيني اللاحق فإنه لابد منه هاهنا بعد تعذر الحقيقة كما لا يخفى.

كـــذا»

.....

فيما أشار برأسه، و«قال برجله» إذا مشى. وكذلك بالنسبة إلى الكتابة ولذا يقولون: قال المفيد ثُدَّسَ سِرُّهُ وقال الصدوق ثُدَّسَ سِرُّهُ، مع أنهما إنما كتبا ذلك المنقول عنهما في كتبهما، ولا لفظ ولا إشارة بإحدى الجوارح ها هنا.

والفاء في «فقال الله» تكشف عن مدى قرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الله سبحانه وتعالى حيث استجاب لـه دعاءه دون إبطاء، إذ الفاء للترتيب باتصال.

لا يقال: أحياناً لا يؤتى حتى بالفاء، كما في قولـه سبحانه: **[ادعونِي أستجِب لكم]**[٥٥٦] فلم يقل هناك: فأستجب لكم، فلماذا جاء بالفاء هنا[٥٥٧]؟.

لأنه يقال: لعلّ الوجه في الإتيان بالفاء ها هنا الإشارة إلى تعقب طلبه ودعائه صلى الله عليه وآله وسلم بإحضار الله سبحانه وتعالى الملائكة ـ ولو إحضاراً قلبياً وإلفاتياً ـ وبعدها كان تكلمه تعالى بهذا الكلام.

فتكون الفاء للإشارة إلى هذا الإحضار، مع وضوح أن الملائكة بكثرة هائلة بحيث لا يعلم أعدادهم ومواقعهم وخصوصياتهم النفسية وغيرها إلاّ الله سبحانه وتعالى، فإنه وإن كان من الممكن بالنسبة إليه سبحانه وتعالى أن يلفتهم إلى ذلك في جزء من لحظة إلاّ أنه ربما يكون قد أشار بالفاء إلى هذا

---

[٥٥٦] سورة غافر: ٦٠.

[٥٥٧] مع دلالتها على نوع من الترتيب أو التعقيب والمكث وإن كان قليلاً جداً، إذ هي للترتيب باتصال في قبال ثم، لا في قبال عدم الفصل بشيء أبداً (بين المقدم والتالي).

الإحضار المتوسط بين الدعاء وبين الاستجابة[٥٥٨].

[٥٥٨] المشعر بنوع من الفصل والتعقب.

معنى العزة والجلالة

مسألة: يستحب أن يردف اسم الجلالة بما يدل على التجليل والتعظيم، مثل كلمة (عزوجل)، كما قالت (سلام الله عليها): «فقال الله عزوجل».

وكذلك كلمة: (تبارك اسمه)، و(تعالى جده)، و(عز من قائل)، وما أشبه ذلك.

وهل كلمة (عزوجل) أقوى دلالةً من تلك الكلمات أو أنها متساوية، وإنما ذكرت (عليها الصلاة والسلام) هذه الكلمة من باب أحد المصاديق؟ احتمالان.

ثم إن العزة عبارة عن قلة الوجود[٥٥٩] وكثرة الفائدة والرفعة والقوة والغلبة[٥٦٠]، ولذا لا يقال للماء: (عزيز) فيما إذا كان متوافراً أو قليل الفائدة[٥٦١]، وكذلك لا يقال للهواء أو الشمس ذلك.

وحيث إن الله سبحانه وتعالى متفرد ليس كمثله شيء، ورفيع وقوي وغالب، فهو العزيز الأوحد، ولذا قال سبحانه: **[مَن كان يرِيدُ العزة فللهِ**

.....

[٥٥٩] عز: قل فلا يكاد يوجد، والعزيز النادر.

[٥٦٠] العزيز: القوي الغالب على كل شيء والممتنع فلا يغلبه شيء والذي ليس كمثله شيء. والعزة: الشدة، الغلبة، الرفعة، الامتناع، القوة، قلة الشيء حتى لا يكاد يوجد، قال في لسان العرب: وهذا جامع لكل شيء.

[٥٦١] قد يكون هذا بلحاظ المتفاهم العرفي أو بلحاظ الدلالة الالتزامية.

العزة جميعا][٥٦٢] لوضوح أن كل عزة في الكون فمن فضل الله تعالى حتى العزة الظاهرية لمن لا يستحق العزة الحقيقية كالملوك الجبابرة.

ومعنى «جلّ»: إنه عظم عن إدراك الإنسان لـه بالعين أو بالظن أو بالوهم وشبه ذلك، إذ من الواضح أن ذلك من المحال، إذ لا يمكن استيعاب الإنسان المحدود لغير المحدود وهو الله سبحانه وتعالى، فلا يعقل أن يستوعب المتناهي اللا متناهي.

وهذا أبعد من استيعاب الصغير للكبير، كاستيعاب الآنية لماء البحر، إذ كلا الطرفين محدود، وما نحن فيه أحدهما غير محدود.

وكلا القسمين وإن كان محالاً، إلاّ أن للمحال أيضاً مراتب، فبعضها أشد (أو أوضح) استحالة من بعض[٥٦٣]. كما أن للممكن أيضاً مراتب[٥٦٤].

وإن كان هذا الكلام من ضيق اللفظ، وإلاّ فالمحال محال والممكن ممكن على أي حال، فليتأمل.

---

[٥٦٢] سورة فاطر: ١٠.

[٥٦٣] يمكن التمثيل لـه بتسلسل الآحاد والعشرات فكلاهما لا متناهي إلاّ أن أحدهما أكثر من الآخر وكلاهما محال، وكذا تسلسل المتناقضين ـ أي سلسلة حلقاتها عبارة عن نقيضين مجتمعين ـ وتسلسل غيرهما إذ الأول محال في محال.

[٥٦٤] ربما يكون المراد الإمكان الوقوعي، وربما يكون مبنياً على أصالة الوجود، فيكون الإمكان فقرياً ذا مراتب، أما على أصالة الماهية وتفسير الممكن بالمتساوي النسبة للطرفين فلا محيص عن الالتزام بكون المراد الوقوعي، فتأمل.

بيان الحقائق

مسألة: يستحب أو يجب ـ كل في مورده ـ بيان الحقائق التكوينية والتشريعية للآخرين، كما بيّن الله سبحانه لملائكته الحقيقة الآتية.

ولا يبعد أن يكون المراد بالملائكة كل الملائكة لا الرسل منهم فحسب، وإن كان لفظ (الملك) مشتقاً من (الألوكة) التي هي الرسالة، لكن ذلك بحسب الأصل، ثم غلب استعماله على كل ملائكة الله سبحانه وتعالى ممن ليسوا من جنس الإنس أو الجن، فاللفظ من باب (العَلَم بالغلبة)، فتأمل.

وقد يصير علما بالغلبة مضاف أو مصحوب أل كالعقبة [٥٦٥]

سكان السماء

وهذا [٥٦٦] قد يكون من باب عطف الخاص على العام، باعتبار أن سكان السماوات منهم لـهم خصوصية خاصة.

ولا يصح أن يكون «سكان سماواتي» بمنزلة عطف بيان لـ (الملائكة) ـ من باب عطف المساوق على المساوي ـ لعدم انحصار الملائكة بسكان السماوات إلاّ أن

---

[٥٦٥] ألفية ابن مالك.

[٥٦٦] أي قوله: «ويا سكان سماواتي».

يقال: إن كل الكون ـ مقابل الآخرة ـ سماوات؛ لأن الأرض أيضاً كوكب في السماء.

ومن الممكن أن يكون من باب عطف المباين إذا كان المراد بسكان السماوات سائر من سكن السماوات من المخلوقات غير الملائكة؛ لأن لله سبحانه وتعالى مخلوقات كثيرة جداً لا نعرفها حتى بالاسم فكيف بالكُنه أو الصفة والخصوصية، فإذا كانت علومنا بالنسبة إلى الإنسان والنبات والحيوان محدودة جداً حتى أنها لا تبلغ جزءً من ألف ألف مليون من الواقع، فكيف بما هو غائب عن حواسنا؟.

وقد ذكر العلماء أن ما اكتشفوه من أنواع الموجودات في الكرة الأرضية قد بلغ الثلاثين مليون قسماً وهذا هو مبلغهم من العلم وأغلبه بنحو الإجمال الشديد، أما ما لم يطلعوا عليه فلعله أضعاف أضعاف ذلك خصوصاً مما في البحار مما لا يخفى كثرة، وقد ورد في الدعاء: «يا من في البحار عجائبه»[٥٦٧]، وكذلك في عالم الجراثيم وشبهها.

وربما كانت هناك عوالم أخرى على أرضنا ـ في أبعاد أخرى أو لا ـ لا نعلم عنها أي شيء إطلاقاً، أو لا يمكن لنا معرفتها أبداً إلاّ بحواس أخرى أو شرائط مجهولة. فإذا كان هذا حال الأرض فما حال السماوات ومجاهيلها والتي قال عنها تعالى: [**وإنا لموسعون**][٥٦٨].

---

[٥٦٧] البلد الأمين: ص٤٠٧ دعاء الجوشن الكبير.

[٥٦٨] سورة الذاريات: ٤٧.

التذكير بعظمة الله

مسألة: من اللازم التفكر والتذكير بعظمة الله تعالى في ذاته وأفعاله، في كل موطن مناسب.

ولعلّ التعبير عنها بوصف «مبنية» بلحاظ بنائها بنحو خاص حيث يعتمد نظام الكواكب والأقمار والمجرات وثباتها وديمومتها على (الجاذبة) بين الأجرام و(الدافعة) الناتجة من الحركة وغيرها على ما هو مفصل في محله، ولذلك خصها الله تعالى بوصف «مبنية»، وربما يكون إشارة إلى قوله سبحانه: **[والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون]**[٥٦٩].

و«بأيد»: أي بقوة؛ لأن اليد مظهر القوة ووسيلة ظهورها، ولهذا تشبه كل قوة باليد.

ومعنى **[إنا لموسعون]**: إنا نوسع في السماء كما دل على ذلك العلم، فقد ثبت في العلم الحديث[٥٧٠] أن السماء في حالة توسع مستمرة، وذلك كما أن الإنسان مثلاً في توسع مستمر في مختلف أبعاده في العلم والقوة والصناعة وغير ذلك.

وقد ذكر العلماء: إن عدداً من الأنجم والمجرات التي تستوعب

---

[٥٦٩] سورة الذاريات: ٤٧.

[٥٧٠] راجع كتاب بصائر جغرافيا وغيره.

الملايين من الأنجم والبعيدة عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية تتباعد بعضها عن بعض بسرعة كبيرة جداً [٥٧١].

التأنيث في (مبنية)

ثم إن (السماء) يذكّر ويؤنّث، كما ذكره أدباء علم العربية، ومن الممكن أن يكون باعتبار أن (السماء) بمنزلة الجمع معنىً، وذلك مثل (حسنة) في قوله سبحانه: [**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**][٥٧٢]، ومن المعلوم أنه ليس المراد حسنة واحدة، وإنما المراد جنس الحسنة.

فقد ذكرنا في (الأصول) أن المفرد حتى بدون اللام قد يأتي للجنس، مثل قولهم: تمرة خير من جرادة، فليس المراد إن تمرة خاصة أو جرادة خاصة، بل هذا الجنس وهذا الجنس، ومثل: مؤمن خير من كافر، إلى غير ذلك من الأمثلة الواردة في الكتاب والسنة واللغة العربية.

والمراد بالسماء: السماوات، والتعبير بالسماوات في قوله سبحانه: «يا سكان سماواتي»، وبالسماء في قوله: «إني ما خلقت سماءً مبنية» إما للتفنن، وإما لبعض الخصوصيات، كما أشرنا إليه في البحث الآنف.

---

[٥٧١] قد تبلغ أحيانا المائة وخمسين ألف كيلومتر في الثانية الواحدة بل أكثر. ـ راجع التكامل في الإسلام: ج٧ ص١٧٩ بحث أين تكون الجنة والنار؟ ؟؟والمصدر: ج٦ ص٣٧ [ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ].

[٥٧٢] سورة البقرة: ٢٠١.

دحو الأرض وحركاتها

مسألة: من اللازم تعلّم العلوم الطبيعية بالمقدار الذي ينفع لفهم آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التي تشير إلى تكلم الحقائق الكونية في مختلف الأبعاد.

ويدل هذا الحديث على ما دلت عليه الآيات والروايات الأخرى من (دحو الأرض)، فإن الأرض دحيت من تحت الكعبة[٥٧٣].

ومعنى (الدحو): البسط والقذف[٥٧٤].

وفي الدعاء: «اللهم سامك المسموكات وداحي المدحوات»[٥٧٥].

وهذه الجملة تدل على أن الأرض في حالة دحو وحركة[٥٧٦]، وقد ذكروا: إن للأرض حركة وضعية وحركة انتقالية، إلى غير ذلك.

.....

---

[٥٧٣] ثواب الأعمال: ص٧٩ ثواب من صام يوم خمس وعشرين من ذي القعدة.

[٥٧٤] [وَالأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحَاهَا] ـ سورة النازعات: ٣٠ ـ أي بسطها، والدحو: الرمي بقهر ـ مجمع البحرين مادة دحا ـ.

[٥٧٥] مستدرك الوسائل: ج٥ ص٣٤٢ ب٣٢ ح٦٠٥١.

[٥٧٦] الاستدلال قد يكون بلحاظ سياق ما سبق، وسيأتي (لكون كلها للاستمرار) أو بلحاظ دلالة هذا الوصف على الاستمرار، فتأمل.

وهل المراد بالأرض أرضنا فقط، أو كلّ أرض في قبال كلِّ سماء، فقد سُئل علي (عليه الصلاة والسلام) عن النجوم؟.

فقال عليه السلام: «إنها مدن كمدنكم»[٥٧٧].

يحتمل الأمران.

فالانصراف يشهد للاحتمال الأول.

وإرادة العموم، كما يظهر من كونها نكرة في سياق النفي، وكذلك سياق الحديث يدل على الاحتمال الثاني.

والقرينة مع الثاني على الأول، فيكون المراد بالأرض كل الأراضي على ما ذكرناه في كلمة: (السماء) لا أرضنا فقط.

---

[٥٧٧] راجع تفسير القمي: ج٢ ص٢١٨-٢١٩ خبر عمران الكواكب.

التفصيل عند الخطاب

مسألة: من الراجح التفصيل عند الخطاب إذا كان مناسباً، وعدم الاكتفاء بالإشارة الإجمالية، كما قال الله سبحانه: «إني ما خلقت سماءً مبنية ـ إلى قوله تعالى ـ ولا فلكاً يسري»، ولم يقل: «إني ما خلقت شيئاً» أو شبه ذلك.

وهل المراد بالقمر قمرنا الكائن في مدار الأرض، أم كل قمر في الكون، فقد ثبت في العلم الحديث أن لجملة من الأنجم أيضاً أقماراً.

الاحتمالان المذكوران آنفاً يردان هنا أيضاً.

ولعل الفرق بين (المنير) وبين (المضيئة) أن النور هو الانعكاس والضوء هو الأمر الطبيعي، وإن كان يطلق كل واحد منهما على الآخر إذا أُفرد بالذكر.

والاحتمالان واردان أيضاً في كلمة «شمساً مضيئة»، فهل هي شمسنا أم كل الشموس؟ لأن الله سبحانه وتعالى خلق شموساً كثيرة جداً، كما ثبت ذلك في العلم الحديث.

وَلاَ فَلَكاً يَدُورُ،

معنى الفلك

الفَلَك ليس بجسم[٥٧٨] وإنما هو عبارة عن مدارات قررها الله سبحانه وتعالى حسب موازين خاصة تدور فيها وبها الأقمار وشبهها من الأجرام السماوية.

وأما ما ورد من أن السماء الأولى كذا، والسماء الثانية كذا، وهكذا، فالمراد تشبيهات دقيقة.

وقد فصل جملة منها السيد الشهرستاني قدس سره[٥٧٩] في كتابه:

---

[٥٧٨] كان بعض قدماء المنجمين يرى أن المدارات هي أجرام ركبت فيها النجوم.

[٥٧٩] العلامة حجة الإسلام والمسلمين محمد علي بن حسين بن محسن بن مرتضى الحسيني الشهير بهبة الدين الشهرستاني. ولد سنة ١٣٠١هـ في سامراء، وتلقى العلوم الابتدائية فيها وفي موطن آبائه كربلاء المقدسة، ثم انتقل سنة ١٣٢٠هـ إلى النجف الأشرف لتكميل دراسته العالية وفي أثناء ذلك انتشرت مؤلفاته، ثم أنشأ مجلة (العلم) سنة ١٣٢٨هـ لمدة سنتين وهي أول مجلة عربية ظهرت في النجف. هاجر في سنة ١٣٣٠هـ وقام بسياحة واسعة النطاق في السواحل العربية والبلاد الهندية وغيرها وأنشأ في خلال ذلك الجمعيات، ثم عاد سنة ١٣٣٠ هـ إلى النجف الأشرف فصادف في ذلك إعلان الحرب العظمى فأصبح قائداً لجيش المجاهدين إلى الشعيبة ـ مدينة صغيرة واقعة بقرب البصرة ـ في أول سنة ١٣٣٢هـ وبقي كذلك إلى حين احتلال البريطانيين لبغداد فاعتزل السياسة، وقام بتدريس التفسير في كربلاء المقدسة حتى التهبت نيران الثورة العراقية الأولى في شوال سنة ١٣٣٨هـ فكان فيها الركن المهم حتى قبض عليه في أوائل صفر سنة ١٣٣٩هـ وأعتقل ومن معه من أركان الثورة وحكم عليه بالإعدام ثم أفرج عنهم بالعفو العام الذي صدر في شوال من ذلك العام. عندما تشكلت الحكومة العراقية الدستورية الوطنية عين وزيراً للمعارف العراقية في محرم سنة ١٣٤٠هـ، ثم استقال من الوزارة النقيبية في ذي الحجة ذلك العام وعهدت إليه رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري لتمييز أحكام القضاة الشرعيين منذ تشكيله في محرم سنة ١٣٤٢هـ إلى سنة ١٣٥٣هـ، ثم انتخب نائباً عن لواء بغداد سنة ١٣٥٤هـ. له

(الهيئة والإسلام)[٥٨٠].

ومن معاني الفَلَك: المستدير[٥٨١]، ولو أريد به ذا كان المراد به ما عدا الشمس والقمر، أو الأعم. ولربما أشعر بحركة كل الأفلاك، ويكون وصفه بـ «يدور» مؤيداً لـهذا المعنى، فتأمل.

وَلاَ بَحراً يَجري

مؤلفات كثيرة مخطوطة ومطبوعة منها: (ثقات الرواة)، و(الساعة الزوالية)، و(منظومة مواهب المشاهد في أصول العقائد)، و(الهيئة والإسلام)، و(رواشح الفيوض) في العروض، و(صدف اللآلي)، و(جداول الرواية)، و(التنبه في تحريم التشبه بين الرجال والنساء)، و(توحيد أهل التوحيد)، و(الدلائل والمسائل)، و(ما هو نهج البلاغة). توفي ﵀ في سنة ١٣٨٦هـ.

[٥٨٠] للعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني الحائري، يبحث عن المسائل الفلكية وكشفيات علماء الإفرنج في العلوم الطبيعية، استخرج مؤلفه ﵀ فيه الهيئة الجديدة عن ظواهر القرآن والحديث، وقد طبق فيه المسائل الفلكية في نظر الأولين القدماء ثم علم الفلك الطلميوسي ثم الهيئة الإفرنجية الجديدة وكيفية تطبيق ذلك على ما ورد من الشرع في الكتاب والسنة، وقد ضمنه المؤلف بعض النقوش الفلكية، والكتاب برهان قاطع على حقانية الإسلام، فرغ منه سنة ١٣٢٧هـ وطبع سنة ١٣٢٨هـ. ترجم إلى لغات مختلفة الأردوية والفارسية
قامت مطبعة الآداب ـ بغداد بطبعه فانتشر سريعاً للحاجة إليه ثم أعيد طبعه عدة مرات، وقد اختصره المؤلف تحت عنوان: (مختصر الهيئة والإسلام) وهو نصف أصله المطبوع، ثم كتب ﵀ لـه مفصلاً أسماه: (مفصل الهيئة والإسلام) وهو أحسن ترتيباً من (الهيئة والإسلام) وفي ثلاثة أضعافه تقريباً. كتب عدد من العلماء تقاريظ على هذا الكتاب وقد طبعت هذه التقاريظ في رسالة مستقلة في لاهور تحت عنوان: (تقاريظ العلماء الأعلام على كتاب الهيئة والإسلام) بعد ما جمعها السيد محمد سبطين منشئ مجلة (البرهان) وترجمها بالأردوية.

[٥٨١] مجمع البحرين: مادة فَلَك.

جريان البحر

يدل هذا الحديث على وجود جريان وحركة خاصة للبحار، ولعله جريانها بين الصعود باتجاه السماء ثم الهبوط، إن لم يكن خلاف المنصرف.

وربما يكون المراد بالجريان: جريانها حسب المد والجزر، لكنه قد يكون خلاف ظاهر (الجريان) الذي يقتضي حركة غير موضعية[٥٨٢]، وربما يكون المراد وجود جريانات خاصة كجريان الأنهار[٥٨٣] فليتأمل.

ثم إن ذكر الصفات كـ «مبنية»، و«مدحية»، و«منيراً»، و«مضيئة»، و«يدور»، و«يجري»، إنما هو لأجل التأكيد على القدرة؛ لأن ذوات هذه الأشياء برهان على قدرة عظمى، وصفاتها دليل على قدرة عظيمة أخرى.

وَلاَ فُلكاً يَسري،

المؤثر في الوجود هو الله[٥٨٤]

مسألة: يجب الاعتقاد بأنه ليس المؤثر حقيقةً في الوجود سواه تعالى،

---

[٥٨٢] في المصباح: الماء الجاري هو المتدافع في انحدار واستواء.

[٥٨٣] ثبت علمياً وجود تيارات قوية وكثيرة تحت سطح الماء، كما ثبت وجود أنهار عديدة ـ بعضها عذبة ـ تتحرك تحت البحار، وربما يكون (فليتأمل) إشارة لملاحظات على الاحتمالات الثلاثة.

[٥٨٤] يراجع (القول السديد في شرح التجريد)، و(شرح المنظومة) للمؤلف ﷺ.

ولا فاعلَ واقعي عداه، ولذلك قال تعالى: «إني ما خلقت سماءً مبنية ... ولا فلكاً يسري»، حيث الأصل والوصف[٥٨٥] مخلوقان لـه تعالى، فإن الفُلك لا يسري في البحر بسبب السُفّان والرُبّان وشبههما، وإنما الله سبحانه وتعالى هو المسيِّر والميسِّر، والفلك وما أشبهه من الأسباب الظاهرية التي قدرها جل وعلا.

وقد تقدم الإلماع إلى أن كل شيء ظاهر في هذه الحياة الدنيا لـه واقع بيد الله سبحانه وتعالى، ومَثَل إرادته مَثَل تيار الكهرباء ـ ولا مناقشة في الأمثال ـ حيث إن التيار الكهربائي لو انقطع ولو آناً مّا انعدم الضياء وتعطل كل ما يتحرك بالكهرباء، وقد مثّل جماعة من الحكماء إرادة الله سبحانه وتعالى في الخلق بالصورة الذهنية الجزئية، والمعاني الجزئية التي تكون في الذهن[٥٨٦]، حيث إن انصراف الذهن ولو لحظة عن تلك الصور يوجب انعدامها فوراً، كما أشرنا إليه سابقاً.

إلاَّ في مَحَبَّةِ هؤُلاءِ

الغاية من الخلقة [٥٨٧]

السبب في الإفاضة والخلقة هو محبة النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) كما يشهد لـه هذا الحديث: «إلاّ في محبة[٥٨٨] هؤلاء الخمسة» ونظائره.

---

[٥٨٥] المراد بالأصل: (الفلك)، وبالوصف: (يسري).
[٥٨٦] الصور الذهنية وليدة القوة المتخيلة (بمعنى أنها تدرك الصور الحسية)، والمعاني الجزئية وليدة القوة المتوهمة على اصطلاحهم.
[٥٨٧] راجع بحث (المحبة ودورها في التكوين والتشريع).
[٥٨٨] (في) تأتي للظرفية وللسببية أيضاً كما في الحديث: «دخلت امرأة النار في هرة

وذلك كما أن ربّ البيت يقوم بدعوة العديد من الناس عند دعوته عظيماً من العظماء إكراماً لـه فـ (لأجل عين ألف عين تكرم) بمعنى أن الله سبحانه وتعالى لما أحبهم[٥٨٩] خلق الخلق لأجلـهم عليهم السلام، وقد قال سبحانه: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»[٥٩٠]، ومن الواضح أن محبة الله لكي يعرف ليس لأجل نقصه؛ لأنه ليس بناقص حتى يكملـه شيء، وإنما لأجل العطاء والإعطاء[٥٩١].

.....

ويدل على كونهم عليهم السلام العلة الغائية للخلقة، وأنه لولاهم عليهم السلام لما خلق الله تعالى العالم، روايات عديدة من كتبنا ومن كتب العامة أيضاً.

فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم أبو البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سُجّداً ورُكّعاً. قال آدم: يا رب، هل خلقت أحداً من طين قبلي؟.

قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لـهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن ... يا آدم،

ربطتها ... » ـ مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٠٣ ب٤٤ ح٩٥٠٥ـ.

(٥٨٩) حيث إن الصفات النفسية التي تسند إلى الله سبحانه يراد بها نتائجها وغاياتها، فالمراد بمحبته لـهم ترتيب آثارها ومنها: العناية والإفاضة على المحبوب بشتى أنواع الإفاضة بإعطائه قصوى درجات الكمال وتوخي رضاه، ولذا ورد: «إن الله يرضى لرضا فاطمة» ـ راجع الأمالي للمفيد: ص٩٥ المجلس١١ ح٤ ـ وقبول شفاعته و...

(٥٩٠) بحار الأنوار: ح٨٤ ص١٩٩ ب١٢ ح٦ بيان.

(٥٩١) وهؤلاء الأطهار عليهم السلام هم وسائط الفيض ووسائط العطاء والإعطاء.

هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أُنجيهم وبهم أهلكهم ... »[٥٩٢].

وعن ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم، وقال: الحمد للـه. فأوحى الله تعالى إليه: حمدني عبدي، وعزتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك.

قال: إلـهي فيكونان مني؟.

قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك وانظر. فرفع رأسه فإذا مكتوب على العرش: لا الله إلا الله، محمد نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكى وطاب ... »[٥٩٣].

.....

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: عن رسول الله ﷺ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[٥٩٤].

وهنا يمكن أن يقال[٥٩٥]: العلة الغائية ـ وهي الداعي لفاعلية الفاعل ـ لخلقتنا هي محبة الأئمة عليهم السلام ومعرفتهم، والعلة الغائية لمحبتهم ومعرفتهم هي معرفة الله سبحانه، إذ هم عليهم السلام الأدلاّء على الله وهي الكمال الأكبر،

---

[٥٩٢] راجع بحار الأنوار: ج٢٧ ص٥ ب١٠ ح ١٠.

[٥٩٣] نهج الحق: ص٢٣٢ المبحث الخامس في ذكر بعض الفضائل التي تقتضي وجوب إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

[٥٩٤] عوالم العلوم: ج١١ص٢٦ ب٣ ح١، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام. نقلاً عن (الجنة العاصمة) عن (كشف اللآلي) لابن العرندس. ومما يشير إلى ذلك قولـه ﷺ: «أنا شجرة وفاطمة أصلـها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها» ـ راجع الأمالي للمفيد: ص٢٤٥ المجلس٢٨ ح٥ ـ.

[٥٩٥] الفرق بين هذا وسابقه: إن الأول باعتبار إضافة المحبة إلى الله، والثاني باعتبار إضافتها للخلق (إلاّ في محبة) أي محبة لـهؤلاء أو محبة الخلق لـهم، أي السبب في الخلقة إرادة محبة الخلق لـهم ومعرفتهم بهم عليهم السلام فليدقق.

فمعرفتهم عليهم السلام طريق الكمال والتكامل، وبذلك يجمع بين الروايتين[٥٩٦].

[٥٩٦] أي بين (إلاّ في محبة هؤلاء الخمسة) التي تقتضي أن سبب الخلقة محبتهم عليهم السلام، و(فخلقت الخلق لكي أعرف) [بحار الأنوار: ١٩٩/٨٧ ب ١٢ ح ٦ بيان] التي تدل على أن السبب معرفة الله.

محبة أهل البيت عليهم السلام

مسألة: من الضروري بيان الغاية من الخلقة للناس، كما تجب محبة أهل البيت عليهم السلام للآيات والروايات المتواترة، ومنها مقاطع عديدة من هذا الحديث، وفي هذا المقطع أيضاً دلالة على ذلك، إذ من الواضح أنه لو كان السبب في الخلقة هو محبة هؤلاء (عليهم الصلاة والسلام) كان حبّهم لازماً، لدلالة الاقتضاء العرفي على ذلك، وقد ذكرنا في بعض المباحث الفرق بين الاقتضاء العرفي والاقتضاء الأصولي الذي هو ما يتوقف صدق الكلام أو صحته عليه.

ولا يخفى أن حبهم (عليهم الصلاة والسلام) على نوعين:

حب ناقص: وهو مجرد المحبة القلبية بدون عمل.

وحب كامل: وهو المحبة القلبية مع عمل الجوارح.

فمن أحبهم عليهم السلام بلا عمل جوارحي كان فاسقاً، ومن لم يحبهم كان منحرفاً زائغاً، وقد قال سبحانه: [**إِلا المودة فِي القربى**][٥٩٧] ومن المعلوم أن مودتنا للقربى تنفع أنفسنا وليست تنفعهم (عليهم الصلاة والسلام) إذ هم في غنى عن ذلك.

[٥٩٧] سورة الشورى: ٢٣.

محبة ذويهم عليهم السلام

ثم لا يخفى أن محبة ذويهم عليهم السلام كأولادهم وإخوانهم ومن أشبه فرع محبتهم، ومشتقة من محبتهم (عليهم الصلاة والسلام) فلـها فضل أيضاً، ولذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أكرموا ذريتي الصالحين للـه والطالحين لي»[٥٩٨]، وليس المراد بالطالحين الكفرة منهم ـ إذا فُرض أن فيهم كفرة ـ فإن الله سبحانه وتعالى بريء منهم وهم بُرَآء منه، كما تبرأ إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) من عمه آزر، وكما تبرأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أبي لـهب، بل المراد بالطالحين من لـهم بعض المعاصي والموبقات.

وهذه المحبة لـهم ترجع إلى محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قالوا: (لأجل عين ألف عين تكرم).

كما أن لأهل البيت عليهم السلام إطلاقاً آخر أشمل وأوسع من الإطلاق الأخص المختص بالمعصومين عليهم السلام، فمثلاً: زينب بنت علي (عليهما الصلاة والسلام) والعباس بن علي (عليهما الصلاة والسلام) وفاطمة المعصومة بنت الإمام

---

[٥٩٨] عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاءوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند الضيق، ورجل أحب ذريتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا». راجع وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٣٢ ب١٧ ح٢١٦٩٠.

موسى بن جعفر (عليهما الصلاة والسلام) ومن أشبههم، من أهل البيت لكن غير المعصومين، ولذا تلا الحسين (عليه الصلاة والسلام) حين برز علي الأكبر عليه السلام إلى القتال قوله سبحانه: **[إِن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ۞ ذرية بعضها من بعضٍ والله سميع عليم]**[٥٩٩].

وقد ذكر بعض الفقهاء أن هناك عصمتين:

عصمة كبرى: وهي الخاصة بالمعصومين (عليهم الصلاة والسلام).

وعصمة صغرى: بمعنى أنهم لا يذنبون ولا يفكرون في الذنب أبداً، وهي بالنسبة إلى أمثال العباس عليه السلام وعلي الأكبر عليه السلام وزينب عليها السلام ومن أشبههم من أولادهم وإخوانهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

[٥٩٩] سورة آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

امتداد أصحاب الكساء عليهم السلام

مسألة: يستحب ذكر العدد فيما إذا تضمن الفائدة تأكيداً أو لدفع وهمٍ أو شبه ذلك.

ومن المعلوم أن سائر الأئمة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) امتداد لـهؤلاء الخمسة، بل كلـهم نور واحد، كما ذكرنا في بعض المباحث السابقة، بالنسبة إلى آية: **[إِنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون]**[٦٠٠].

فلا يقال: إن الكون خلق لأجل المعصومين عليهم السلام جميعاً، لا لأجل هؤلاء الخمسة فقط.

فإن الشيء قد ينسب إلى الرأس، وقد ينسب إلى المجموع، وإذا كانت النسبة إلى الرأس فالمراد بذلك المجموع أيضاً، مثل قولـه سبحانه: **[خلقكم مِن نفسٍ واحِدة]**[٦٠١] باعتبار أن النفس الواحدة وهي آدم عليه السلام أول الخليقة وهي الأصل، وإلاّ فمن الواضح أن الخلق من آدم وحواء عليهم السلام معاً.

---

[٦٠٠] سورة المائدة: ٥٥.

[٦٠١] سورة النساء: ١، سورة الأعراف: ١٨٩، سورة الزمر: ٦.

الَّذينَ هُم تَحتَ الكِساءِ. فَقالَ الأَمِينُ جِبرائِيلُ:

إتباع الموضوع بذكر وصفه

مسألة: من الراجح إتباع الموضوع بذكر وصفه إذا كانت فيه الفائدة، مثل الإعلام أو احترام الطرف أو التلذذ أو التحريض على الاستجابة، كما تقول: فلان (زيد بن عمرو) العالم أكرمه، أو ما أشبه ذلك مما ذكروه في علم البلاغة، وقد قال المتنبي[٦٠٢] بعد سرده لأسامي عديدة لممدوحة:

أسامي لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

الاعتقاد بأمانة جبرائيل

مسألة: يجب الاعتقاد بكون جبرائيل أميناً، وذلك من ضروريات الدين **[مطاعٍ ثمَ أمينٍ]**[٦٠٣] وعليه الروايات ومنها قولها (عليها الصلاة والسلام) هاهنا:

---

[٦٠٢] هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي. ولد بالكوفة عام ٣٠٣هـ في محلة كندة وإليها نسبته، ونشأ بالشام ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس. وقال الشعر في صباه. وفد على سيد الدولة ابن حمدان صاحب حلب سنة ٣٣٧هـ فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور الأخشيدي. وزار بلاد فارس فمر بأرجان ومدح فيها ابن العميد وكانت لـه معه مساجلات. ورحل إلى شيراز فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي. وعاد يريد بغداد فالكوفة فعرض لـه فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضاً فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محسد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد في عام ٣٥٤هـ.

[٦٠٣] سورة التكوير: ٢١.

«فقال الأمين جبرائيل»، وبمقتضى مناسبة الحكم والموضوع فإن المراد الأمانة في الوحي وشبهه.

لكن لا يبعد عدم انحصار أمانته في هذا المجال، بأن يكون أميناً في مجالات أخرى من عالم التكوين، فإن الملائكة لا يتحددون بزمان خاص أو مكان خاص أو جهة خاصة[٦٠٤]. وإنما هم رسل الله سبحانه وتعالى في مختلف شؤونه جل وعلا، حيث إن الملائكة هم الوسطاء في تنفيذ كثير من الأعمال، ولذا قال سبحانه وتعالى: **[فالمدبرات أمرا]**[٦٠٥].

وبما أن معرفتنا بالملائكة محدودة، لذلك لا نعلم المهام التي يقومون بها والمسؤوليات التي يتحملونها، سوى ما جاء في الأحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام. نعم، لا شك في أنهم يقدسون الله ويسبحونه ويهللون وما إلى ذلك مما أشارت إليه الروايات الشريفة.

استحباب النعت بالفضائل

مسألة: يستحب التوصيف والنعت بالفضائل، ولذلك ولغيره[٦٠٦] كان وصفها عليها السلام جبرائيل عليه السلام بـ (الأمين).

---

(٦٠٤) بشكل مطلق على القول بتجردهم أو بشكل نسبي على غير ذلك.
(٦٠٥) سورة النازعات: ٥.
(٦٠٦) مثل: كون المقام ضرورة التوصيف بالأمانة.

والاستحباب عام لكل شيء أو شخص جدير بالتقدير والاحترام سواء كان إنساً، أم جناً، أم ملكاً، أم حوراً، أم ولداناً مخلدين، فإن الاحترام قد يظهر أدب المحترِم ـ بالكسر ـ ، وقد يظهر فضيلة المحترَم ـ بالفتح ـ وقد تكون فيه فائدة بالنسبة إلى ثالث.

وبما أن المقام مقام الأمانة لذلك قدَّم على جبرائيل ولم يقدم جبرائيل عليه، كما قالوا بالنسبة إلى الأوصاف والموصوفات أن المقام إذا كان مقام الوصف قُدم، وإذا كان مقام الموصوف قُدم، حيث إن مقصودها وعنايتها (صلوات الله عليها) على أن صاحب هذا المقال أمين في كلامه موثوق في حديثه.

الإذن في السؤال والدعاء

مسألة: لا يحسن السؤال من دون الإذن وقد يحرم. والله سبحانه كما أذن لنا بالسؤال والدعاء، أذن كذلك للملائكة في الجملة.

ويظهر وجود الإجازة لسائر الملائكة إجمالاً، ولإبليس من قصة خلق آدم عليه السلام وسؤال الملائكة وإبليس.

كما يظهر من سؤال جبرائيل ها هنا: «ومن تحت الكساء» الإذن لـه من ذلك.

ولولا إذن الله سبحانه وتعالى لم يحق لـه وللملائكة السؤال، ولذا ورد في دعاء الافتتاح: «أذنت لي في دعائك ومسألتك»[٦٠٧].

وقد ذكر بعض شراح دعاء الكميل عند قولـه (عليه الصلاة والسلام): «فكيف أصبر على فراقك» أنه يأتي النداء إلى مالك جهنم أن يمنع أهل النار من ذكر الله سبحانه وتعالى إذ أنهم يتضرعون إليه ليخرجهم من النار.

لا يقال: إن ذلك ينافي رحمة الله سبحانه.

لأنه يقال: يجزى العاصي نظراً لاستحقاقه العقوبة، والعقوبة أثر تكويني طبيعي للمعصية، فهي كبذرة الحنظل أو الورد، التي لابد أن تثمر حنظلاً أو

[٦٠٧] مصباح المتهجد: ص٥٧٨ دعاء كل ليلة من شهر رمضان من أول الشهر إلى آخره.

لا غير، وكذلك حال الدنيا والآخرة والمعصية والعقوبة، وقد ذكرنا ذلك في جملة من كتبنا الكلامية[٦٠٨] وفي كتاب (الأصول) بالمناسبة، إضافة إلى ما أشار إليه تعالى بقولـه: **[ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون]**[٦٠٩].

وهل كان سؤال جبرائيل عليه السلام : «ومن تحت الكساء؟» من باب تجاهل العارف من قبيل: **[وما تلك بيمينك يا موسى]**[٦١٠] أم كان على وجه الحقيقة؟. احتمالان.

العلم والاستعلام

مسألة: يستحب الاستعلام عن المجهول، وذلك كما سأل جبرائيل عليه السلام عمن تحت الكساء، وكما سأل غيره من الملائكة والرسل عليهم السلام عن غيره، فإن العلم كمال والسؤال طريق التكامل، ولذا قال سبحانه لأكمل مخلوقاته صلى الله عليه وآله وسلم: **[وقل رب زدني علما]**[٦١١].

وقال علي عليه السلام: «ولا يستحيَنَّ أحدكم إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه»[٦١٢].

---

[٦٠٨] راجع: (شرح المنظومة)، و(شرح التجريد)، و(تقريب القرآن إلى الأذهان).
[٦٠٩] سورة الأنعام: ٢٨.
[٦١٠] سورة طه: ١٧.
[٦١١] سورة طه: ١١٤.
[٦١٢] نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم٨٢.

فإن العلم بحر عميق لا يعلم مداه إلا الله وحده،وقد حبى أولياءه الذين اختصهم به بقدر منه، أما ما في أيدي الناس فليس مثلـه إلاّ كمثل رطوبة رأس إبرة بالنسبة إلى **[البحرُ يمدُهُ مِن بعدِهِ سبعةُ أبحرٍ]**[٦١٣]،بل النسبة أبعد وأبعد عن هذا بكثير.

وقال علي عليه السلام: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف ألف باب»[٦١٤] كما في بعض الأحاديث، وربما يكون (الباب) إشارة إلى كل علم بأكملـه، فالرياضيات باب، والطب باب ثان، وهكذا إلى مليون باب، أو تكون (الألف باب) الأولى إشارة إلى ألف علم جامع لمجموعة علوم هو كالجنس لـها.

وفي حديث آخر: «إنهم عليهم السلام يزدادون علماً كل ليلة جمعة»[٦١٥].

وبعد كل ذلك فإن مجموعة ما يعلمه البشر جزء ضئيل من ضلع واحد من أضلاع العلم الأربعة التي أشار إليها قولـه سبحانه: **[يعلمون ظاهِرا مِنَ الحياةِ الدنيا وهم عنِ الآخِرةِ هم غافلون]**[٦١٦].

---

[٦١٣] سورة لقمان: ٢٧.

[٦١٤] راجع الخصال: ج٢ ص٦٤٢-٦٤٣ علم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح كل باب ألف باب ح٢٢، وفيه: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من الحلال والحرام ومما كان إلى يوم القيامة كل باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب».

[٦١٥] راجع بحار الأنوار: ج١٧ ص١٣٥-١٣٦ب١٧ ح١٥.

[٦١٦] سورة الروم: ٧.

فلكل من الدنيا والآخرة ظاهر وباطن، أما الآخرة فلا يعلم البشر منها شيئاً إطلاقاً، لا ظاهراً ولا باطناً، ولذا روي أن الإنسان في الآخرة يرى «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٦١٧].

وأما الدنيا فلا يعلم من باطنها شيئاً أيضا ـ إطلاقاً ـ وإنما يعلم قدراً محدوداً جداً عن ظاهرها، وفي بعض أبعادها فقط، وهي المحسوس بالحواس الخمسة وشبهها، ولربما كانت هناك مئات الأبعاد الأخرى في هذه الدنيا مجهولة لنا تماماً حتى بالاسم.

تقديم أكبر القوم

مسألة: يستحب أن يتقدم في السؤال ونحوه أكبر القوم، كما سأل جبرائيل عليه السلام دون سائر الملائكة. وذلك لأنه نوع احترام بالنسبة إلى الكبير.

ولا يخفى أن التعلم والتعليم ينقسم إلى الأحكام الخمسة: فمنه واجب، ومنه مستحب، ومنه محرم، ومنه مباح، ومنه مكروه، حسب الملابسات واللوازم والملازمات والملزومات[٦١٨] كما ذكروا شبه ذلك في باب التكسب.

ولا يعلم هل كان سؤال جبرائيل عليه السلام من قسم الواجب أو من قسم المستحب؟. والقرينة المقامية تدل على أصل الرجحان، ومن الواضح أن الملائكة لا يرتكبون الحرام، بل الظاهر أنهم لا يرتكبون المكروه أيضاً، ذلك أن في المكروه

---

[٦١٧] وسائل الشيعة: ج١٠ ص٤٧٦ ب٢٦ ح١٣٨٨٧.

[٦١٨] راجع: (الفقه: العقل) للإمام المؤلف قدس سره.

حزازة على ما ذكره جمع، منهم الآخوند قُدِّسَ سِرُّهُ[٦١٩] وإن كان لنا رأي آخر[٦٢٠]، والملائكة لعصمتهم بعيدون عن مثل ذلك.

أما ما ورد في الآية الكريمة من اختصامهم فالظاهر أنه لاختلافهم في الآراء لا أنه من الاختصام المكروه فكيف يكون من الاختصام المحرم؟.

فَقالَ عَزَّوَجَلَّ: هُم

---

[٦١٩] الشيخ ملا محمد كاظم ابن الملا حسين الهروي الخراسانى النجفي المعروف بالشيخ الآخوند، ولد رحمه الله في مشهد خراسان سنة ١٢٥٥هـ، فقرأ المبادئ فيها، ولما بلغ الثالثة العشرين من عمره كان قد أكمل علوم العربية والمنطق وشيئاً من الأصول والفقه، فخرج إلى العراق مهاجراً في رجب سنة ١٢٧٧هـ فأقام في طهران ستة أشهر درس في أثنائها بعض العلوم الفلسفية ثم غادرها إلى النجف الأشرف فأدرك فيها الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله واختلف إلى مجلس درسه فقهاً وأصولاً وبعد وفاة الشيخ لزم الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي رحمه الله وكان أكثر أخذه منه فقربه وأدناه، كما أخذ الفقه عن الشيخ راضي بن الشيخ محمد، ولما خرج السيد الشيرازي رحمه الله إلى سامراء وخرج معه أكثر تلامذته لم يخرج الشيخ الآخوند معه، بل أقام في النجف الأشرف وتصدى للتدريس فيها، فاختلف للاستفادة من مجلس درسه أكثر الطلاب خصوصاً في الأصول، بحيث صارت الرحلة إليه من أقطار الأرض وعمر مجلس درسه بمئات من الأفاضل والمجتهدين، وقد تميز بحب الإيجاز والاختصار وتهذيب الأصول والاقتصار على لباب المسائل وحذف الزوائد مع تجويد في النظر وإمعان في التحقيق. ألف العديد من الكتب ومنها: الكفاية في أصول الفقه، وحاشية على رسائل الشيخ الأنصاري، وروح الحياة رسالة تقليدية طبعت في بغداد سنة ١٣٢٧هـ، وحاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري، ورسالة الفوائد تحتوي على خمس عشرة فائدة، والتكملة وهي تلخيص تبصرة العلامة، وشرح التبصرة، وغيرها. توفي رحمه الله فجأة وقيل: مات مسموماً فجر الثلاثاء ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ في النجف الأشرف ودفن في حرم أمير المؤمنين عليه السلام في أحد حجرات الصحن الشرقية على يمين باب السوق الكبير تحت الساعة.

[٦٢٠] راجع الأصول والفقه حيث ذكر أن المكروه قد يكون بمعنى الأقل ثواباً، لا ما فيه الحزازة كما لو زاحمه أمر آخر.

الجواب على مقتضى الحال

مسألة: تستحب الإجابة على الأسئلة فيما إذا كانت في الجواب فائدة، كما أجاب الله سبحانه سؤال جبرائيل عليه السلام، وقد يجب الجواب حسب الموازين.

إذ فيه ـ بالإضافة إلى ذلك ـ نشر للعلم وقضاء للحاجة فيشمله دليلهما، أما إذا كان هناك وجه أهم يقتضي عدم الإجابة أو تأخيرها أو إجمالها أو إبهامها فلا استحباب، ولذا قال سبحانه في جواب الملائكة:

[إِنِي أعلمُ ما لا تعلمون][٦٢١].

ومن الواضح أن الجواب قد يكون مفصلاً، وقد يكون مجملاً حسب اقتضاء المقام، ومنه مدى فهم السائل وتحمله، وقوله سبحانه: [مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ][٦٢٢]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنا أُمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس بقدر عقولهم»[٦٢٣] يشيران إلى ذلك أيضاً، ولذا ورد أنه: «ما كلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العباد بكنه عقله قط»[٦٢٤] لوضوح أن عقول البشر لا تبلغ مستوى عقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي (البحار): سأل شخص الإمام علي عليه السلام: لماذا لا يُرى الله؟. فقال الإمام عليه السلام ـ ما معناه ـ: «لأنه إذا رؤي زالت هيبته»[٦٢٥].

---

[٦٢١] سورة البقرة: ٣٠.
[٦٢٢] سورة إبراهيم: ٤.
[٦٢٣] الأمالي للطوسي: ص٤٨١ المجلس١٧ ح١٠٥٠.
[٦٢٤] الكافي: ج١ ص٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٥، والكافي: ج٨ ص٢٦٨ حديث نوح عليه السلام يوم القيامة ح٣٩٤.
[٦٢٥] راجع بحار الأنوار: ج٤ ب٥ ص٢٧ ح٢، ص٣٢ ح٨، ص٤٤ ح٢٣، ص٥٣

فإن الجواب كان على حسب فهم السائل، وإلا فمن المعلوم أن الله تعالى تستحيل رؤيته كما برهن في علم الكلام، وقولـه سبحانه: [لَنْ تَرانِي][٦٢٦] نظير لباب السالبة بانتقاء الموضوع ـ أي لا يمكن رؤيته ـ لا أنها ممكنة غير واقعة.

ثم لا يلزم أن يكون السائل هو المستفيد من الجواب، بل يجاب ولو كان غيره هو المستفيد منه سواء علم السامع أم لا؟. وفي الحديث: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٦٢٧].

ح٢٨.

[٦٢٦] سورة الأعراف: ١٤٣.

[٦٢٧] مستدرك الوسائل: ج١١ ص٤٥ ب١٨ ح١٢٣٩٠.

أهل البيت أم الدار؟

لا يخفى أن نسبة (الأهل) إلى (البيت) دون الدار، لأعميته وتطابقه مع الأهل؛ لأن كثيراً من الناس لا يملكون الدور، وإنما يملكون البيوت، فإن (البيت) يطلق على بيت الحجر والمدر والقصب والخشب والطين وما أشبه ذلك، بينما كل ذلك لا تسمى داراً. وهناك فرق آخر بين البيت والدار، وهو أنه يسمى بيتاً لمبيت الإنسان فيه، بينما تسمى الدار داراً لأن الحائط يدور حولـه، أو لكثرة تحرك الناس فيه[٦٢٨]، ويقال: (دار النشر) ولا يقال: بيت النشر؛ لأنه لا يتعارف المبيت في دار النشر، فنسبة الأهل وهم خاصة الرجل إلى البيت ـ المتضمن لمعنى المبيت ـ أنسب والترابط بينهما أوثق.

فاطمة عليها السلام حجة الله

مسألة: يستفاد من إطلاق «موضع الرسالة» على جميعهم عليهم السلام[٦٢٩] أن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) حجة الله، فيكون قولـها وتقريرها حجة.

---

[٦٢٨] هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها، راجع لسان العرب: ج٤ ص٢٩٨ مادة دور.

[٦٢٩] ورد ذلك في أحاديث عديدة، منها: عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن أبيه، عن علي عليه السلام، قال: دخل: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علي وفاطمة عليها السلام وأخذ بعضادتي الباب، وقال: «السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، وموضع الرسالة، ومنزل الملائكة ... » ـ شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٤ ص١٠٦ ـ.

وذلك لأنه يظهر من قولـه تعالى: «وموضع الرسالة» أن جميع أصحاب الكساء ـ عند صدور هذا القول من الله تعالى ـ هم موضع للرسالة، إلاّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسولٌ بالمعنى الاصطلاحي[٦٣٠] والباقون بالمعنى الأعم ولو مجازاً الشامل لرسول الرسول، أو لمن ينكت في قلبه، أو لـه عمود النور، أو ما أشبه، كما أن الملائكة رسلٌ، كما في الآية الكريمة.

ويمكن أن يكون الوجه في إطلاق «موضع الرسالة» عليهم جميعاً باعتبار أنهم عليهم السلام نور واحد بعضهم من بعض، فإذا كان أحدهم موضع الرسالة وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان المجموع يستحق هذا الوصف بالاعتبار.

وكونها (صلوات الله عليها) حجة الله، إضافة إلى كونه ضروري المذهب، يدل عليه روايات عديدة[٦٣١]، ومنها رواية عن الإمام العسكري عليه السلام التي تنص على أن الزهراء عليها السلام حجة على الأئمة (عليهم الصلاة والسلام)[٦٣٢] أي يحتج الله بها عليهم، فيدل بالملاك الأولوي على أنها حجة على سائر الخلق.

---

(٦٣٠) المعنى الاصطلاحي هو: المرسل الذي يأتيه جبرائيل عليه السلام قبلاً ويكلمه بالوحي النبوي ـ راجع مجمع البحرين: ج٥ ص٣٨٣ مادة رسل ـ. والرسول ـ بالمعنى الأعم ـ حامل الرسالة بأية طريقة بلغته الرسالة بالقول أو الكتابة أو الإشارة، عبر جبرائيل عليه السلام أو الإلـهام أو النكت في القلب أو عمود النور أو عبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه.

(٦٣١) راجع عوالم العلوم والمعارف والأحوال كتاب فاطمة الزهراء عليها السلام تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وغيره.

(٦٣٢) تفسير أطيب البيان: ج١٣ ص٢٢٥.

لماذا جعلها الله محورا

مسألة: يستحب بيان مكانة فاطمة الزهراء عليها السلام عند الله تبارك وتعالى، وأنه تعالى جعلـها (سلام الله عليها) هي المحور في تعريفهم عليهم السلام.

وعند إرادة الحديث عن أفراد عائلة واحدة يحسن اقتضاء تسمية واحد منهم ـ لاعتبارات معينة ـ كمركز، ثم إدارة أسماء الباقين عليه، كما قال سبحانه: «فاطمة وأبوها وبعلـها وبنوها».

ولعل السر في جعلـها (صلوات الله عليها) محوراً أن الملائكة كانوا قد عرفوا فاطمة عليها السلام حين كانوا في الظلمة ثم ببركة نور فاطمة عليها السلام خرجوا إلى النور.

وفي الحديث: عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت لـه: لَمَ سميت فاطمة الزهراء زهراء؟. فقال عليه السلام: «لأن الله عزوجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة للـه ساجدين، وقالوا: إلـهنا وسيدنا ما هذا النور؟. فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري»[٦٣٣].

ولربما كان السر نفس مفاد حديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك ... »[٦٣٤].

---

[٦٣٣] علل الشرائع: ج١ ص١٧٩-١٨٠ ب١٤٣ ح١.
[٦٣٤] عوالم العلوم: ج١١ص٢٦ ب٣ ح١.

أو لأجل أن فاطمة (سلام الله عليها) تصلح أن تكون محوراً مباشراً بلا واسطة، بينما سائر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) إنما يتصل بعضهم ببعض بواسطة، ففاطمة وأبوها، وفاطمة وبعلـها، وفاطمة وبنوها، بينما إذا أريد إبدال اسمها عليها السلام باسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاللازم أن يقول: محمد صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه، ويقول: محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحفاده، وكذلك بالنسبة إلى علي والحسنين عليهما السلام فربما لـهذه الجهة اقتضت البلاغة جعل فاطمة (عليها الصلاة والسلام) المحور.

الحركة الدورانية للمخلوقات والمحور الرئيسي لها

وربما يكون السبب هو ما ورد في الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام: «هي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»[٦٣٥].

ولا يخفى أن الله سبحانه قرر للمخلوقات حركة دورانية بمعنى العودة إلى المبدأ، كما جعل لأجزاء وجزئيات عالمي المادة والماورائيات محاور وأقطاب رحى، فالشمس والقمر والكواكب والأرض يدور بعضها حول بعض وتدور على القرون، وماء البحار وغيرها تبخره الشمس فيصعد إلى السماء، ثم ينزل منها إليها على شكل أمطار، وهكذا دواليك[٦٣٦].

---

[٦٣٥] بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٠٥ ب٥ ح١٩. وفي (أمالي الطوسي): بإسناده عن إسحاق بن عمار، وأبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أيضاً.

[٦٣٦] اللف والنشر مشوش فـ (الشمس والقمر ...) مثال لـ (كما جعل ... محاور وأقطاب رحى) و(ماء البحار ...) مثال لـ (حركة دورانية) وكذلك المثال اللاحق (والأشجار ...) وما بعده أيضاً، وأما المعنويات فأمثلة الإمام المصنف دام ظله هي للقسم الثاني فقط أي (كما جعل ... محاور) فليلاحظ.

والأشجار والحيوانات كذلك تنشأ من الأرض ثم تعود إليها كما كانت.

قال سبحانه: [**والله أنبتكم مِنَ الأرضِ نباتا**] الآية[٦٣٧].

وقال تعالى: [**منها خلقناكم وفيها نعيدكم**][٦٣٨] إلى غير ذلك من الأمور، حتى أن العلماء قالوا: كما أن المادة تتحول إلى (طاقة) وإحدى سبل ذلك الانفجار الذري، بل ذلك حادث بشكل طبيعي في أجهزة بدن الإنسان والحيوان و... دوماً دوماً، كذلك الطاقة يمكن أن ترجع إلى الـ (مادة) وإنما الأمر بحاجة إلى أجهزة متطورة تتمكن من استرجاعها كما كانت.

هذا في الماديات.

أما المعنويات: فلـها مدار وقطب ومركز أيضاً، ولذا يقال: يدور المجتمع السليم على محور الدين بمعنى، أن الأخذ والعطاء والمعاملات والنكاح وغيرها تكون على محور الدين، وحتى الماديون يرون أن برامجهم ومناهجهم ومجتمعهم، تدور على محور أوامر (ماركس) مثلاً فمنه تستمد وإليه ترجع، فإن المجتمع لاتكفي فيه المادة فقط بل يحتاج إلى قوانين تقوم بتنظيم حياته في مختلف الأبعاد، فلابد أن يكون لـه قانون يكون هو عماد الحياة ومحورها يدير شؤونه ويحول دون الفوضى والـهرج والمرج.

إذن فالحياة المادية تدور هي بدورها على محور البعد المعنوي، سليماً كان أم سقيماً.

.....

وحيث إنهم عليهم السلام محور الكون والكائنات، حيث كانوا هم السبب في

---

[٦٣٧] سورة نوح: ١٧.
[٦٣٨] سورة طه: ٥٥.

إفاضته سبحانه وتعالى: المادة والمعنى[٦٣٩]، وكانوا عليهم السلام هم الطرق والوسائط في هذه الإفاضة، لذلك فهم عليهم السلام قطب رحى الوجود، وعليهم تدور القرون والأزمان بقول مطلق، وفاطمة (عليها الصلاة والسلام) هي محور هذا المحور.

وإنما خصص بـ (الأولى) في قولـه عليه السلام: «وعلى معرفتها دارت القرون الأولى» كما في رواية (البحار) عن الإمام الصادق عليه السلام [٦٤٠]؛ لأن الأولى إذا كانت على كيفية فالأخرى تكون على تلك الكيفية ـ عرفاً ـ بخلاف ما إذا كانت الأخرى كذلك، حيث لا تستلزم أن تكون الأولى مثلـها أيضاً، وإذا أطلق بأن قال: «دارت القرون» كان المنصرف منه قروننا فقط من قبيل قولـه سبحانه في مريم عليها السلام: [**عَلى نِساءِ العالَمِين**][٦٤١] حيث المنصرف منه (عوالم زمانها)، مثل أن يقال: (الدولة الفلانية أقوى الدول) حيث إن المنصرف منه: (الدول المعاصرة لـها).

---

[٦٣٩] سبق هذا المبحث، وسيأتي تفصيلاً أيضاً.
[٦٤٠] بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٠٥ ب٥ ح١٩.
[٦٤١] سورة آل عمران: ٤٢.

معادن الثروات المعنوية

وكما أن الله سبحانه جعل للماديات مخازن تُستمد منها، مثل الشمس التي هي مخزن ومنبع النور والحرارة والدفء، والبحار وهي مخزن الماء والأسماك و.. والـهواء وهو مصدر ومخزن الأوكسجين الذي به يتنفس الإنسان والنبات والحيوان، إضافة إلى ما يحملـه من أمواج ـ بشتى أنواعها ـ وغيرها، والأرض وهي مخزن التراب وما ينشأ منه من النباتات والأشجار وغيرها.

وكذلك جعل للمعنويات مخازن ومعادن، يتم الاستمداد منها بالمباشرة أو بواسطة القدوة والأسوة، فالأنبياء عليهم السلام خزنة علم الله سبحانه ورسالاته، وكذلك الأوصياء عليهم السلام والسيدة الزهراء عليها السلام، والناس يستمدون منهم مختلف العلوم والمعارف، إذ كل المعارف والعلوم البشرية تعود إليهم بشكل أو بآخر.

وكذلك للشجاعة والكرم والعاطفة وغيرها من الفضائل منابع ومعادن، فإن تلك الصفات في الكبار من الناس تحتذى بالأسوة والإتباع.

العلة في بكاء يعقوب والزهراء عليهما السلام

ولعلّ بكاء يعقوب عليه السلام تلك المدة الطويلة كان من ذلك، حيث يستمد الناس منه العاطفة بالأسوة والإقتداء.

وكذلك بكاء الصديقة الطاهرة عليها السلام والسجاد عليه السلام إلى غير ذلك.

فلا يقال: كيف بكى يعقوب عليه السلام وهو يعلم أن ولده حي وسيرجع إليه ملكاً، وكيف بكى السجاد عليه السلام والزهراء (عليها الصلاة والسلام) وهما يعلمان بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والحسين عليه السلام وأهل بيته والمستشهدين بين يديه عليهم السلام ذهبوا إلى جنان الله الوسيعة، وكان علمهم بذلك عين اليقين بل حق اليقين.

هذا بالإضافة إلى أن بكاءهما عليهما السلام كان سياسيا أيضاً، حيث أرادا فضح المخالفين، فإن كلاً من الـهجوم والدفاع يكون عاطفياً بالبكاء ونحوه، وسياسياً بالحوار والمعاهدات ونحوهما،كوضع الرجل المناسب في المكان المناسب وعكسه، واقتصادياً، وغير ذلك مما سنذكره في مقدمة الخطبة إن شاء الله تعالى.

لا يقال: إذا كانوا عليهم السلام يعلمون بأن ذويهم في روح وريحان وجنة ورضوان وفي كمال الراحة، فلماذا كانوا يبكون، وهل يتأتى البكاء لمن يرى ذويه في راحة ونعيم؟.

لأنه يقال: قد ذكرنا في بعض مباحث الكلام أن علمهم وإحساسهم الغيبي لا يؤثر في شؤونهم الدنيوية، وإلاّ لم يكونوا أسوة، وكذا بالنسبة إلى القدرة الغيبية، ولذا لم يستخدموها لدحر العدو أو للتوقي من القتل وشبه ذلك على تفصيل ذكرناه هناك.

الجمع والجماعة

«بنوها» وإن كان صيغة جمع إلاّ أن المراد به أولاً اثنان: هما الحسن والحسين عليهما السلام، وهذا ما يسمى بالجمع المنطقي والعرفي.

بل قال بعض الأدباء: إن الجمع مصدر جَمَع، وهو يصدق على الاثنين فما فوق، فهو جمع لغوي وأدبي أيضاً.

أما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي عنه: «المؤمن وحده جماعة»[٦٤٢]، فالمراد أنه في بأسه وشدته واستقامته وصلابته كالجماعة، حيث إن «يد الله مع الجماعة»[٦٤٣] وأن قوة الجماعة أقوى من قوة الفرد، فالمؤمن حالـه حال الجماعة في قوة نفسه وصلابة ذاته، وهو كما قال عليه السلام: «لا تستوحشوا في طريق الهُدى لقلة من يسلكه»[٦٤٤].

---

[٦٤٢] وسائل الشيعة: ج٨ ص٢٩٧ ب٤ ح١٠٧١٠.
[٦٤٣] نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ ومن كلام لـه عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين.
[٦٤٤] مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٩٤ ب٤ ح١٣٨٥٨.

فَقالَ جِبرائِيلُ: يا رَبِّ، أَتَأذَنُ لي

الاستئذان من ذي الحق

مسألة: يستحب استئذان الداني من العالي فيما يرتبط به، نظراً لتلك الكلية.

وكما أستأذن جبرائيل عليه السلام من الله سبحانه.

وكما استأذنوا عليهم السلام منه صلى الله عليه وآله وسلم.

وكما استأذن جبرائيل عليه السلام منه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً.

مع أنه كان لـهم عليهم السلام الدخول بلا استئذان؛ لأنه من قبيل بيت من تضمنته الآية الشريفة، بل بالملاك الأولوي هنا.

ولعل استئذان جبرائيل عليه السلام كان من ذلك أيضاً.

نعم، في بعض الموارد يحرم الدخول بدون الإذن لكون الحق للسابق، ولايجوز الدخول في ما هو من حقه إلاّ بإذنه، أو العلم برضاه، وعدم المحذور كما في مورد العورات الثلاث.

ومن قبيل المستحب استئذان الزائر من الإمام المزور عليه السلام في المراقد المطهرة.

والظاهر استحباب أن يأذن من ليس في إذنه محذور كما أذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لـهم عليهم السلام.

ويؤيده أنه قضاء حاجة، وهو مستحب مطلقاً في غير المحرمات.

وهل يستحب إذن السابق في الموارد المكروهة؟.

الظاهر أنه من باب التزاحم بين ترجيح قضاء الحاجة وترجيح الكراهة، فإن عُلِم أهمية أحدهما قدّم وإلاّ تخير.

وكذلك الإذن عند الاستئذان لأي عمل مكروه، فلو فرض أن إتيان المرأة من الخلف مكروه، فاستأذنها الزوج في ذلك، فهل يستحب لـها القبول أم لا؟ أو يكره؟

إلى غير ذلك من الأمثلة.

ثم إن الإذن ليس مما إذا ثبت دام لزوماً، بل للسابق أن ينقض إذنه بعد زمان.

نوعية الهبوط

ربما يستفاد من الحديث: أن جبرائيل عليه السلام أقرب الملائكة أو أذكاهم أو أفهمهم أو أبصرهم أو أقواهم أو أسرعهم أو ما أشبه؛ لأنه بادر لاستئذان الرب تعالى وطلب الدخول معهم عليهم السلام دون سائر الملائكة، مع أن الكل سمعوا نداء الرب تعالى.

فإن ذلك يُفهم بدلالة الاقتضاء على المعنى المذكور سابقاً.

ثم لا يعلم هل كان الـهبوط مادياً أم معنوياً؟

حقيقياً أم مجازياً؟

وإن كان لا يبعد كونه حقيقياً.

وذلك مثل قولـه سبحانه: **[وأنزلنا الحديد]**[٦٤٥]..

إلاّ أن يقال: إن الحديد أيضاً منزل من السماء على ما يقولـه بعض علماء الفلك من أن الأرض انفصلت من الشمس قبل ملايين السنين، فالحديد أُنزل إنزالاً حقيقياً مكانياً لا معنوياً بسبب أمر الله سبحانه وتعالى بتكونه.

---

[٦٤٥] سورة الحديد: ٢٥.

لِأَكُونَ مَعَهُم سادِساً؟.

الالتحاق بركب المتقدمين

مسألة: يستحب الالتحاق بركب المتقدمين وأولياء الله الصالحين والحضور في مجالسهم ومجامعهم؛ لينال الملتحقُ درجاتٍ من التقدم والكمال، كما استأذن جبرائيل عليه السلام ليكون معهم، بل والمعصومون الأربعة عليهم السلام.

أما أصل استحباب نيل التقدم والتكامل والتعرض لـه، فلا إشكال فيه، قال سبحانه: **[سارِعوا]**[٦٤٦]، وقال تعالى: **[فاستبِقوا]**[٦٤٧]، وقال جل اسمه: **[فليتنافسِ المتنافِسون]**[٦٤٨] إلى غير ذلك.

وأما أن المقام من صغرياته؛ فلأن التواجد في محضر العظيم تترتب عليه فوائد دنيوية وأخروية، وذلك لأن الرحمة والبركة والخير والإفاضة النازلة باستمرار عليه تشمل الذي معه ـ بشكل أو بآخر، بدرجة أو بأخرى ـ قال سبحانه: **[فمن تبِعنِي فإنه مِنِي]**[٦٤٩]، وقال تعالى: **[لا تجعلنِي مع القومِ الظالمِين]**[٦٥٠] إلى غير ذلك ولا أقل من الملاك.

---

(٦٤٦) سورة آل عمران: ١٣٣.
(٦٤٧) سورة البقرة: ١٤٨، سورة المائدة: ٤٨.
(٦٤٨) سورة المطففين: ٢٦.
(٦٤٩) سورة إبراهيم: ٣٦.
(٦٥٠) سورة الأعراف: ١٥٠.

إضافة إلى أن كون الإنسان مع عظيم إلـهي يوجب الاستضاءة بنور هدايته وأخلاقه وآدابه والاستفادة من نمير علومه، وفي كليهما فائدة كبرى أخروية، بل ودنيوية أيضاً، هذا مع قطع النظر عن بلوغه درجات سامية لا يمكن للأشخاص الوصول إليها عادة إلاّ بالالتحاق بركب عظيم من العظماء.

والأشياء كما تعرف بأمثالـها، كذلك تعرف بأضدادها، فكما أن كون الإنسان مع الظالم والفاسق والمنافق نقص ـ في حد ذاته وبلحاظ لوازمه أيضاً ـ كذلك طرفه كمال.

لا يقال: ليس كل مستحب طرفه مكروه، ولا العكس.

لأنه يقال: ليس الاستدلال بذلك بل بما سبق وبالفهم العرفي، كما ألمعنا إليه في مقدمة هذا الكتاب ـ في مثل المقام ـ وإن لم يكن لـه إطلاق.

أهمية هذا الاجتماع الرباني

مسألة: يستحب بيان مدى أهمية هذا الاجتماع المبارك عند الله تعالى، فإن استئذان جبرائيل عليه السلام كي يكون واحداً من أهل الكساء وأن يكون معهم ولو للحظات ـ إضافة إلى سائر القرائن والأدلة التي سبقت وستأتي في هذا الحديث وغيره ـ دليل على الأهمية القصوى لـهذا الاجتماع الفريد عند الله سبحانه وتعالى، فإن للاجتماعات المعنوية أهميتها البالغة، فكيف باجتماع من هم وسائط الله وحججه؟.

وإذا كانت للاجتماعات المادية كاجتماع رؤساء الدول لأجل اتخاذ قرار اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي أو ما أشبه ذلك أهمية كبرى، لما تتركه من آثار سلبية أو إيجابية على مستقبل البلاد، فكيف باجتماع خطط لـه إلـه الكون وقد ضم من بسببهم خلق الكون كلـه؟. وقد بين فيه الله سبحانه سر الخلقة وحقائق كونية أخرى في غاية الأهمية كما سيأتي، كما ترتبت عليه ثمار وآثار وضعية للبشرية ـ كما سيوضح ذلك إن شاء الله تعالى ـ

فَقالَ الله: نَعَم، قَد أَذِنتُ لَكَ.

الإذن من ذي الحق

مسألة: يستحب الإذن من ذي الحق[٦٥١] إذا كان في تلبية طلب المستأذن فائدة لـه أو لذاك أو لغيرهما، بل مطلقاً ولو باعتبار كونه قضاء حاجة، وقضاء الحاجة إلا في المحرم ـ وأحياناً المكروه ـ مستحب، وقد أذن سبحانه لجبرائيل عليه السلام بالـهبوط لما استأذنه.

هل الأصل التخلق بأخلاق الله؟

لا يقال: أعمال الله لا يقاس عليها؛ لأن الله يعمل الخير والشر، قال سبحانه: **[ونبلوكم بِالشرَ والخيرِ فتنة]**[٦٥٢]، وقال تعالى: **[طبعَ الله على قلوبِهِم]**[٦٥٣]، وقال سبحانه: **[مَن يضللِ الله فما لـه مِن هاد]**[٦٥٤]، وقال تعالى: **[كل مِن عِندِ الله]**[٦٥٥]،إلى غير ذلك من الإحياء،والإماتة، والإمراض، وترك الظالم وظلمِه، ونحوها.

---

(٦٥١) أي بأن يأذن صاحب الحق.
(٦٥٢) سورة الأنبياء: ٣٥.
(٦٥٣) سورة التوبة: ٩٣، سورة النحل: ١٠٨، سورة محمد: ١٦.
(٦٥٤) سورة الرعد: ٣٣، سورة الزمر: ٢٣و٣٦، سورة غافر: ٣٣.
(٦٥٥) سورة النساء: ٧٨.

لأنه يقال:

أولا: في الحديث: «تخلقوا بأخلاق الله»[٦٥٦]، والمراد بالأخلاق: الإطلاق لا خصوص المعنى المصطلح، كما هو[٦٥٧] المراد بـ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٦٥٨]، وقالت بعض زوجات الرسول ﷺ لما سُئلت عن أخلاقه ﷺ: «كان خلقه القرآن»[٦٥٩] ونحوهما، والاستثناء يحتاج إلى الدليل، فالأصل هو التخلق إلا ما خرج.

وثانيا: إنه سبحانه يعمل حسب المصلحة التي ألزم بها نفسه في التكوين والتشريع، فإن الأقسام خمسة: ما هو خير محض، وما خيره أكثر، وما هو شر محض، وما شره أكثر، والمتساوي الطرفين.

وقد ثبت في الكلام[٦٦٠] أن الله سبحانه لا يعمل إلاّ الأولين فيكون التعبير بالشر مسنداً لـه إلى الله تعالى مجازياً بنحو المجاز في الإسناد بل والكلمة أيضاً[٦٦١].

ولو فرضنا أن إنساناً استطاع أن يدرك مصالح الأمور ويحيط بها جميعاً بأن علم أن الإماتة في مورد معين خير محض، أو خيره أكثر إلى حد المنع من النقيض، كان لـه ذلك أيضاً من حيث المقتضي ـ مع قطع النظر عن كونه تصرفاً في ملك

---

[٦٥٦] بحار الأنوار: ج٥٨ ص١٢٩ ب٤٢ تتميم.
[٦٥٧] أي: الإطلاق، والمعنى الأوسع.
[٦٥٨] مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٧ ب٦ ج١٢٧٠١.
[٦٥٩] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٦ ص٣٤٠ نبذ وأقول في حسن الخلق ومدحه.
[٦٦٠] راجع: (المنظومة) للسبزواري، و(التجريد) للطوسي، وشرحهما للإمام المؤلف قدس سره.
[٦٦١] إذ إطلاق (الشر) على ما خيره أكثر مجاز في الكلمة.

الغير، أعني: الله سبحانه وتعالى ـ وذلك كما في قتل المسلم إذا تترس به الكفار؛ لأنه في اللازم لا إشكال، وفي الثاني تأتي مسألة الأهم والمهم.

وأما (الابتلاء) فهو بمعنى الامتحان، والأمر في نظائره كذلك، على ما فصل في علم الكلام.

إضافة إلى جواب آخر ذكره البعض، كالطوسي قدس سره[٦٦٢]..

---

[٦٦٢] أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة، ولد بطوس خراسان في شهر رمضان سنة ٣٨٥هـ، درس أولاً في مدارس خراسان ثم هاجر إلى بغداد سنة ٤٠٨هـ وكان عمره آنذاك ٢٣ سنة. لازم الشيخ المفيد رحمه الله وتتلمذ عليه خمس سنوات، وبعد وفاته انضوى تحت لواء السيد المرتضى رحمه الله فاهتم السيد به غاية الاهتمام وبالغ في إجلالـه وتقديره فلم يكد ليغيب يوماً واحداً عن درسه، واستمرت الحال سنون متمادية حتى توفي السيد المرتضى رحمه الله سنة ٤٣٦هـ، فبقي الشيخ بعده ببغداد اثني عشر عاماً حتى سنة ٤٤٧هـ حيث هجم السلاجقة الأتراك على بغداد فأغار عبد الملك الوزير المتعصب على دار الشيخ ليقتلـه ولما لم يجده في داره أحرق ما فيها من أثاث وكتب مما اضطر الشيخ للانتقال من بغداد إلى النجف الأشرف وتأسيس الحوزة العلمية هناك. لقد كان يقصد الشيخ رحمه الله الكثير من العلماء من شتى أرجاء العالم الإسلامي لينتفعوا منه ويفتخروا بالتتلمذ عليه، فقد بلغ عدد تلامذته من الفقهاء والمجتهدين وعلماء الشيعة أكثر من ٣٠٠ عالم ومجتهد، كما حضر عنده المئات من علماء أهل السنة. اشتهر رحمه الله بعلمه وورعه وزهده وتقواه بحيث تعدت شهرته حدود العراق ووصلت إلى أقصى نقاط الدنيا. ألف رحمه الله كتابين من كتب الشيعة الأربعة المشهورة وهما: (تهذيب الأحكام) و(الاستبصار)، كما كتب في الفقه كتاباً اسماه (النهاية) وكتاب (المبسوط) الذي دخل الفقه به مرحلة جديدة وكان في زمانه أكبر كتاب فقهي، وأما كتاب (الخلاف) فقد ذكر فيه آراء فقهاء الشيعة وأهل السنة، ولـه كتب فقهية أخرى، كما ألف في الأصول والحديث والتفسير والكلام والرجال مؤلفات كثيرة. توفي رحمه الله ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ٤٦٠هـ◄ ◄عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً، ودفن في داره التي كان يقطنها بوصية منه، وهي الآن من أشهر مساجد النجف الأشرف ويعرف بمسجد الطوسي بالقرب من الحرم الشريف.

والعلامة قدس سره [٦٦٣]..

والسبزواري [٦٦٤] :

من أن الشر إعدام، فالأمر من قبيل باب السالبة بانتفاء الموضوع[٦٦٥] ويكون

.....

التعبير به في الآيات والروايات مسنداً إلى الباري تعالى مجازياً بنحو المجاز في الكلمة[٦٦٦]، والإماتة والإمراض وشبهها ـ على هذا القول ـ كلـها خير وإن

---

[٦٦٣] الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي، ولد في ٢٩ رمضان سنة ٦٤٨هـ في مدينة الحلة. بدأ بتحصيل العلم منذ طفولته، فدرس الأدب العربي والمقدمات والعلوم العصرية عند أبيه، وكذلك عند خالـه المحقق الحلي، وابن عم أمه الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، والسيد أحمد بن طاووس، ورضي الدين علي بن طاووس، وابن ميثم البحراني. أكمل المقدمات ونال درجة الاجتهاد ولم يبلغ سن التكليف. لـه من الآثار في حدود ١٠٠ كتاب، فقد ألف في الفقه والأصول والكلام والمنطق والفلسفة والرجال، منها: الإرشاد، تبصرة المتعلمين، القواعد، التحرير، تذكرة الفقهاء، مختلف الشيعة، المنتهى، شرح التجريد، منهاج الاستقامة، تلخيص الكشاف، وغيرها. توفي رحمه الله في ١١ محرم ليلة السبت أو يومه سنة ٧٢٦هـ في الحلة المزيدية، وقد حمل نعشه الشريف على الرؤوس إلى النجف الأشرف ودفن في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في حجرة إيوان الذهب الواقعة على يمين الداخل إلى الحضرة الشريفة العلوية من جهة الشمال بجنب المنارة الشمالية.

[٦٦٤] الحاج المولى هادي بن مهدي السبزواري الشيرازي المشهور بالحكيم السبزواري، فقيه وحكيم من أعلام القرن الثالث عشر الـهجري، نعته العلامة الشيخ أقا بزرك الطهراني بـ (الفيلسوف المتألـه)، ولد في سبزوار عام ١٢١٢هـ، وتعلم بأصبهان ومشهد، توفي بسبزوار ١٢٨٩هـ. من مؤلفاته : شرح اللآلئ المنتظمة في المنطق، غرر الفرائد في الحكمة، أرجوزة في الفقه سماها النبراس، حاشية على الشواهد الربوبية للصدر الشيرازي، وحاشية على المبدأ والمعاد للشيرازي أيضاً، وأسرار الحكمة والجبر والاختيار.

[٦٦٥] المراد كما يبدو أن قولك: (خلق الله الشر) أو (الشر مخلوق الله) غير تام، من جهة أن الشر ◄ ◄عدم محض غير قابل للخلقة، لا أنه ممكن الخلقة لكنه تعالى لم يخلقه من جهة المصلحة التي ألزم بها نفسه كما هو مقتضى الجواب السابق.

[٦٦٦] بأن يكون إطلاق الشر على (ما يتوهم شراً) وإن كان خيراً حقيقة، أو على الشر بالقياس النسبي.

خفي علينا ذلك.

ثم عملـه الشر لو فرض فلأنه مالك حقيقي لـه أن يتصرف في ملكه، فلا يصح التخلق في ما ثبت أنه شر فقط، فليتأمل.

فَهَبَطَ الأَمِينُ جِبرائِيلُ، وَقالَ:

السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُولَ الله، العَلِيُّ الأَعلَى

وصف الله بالعلي الأعلى

مسألة: يجوز خطاب الله تعالى بالعلي الأعلى، حتى بناءً على أن أسماء الله توقيفية، استناداً لـهذا الحديث الشريف.

ولعلّ جبرائيل عليه السلام إنما قال: «العلي» باعتبار أنه قد هبط من أعلى، وكلما هبط الإنسان وكان من موقع أعلى فأعلى تجلى علو العالي لـه أكثر فأكثر ويكون أظهر بالنسبة إليه، ولـهذا ورد أنه: «لما نزلت **[فسبّح باسمِ ربك العظيمِ]**[٦٦٧] قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت **[سبّحِ اسمَ ربكَ الأعلى]**[٦٦٨] قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعلوها في سجودكم»[٦٦٩].

وحيث إن العلو يمكن اتصاف غير الله سبحانه وتعالى به عرفاً ـ وإن كان بمعناه الحقيقي وبقول مطلق منحصراً به جل وعلا ـ قيَّده جبرائيل عليه السلام بالأعلى؛ فإنه أعلى من كل عال، وهذا من ضيق التعبير، إذ أين المحدود من اللا محدود والفقر المحض من الغني ذي القوة المتين؟.

.....

(٦٦٧) سورة الواقعة: ٧٤و٩٦، سورة الحاقة: ٥٢.
(٦٦٨) سورة الأعلى: ١.
(٦٦٩) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٢٧-٣٢٨ ب٢١ ح٨١٠١.

ثم إن جمعاً من أهل الذكر والدعاء قالوا: إن الإنسان إذا كرر وأكثر من ذكر أحد أسماء الله سبحانه وتعالى أفاض الله عليه مفاد ذلك الاسم، فمثلاً: من يريد العلو إذا أكثر من ذكر (يا علي)، ومن يريد الغنى إذا كرر (يا غني)، ومن يريد الجاه إذا لازم ذكر (يا ملك)، وهكذا؛ فإن الله سبحانه وتعالى يفيض عليه مصاديق تلك الألفاظ، وهذا من المجربات وإن لم أجد به رواية.

تعظيم الله سبحانه

مسألة: يستحب تعظيم الله سبحانه عند ذكر اسمه دائماً، كما قال جبرائيل عليه السلام: «العلي الأعلى».

وكذلك تعظيم كل من عظّمه الله تعالى، فإذا ذكر الإنسان الرسول صلى الله عليه وآله قال: (صلى الله عليه وآلـه)..

وإذا سمى علياً عليه السلام أو الحسن عليه السلام أو غيرهم من المعصومين عليهم السلام عقّب الاسم بوصف أو دعاء دال على العظيمة والرفعة، مثل:

(عليه السلام)

و(صلوات الله عليه)

و(روحي لـه الفداء)

وما أشبه ذلك.

إرسال السلام عبر الواسطة وأحكامه

مسألة: يستحب إرسال السلام، كما أرسل الله تعالى السلام بواسطة جبرائيل عليه السلام.

وقد صدر ذلك من الأئمة عليهم السلام أيضاً كثيراً حسب الروايات.

والإرسال يصح أن يكون إلى فرد أو إلى جماعة، بواسطة فرد أو جماعة، وفي الحديث: «أقرِئ موالينا السلام»[٦٧٠]، وفي حديث فاطمة (سلام الله عليها) إبلاغ السلام إلى ذريتها، إلى غير ذلك.

والظاهر أن رد مثل هذا السلام ليس بواجب، لانصراف أدلة الوجوب عن مثلـه.

نعم يستحب قطعاً، للملاك، ولأنه من الخُلُق الكريم.

وهل يجب إبلاغ الواسطة لمثل هذا السلام؟.

لا إشكال في عدم الوجوب إن لم يتعهد بالإبلاغ، أما إن تعهد فيحتمل الوجوب لأنه من الأمانة، كما يحتمل العدم لأنه ليس إلاّ وعداً، والمشهور عدم وجوب الوفاء، والثاني أقرب إلى الصناعة وإن احتملنا في (الفقه): وجوب الوفاء بالوعد في الجملة، والأول إلى الاحتياط.

---

[٦٧٠] بحار الأنوار: ج١ ص٢٠٠ ب٤ ح٧.

ثم لو قال جماعة لزيد: أبلغ فلاناً سلامنا، يكفي الموجز بأن يقول: إن جماعة أبلغوك السلام، لسيرة المتشرعة من غير نكير، بالإضافة إلى أن المستفاد من الأدلة لا دلالة لـه من حيث التنصيص.

والسلام المرسَل عبر الكتاب حالـه حال السلام المرسل بواسطة الرسول، ومثلـهما السلام في التسجيلات الصوتية ونحوها، نعم لا يجب رد السلام على وسائل الإعلام العامة بلا إشكال[٦٧١].

جواز حذف بعض الحديث المنقول

مسألة: من المحتمل أن يكون جبرائيل عليه السلام قد سلّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط ـ على ما ربما يستظهر من اقتصار الزهراء (عليها الصلاة والسلام) في النقل على ذكر (يقرِئُك السلام) ـ فيعلل ذلك بأنه من جهة أنه صلى الله عليه وآله وسلم أعظم الموجودين تحت الكساء فاقتضى إجلالـه وإعظامه تخصيص الخطاب والسلام به.

ومن المحتمل أن يكون جبرائيل عليه السلام قد سلّم عليهم عليهم السلام ـ بعد سلامه على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإنما ذكرت الزهراء (عليها الصلاة والسلام) بعض كلام جبرائيل عليه السلام احتراماً وإجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث إن تشريك غيره معه في النقل ليس بذلك التعظيم لـه فيما إذا ذكر وحده.

---

[٦٧١] راجع في هذا المبحث: (ألف مسألة متجددة)، (الفقه: المسائل المتجددة)، (الفقه: الواجبات والمحرمات)، (الفقه: الآداب والسنن).

ومن الواضح أن حذف ما يعلم وما هو بمنزلته جائز، كما نجد ذلك في كثير من الروايات حيث لا تتعرض صراحة لكثير من المطالب والحوادث الواقعة، وذلك لوجود القرائن الحالية أو المقالية الأخرى، فيمكن استكشافها كثيراً من أماكن أخرى.

كما أن الزهراء عليها السلام حين نقلها كلام الله تعالى لم تقل بأن الله أمر جبرائيل عليه السلام أن يُقرِئ نبيه السلام ويخصه بالتحية والإكرام ويقول له: وعزتي وجلالي، وقد استنبط ذلك بالملازمة العرفية من كلامه.

وهذا جار عند البلغاء حيث يكتفون بذكر بعض الكلام في الكثير من المواقع، كما هو شأن القرآن الحكيم في نقله للقصص فإنه يذكر بعضاً ويترك بعضاً آخر..

ويعلل ذلك ـ فيما يعلل به ـ بـ: لكي يُحدث في النفس منطقة فراغ، لتذهب النفس في ذلك الفراغ كل مذهب من قبيل ما ذكروه في قوله سبحانه: **[وأصبح فؤاد أمّ موسى فارِغا]**[٦٧٢]، حيث إن الفراغ محل لجولان الخواطر وتقليب وجوه الرأي والتعود على التدبر والاستنباط، بينما إذا كان ممتلأً لم يكن له إلاّ وجه واحد وهو ما ملأه.

وقد يكون ذلك السبب ـ أو جزء السبب ـ أحياناً في تقطيع بعض المحدثين الأحاديث وذكرهم بعضها دون بعض، وإن كان الغالب في التقطيع كونه لأجل الاقتصار على محل الحاجة.

---

[٦٧٢] سورة القصص ١٠.

التحية والتكريم

مسألة: يستحب تحية وتكريم من كان أهلاً لـهما.

و(التحية) من الحياة، والمراد بها: الحياة السعيدة.

و(الإكرام) جعل الإنسان كريماً، أي رفيعاً مرضياً،فسلامة وحياة وكرامة، وهذا غاية التبجيل، ودعاء بأهم عوامل السعادة، فإن كل واحد وإن كان يطلق على الآخر أحياناً، ولذا أُريد بـ [**حيِّيتم بِتحيةٍ**][٦٧٣] الأعم من السلام، إلاّ أن الجمع بينها كان للدلالة على مزيد التجليل والتبجيل.

فإن ألفاظ لغة العرب ـ وإن كانت مترادفات في الصورة ـ إلاّ أنها لدى الدقة مختلفة باختلاف الخصوصيات، مثلاً الجواد والسخي والكريم، كلـها تعطي معنى البذل والعطاء، لكن بينها فرقاً:

فالأول: من يعطي ولا يريد بذلك شهرةً ولا كمالاً لنفسه عبر الجود.

والثاني: من يريد كمالاً أو شهرة بذلك، ولذا لا يطلق على الله سبحانه السخي.

والثالث: من يعطي وهو كريم، قد ظهرت منه محاسن عديدة [٦٧٤] أو يقصد التكريم.

.....

[٦٧٣] سورة النساء: ٨٦.
[٦٧٤] راجع لسان العرب.

والتحية إذا كانت بغير لفظ السلام لا تجب الرد على المشهور، وإن كان ذلك مقتضى سمو الخلق ورفعة الأدب.

ثم إن السلام من الله سبحانه معناه: السلامة لعبده، مع قطع النظر عن التحية، أما السلام نسبةً إلى الله تعالى كما ورد في أعمال مسجد الكوفة: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام»[٦٧٥]، وكون الله سلاماً، كما قال سبحانه: **[هُوَ اللهُ الذِي لا إِلـه إلا هُوَ المَلِكُ القدوسُ السلام]**[٦٧٦] فمعناه: إنه باعث السلام وخالقه، أو أنه لا نقص فيه ولا عيب ولا تغير.

مسألة: يستحب بيان أن الله تعالى قد أقرأ رسولـه ﷺ السلام وخصّه بالتحية والإكرام.

فإن معرفة ذلك وأشباهه توجب مزيداً من ربط وتعلق الإنسان بربه وبرُسُلـه كما لا يخفى، إضافة إلى العمومات التي تشمل المقام وأمثالـه، ومنها ما سيأتي في هذا البحث من: «ما ذكر خبرنا هذا ... ».

---

[٦٧٥] بحار الأنوار: ج٩٧ ص٤١٢ ب٦ ضمن ح٦٨.
[٦٧٦] سورة الحشر: ٢٣.

القسم وموارده

مسألة: يستحب الحلف وقد يجب، إذا كان الأمر المحلوف عليه مهماً كما حلف الله سبحانه..

وإنما يجب إذا كان المحلوف عليه شرفاً وعرضاً ينتهك بترك الحلف كما في المرافعات، أو مال صغيرٍ وهو متوليه، أو ما أشبه ذلك.

وهذا لا ينافي كراهة مطلق الحلف، ولذا لم يحلف الإمام زين العابدين عليه السلام وأعطى المهر لمن ادعت عليه عدم إعطائه لـها المهر؛ معللاً بأن الله سبحانه أجلّ شأناً من أن يحلف عليه لأجل المال[٦٧٧].

والحلف من الله سبحانه في هذا الأمور تأكيدٌ للأمر، لا لـهم عليهم السلام بل للناس حينما يبلغهم الخبر.

وقد أكثر الله سبحانه من القَسَم في القرآن الحكيم.

أما قولـه تعالى: **[لا أقسِمُ بِهذا البَلَدِ]**[٦٧٨] وما أشبه فالظاهر أنه إلماع إلى الحلف بدون أن يحلف، جمعاً بين التجليل والحلف، لا أن (لا) زائدة كما قالـه بعض الأدباء.

---

[٦٧٧] راجع الكافي: ج٧ ص٤٣٥ باب كراهية اليمين ح٥.
[٦٧٨] سورة البلد: ١.

وقولـه سبحانه: [**لعمرك إنهم لفي سكرتهم**][٦٧٩] حلف بالعُمر بالضم لكن صيغة الحلف تأتي بالفتح، ولعل (الكاف) لمن يتأتى منه الأمر مثل: [**ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم**][٦٨٠] حيث قال الأدباء: إنه أريد به من تتأتى منه الرؤية.

وقد ذكرنا في (الفقه) صحة إحلاف كل إنسان بما يعتقد به من كتاب ونحوه كاليهود والنصارى ومن أشبههم، بل لا يستبعد صحة الإحلاف بمثل العباس عليه السلام بالنسبة إلى من يخشاه ويهابه، حيثما توقف ظهور الحق على ذلك دون ما عداه، وتفصيل الكلام في ذلك في باب الأيمان[٦٨١].

أما الحلف بما هو باطل محض كالصنم ونحوه فلا يجوز إلاّ إذا اضطر إليه، حيث إن الضرورات تبيح المحظورات، وقد ورد في الحديث: «ليس شيء مما حرم الله إلا وقد أحلّه لمن اضطر إليه»[٦٨٢] إلاّ أن تزاحمه جهة أخرى كما لو استلزم ذلك ترويجاً.

---

[٦٧٩] سورة الحجر: ٧٢.
[٦٨٠] سورة السجدة: ١٢.
[٦٨١] راجع (الفقه: كتاب الجعالة، الأيمان، النذر).
[٦٨٢] وسائل الشيعة: ج٢٣ ص٢٢٨ ب١٢ ح٢٩٤٤٢.

إنّي ما خَلَقتُ سَماءً مَبنيَّةً، ولاَ أَرضاً مَدحِيَّةً، وَلاَ قَمَراً مُنِيراً، وَلاَ شَمساً مُضِيئَةً، ولاَ فَلَكاً يَدُورُ، ولاَ بَحراً يَجري، وَلاَ فُلكاً يَسري،

النقل باللفظ أو بالمعنى

مسألة: يستحب وقد يجب النقل بالنص؛ فإن جبرائيل عليه السلام بلّغ نص ما قالـه الله سبحانه وتعالى وهو: «إني ما خلقت سماءً مبنيةً» إلى آخره، وذلك يدل على أفضلية أن يذكر الإنسان نص ما صدر عن الله تعالى والمعصوم عليه السلام وإن جاز النقل بالمعنى أو التقديم والتأخير إذا أريد المعنى، كما وردت بذلك الروايات وأفتى به الفقهاء، وذلك لتعسر أو تعذر النقل باللفظ عادة، أما لغير العرب فواضح؛ لأنهم لا يحسنون اللغة، وأما العرب فإنه من المتعسر جداً الضبط الكامل وإن كانت الألفاظ بخصوصياتها ذوات مزايا لا توجد في النقل بالمعنى حتى لو كانت باللغة العربية وبمرادفاتها أيضاً.

والحاصل أن الأمر من باب الأهم والمهم وإلاّ فاللفظ لـه مدخلية لا توجد في ألفاظ أخرى تفيد ذلك المعنى بتلك اللغة أو بلغة أخرى، ولعل بعض الاختلاف في الروايات نشأ من ذلك.

التذكير بالتكرار

مسألة: يرجح التذكير بالتكرار بالمهم من الأمور والتأكيد عبر التكرار، فإن تكرار هذا المقطع في كلام الزهراء (عليها الصلاة والسلام) إنما كان لأهميته، إذ أنه كان بإمكانها الإشارة إلى أن جبرائيل عليه السلام أدى الرسالة الإلـهية إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا يخفى أن الله سبحانه وتعالى خلق كل الكون دنياً وآخرة لأجلـهم (عليهم الصلاة والسلام) كما دل على ذلك متواتر الروايات..

وذكر السماء والأرض والشمس والقمر والبحر ـ في حديث الكساء ـ إنما هو لارتباطها بالشؤون الأرضية التي هم فيها.

إلاَّ لأَجلِكُم وَمَحَبَّتِكُم،

المعصومون عليهم السلام أجل وأعظم من الكون

مسألة: يستحب دعوة الناس إلى التمسك بمن ينفعهم في دينهم ودنياهم، وقد يجب، كما وجّه سبحانه الناس إلى الخمسة الأطياب مرات عديدة ببيان أن الكون خلق لأجلـهم.

إذ يجب في الواجبات ـ كالمقام ـ ويستحب في المستحبات: توجيه الناس إلى ما ينفعهم، ولأنهم عليهم السلام العلة الغائية[٦٨٣] للكون.. فهم عليهم السلام أجل وأكبر وأعظم منه، وغير خفي أن كونهم عليهم السلام أجل وأكبر وعظم من الكون لا يراد به البُعد المادي[٦٨٤] بل المقصود الجانب المعنوي، فكما أن مثقالاً من الألماس قد يكون أغلى من مليون مثقال من الفحم ـ في القيمة والمعنى ـ كذلك في المقام.

وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله في المعراج قافلة من الإبل لا يعلم أولـها ولا آخرها وهي محملة بفضل الإمام علي عليه السلام، وقد يكون ذلك من باب تشبيه المعقول بالمحسوس[٦٨٥] وربما يكون حقيقياً كأن تكـون فضائلـه عليه السلام مسطـــرة في صحائـــف

---

[٦٨٣] قد سبق في الكتاب الحديث عن ذلك تفصيلاً.

[٦٨٤] اللهم إلا على التوجيه الآتي آخر هذا البحث فيشمل البعدين.

[٦٨٥] بفرض تحول المعنى إلى المادة كما تتحول الطاقة إليها وذلك كما فرضنا حمل الإبل للكرة الأرضية ـ أو المشتري الذي هو أكبر من الأرض ألف مرة كما يقول علماء الفضاء ـ لاستدعى ذلك الملايين من الإبل كما هو واضح.

وكتب حملتها ملايين الإبل كما تشهد به بعض القرائن، أو بكون فضائله عليه السلام حقيقة وبما هي هي محمولة ويكون المجاز في (الإبل) فليدقق.

فإن معنوية الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أكبر من الكون، وهو المصداق الأتم بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للشطر الثاني من قوله عليه السلام:

أتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وهو كذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كان الإمام علي عليه السلام كنافذة لتلك النفس الرفيعة الكبيرة مثل نبع تحته بحار من المياه.

والمراد بالمعنوية: سعة علمه وعمق حلمه وسمو خلقه وآدابه وقوة إمكانياته في التصرف في الكون، إلى ما أشبه ذلك[٦٨٦].

وذلك كقوله سبحانه: **[لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله]**[٦٨٧].

فإنه إذا قيست معنوية القرآن بمادية الجبل تكون معنوية القرآن أضعاف أضعاف مادية الجبل، فإنه قد يلاحظ المادي في قبال المادي، وقد يلاحظ المعنوي في قبال المعنوي، وقد يلاحظ في قبال المادي، وقد يكون العكس، وهذه الآية من القسم الثالث.

---

[٦٨٦] إلى جانب من ذلك يشير الشاعر ـ أبو وائل بكر بن النطاح الحنفي (؟-١٩٢هـ)، أو علي بن جَبلة العكوك (١٦٠-٢١٣هـ) ـ بقوله:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الدنيا أجل من الدهر

[٦٨٧] سورة الحشر: ٢١.

ومن المعلوم أن المادي قد يتحول معنوياً كما في تحول المادة إلى الطاقة في الانفجار الذري مثلاً، وفي تحول الأغذية في بدن الإنسان إلى قوة وطاقة.

وقد يُبادل المادي ويعوّض بالمعنوي كصرف المال لأجل العلم، فإن العلم معنوي والمال مادي، وقد يكون العكس كصرف العلم في تحصيل المال، وقد يصرف العلم لتحصيل علم آخر، أو المال لتحصيل مال آخر، فلو فرض أن القرآن المعنوي تحول إلى شيء مادي لكان الجبل خاشعاً متصدعاً بسبب ذلك الشيء المادي الذي تحول القرآن المعنوي إليه، وهناك معنى آخر لتوضيح الآية الشريفة نذكره في محلـه.

ولكونهم عليهم السلام أكبر وأعظم من الكون توجيه آخر هو ما قد ذهب البعض إليه من الالتزام بالسعة الوجودية والاحاطة الشمولية، والكلام في المقام طويل وعميق نكتفي منه بهذا القدر.

وَقَد أَذِنَ لِي أَن أَدخُلَ مَعَكُم، فَهَل تَأذَنُ لِي يا رَسُول الله؟.

الاستئذان طوليا

مسألة: يستحب الاستئذان المجدد من العظيم ـ وإن حصل الإذن من الله تعالى من قبل ـ احتراماً لذلك العظيم، كما استأذن جبرائيل عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولربما توقف الجواز[٦٨٨] على الإذن الثاني، فيما لو كان إذن الله سبحانه وتعالى متوقفاً على إذنه صلى الله عليه وآله وسلم، كإذنه سبحانه وتعالى في التصرف في أموال الناس طولياً إذ يتوقف حينئذ على إذن المالك، فإن إذن الله سبحانه وتعالى إذا كان جزمياً لم يتوقف على شيء آخر، وإن كان تعليقياً وعلى نحو الإجازة توقف على شيء آخر، فإنه أيضاً بأمر الله سبحانه وتعالى الذي جعله مالكاً، وهكذا في أمثال ذلك.

وهل دخول جبرائيل عليه السلام معهم عليهم السلام كان معنوياً أو مادياً، بمعنى أنه تمثل في صورة البشر ودخل معهم، كما كان أحياناً يتمثل بصورة دحية الكلبي[٦٨٩] وغيره، أم أنه بنفس روحه وواقعيته وكما هو هو دخل معهم؟.

احتمالان، ولم يظهر من هذا الحديث ما يؤيد أحد الاحتمالين ولا يعلمه إلاّ

---

[٦٨٨] أي: جواز التصرف وشبهه.

[٦٨٩] راجع الكافي: ج٢ ص٥٨٧ باب دعوات موجزات لجميع الحوائج للدنيا والآخرة ح٢٥.

الله سبحانه وتعالى وأولياؤه.

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ:

وَعَلَيكَ السَّلامُ يَا أَمِينَ وَحيِ الله، إِنَّهُ نَعَم

سلام غير الإنسان

مسألة: يجب ردّ سلام غير الإنسان كالملائكة، كما ردّ ﷺ سلام جبرائيل عليه السلام، والفعل وإن كان أعم إلاّ أنه يدل على الجامع، واستفادة الوجوب من الإطلاقات.

التأكيد

مسألة: يرجح التأكيد في مقام الجواب والإذن إذا كان فيه الفائدة، حيث قال ﷺ: «إنه نعم قد أذنت لك».

ومن الواضح أن التأكيد في مثل المقام يفيد مزيد اشتياق الآذن للمستأذن، فليس تأكيداً لفظياً فحسب.

ويحتمل أن يكون رد الرسول ﷺ معنوياً في قبال المعنوي، أو مادياً ظاهرياً في قبال الظاهري؛ فإن النفس قد توحي إلى النفس دون وساطة الجوارح.

قَد أَذِنتُ لَكَ.

فَدَخَلَ جِبرائِيلُ مَعَنا تَحتَ الكِساءِ،

التجمع قوة وفائدة [٦٩٠]

والظاهر أن جبرائيل عليه السلام كان يريد بذلك الطلب الاستفادة المعنوية من معنوياتهم عليهم السلام، فكما يستفيد المادي من المادي، كاستفادة الشجر والحيوان والإنسان من الماء والطعام وما أشبه ذلك، كذلك يستمد المعنوي من المعنوي، كما يستفيد الإنسان من عِلم العالم وأخلاق الخلوق وأدب الأديب وما أشبه ذلك، ولا شك أنهم عليهم السلام أفضل من جبرائيل عليه السلام، فدخولـه معهم سبب لاكتساب الخير منهم.

وكما أن التجمع في الماديات يوجب القوة كذلك التجمع في المعنويات يوجب قوة ذلك البُعد أيضاً، ومن ذلك:

«ما حار من استخار، ولا ندم من استشار»[٦٩١].

و: «أعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقلـه»[٦٩٢].

.....

---

[٦٩٠] للتفاصيل راجع: (الفقه: السياسة)، (الفقه: الاجتماع)، (الفقه: الدولة الإسلامية)، (السبيل إلى إنهاض المسلمين)، (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام).

[٦٩١] وسائل الشيعة: ج٨ ص٧٨ ب٥ ح١٠١٢٥.

[٦٩٢] راجع غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٢ ق٦ ب٤ ف١ شاور هؤلاء ح١٠٠٨٠، وفيه: «من شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول».

وقد ورد عنهم (عليهم الصلاة والسلام): «يد الله مع الجماعة»[٦٩٣] أي: قوته وعزته وبركته، كما نشاهد ذلك في الماديات؛ فإن القطرات تتجمع حتى تكون بحراً وسيلاً يجرف القطيع أو المدن وغيرها.

وكذلك الذرات تتجمع حتى تكون صحراء، والخلايا الحية تتجمع حتى تكون إنساناً أو حيواناً، إلى غير ذلك..

فكما أن التجمع في الماديات يُفيد قوة ومضياً، كذلك التجمع في المعنويات.

[٦٩٣] نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ ومن كلام لـه عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين.

فَقالَ لِأبي: إنَّ الله قَد أَوحى إِلَيكُم يَقولُ:

التمايز بين القرآن وغيره

مسألة: يرجح أن تمتاز الآيات القرآنية في الكلام أو في الكتابة عن سائر الكلمات بميزة ظاهرة، كما قال جبرائيل عليه السلام: «قد أوحى إليكم يقول».

ولقد كان ما جاء به جبرائيل عليه السلام وحياً من الله سبحانه وتعالى، وإنما لم يذكر الوحي في أول الكلام وذكره هنا؛ لأن الوحي باعتبار أنه قرآن وتحد بخلاف المقطع الأول من الكلام حيث لم يكن من القرآن.

ويمكن أن يفهم من الفرق بين الكلامين أن من المستحسن تمييز القرآن عن غيره من أنحاء الوحي إذا كان في ضمن كلامٍ بعضه قرآن وبعضه حديث قدسي بما يدل على أن هذه القطعة من القرآن، وحيث إن الخطاب هنا كان بصيغة: **[إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت]**[٦٩٤]، قال جبرائيل عليه السلام: أوحى إليكم بصيغة الخطاب للجمع، بينما في السابق كان يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة المفرد. ومن الواضح أنه يمكن الوحي بالنسبة إلى غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قال سبحانه **[وأوحى ربك إلى النحلِ أنِ اتخذِي مِن الجبالِ بيوتا ومِنَ الشجرِ ومِما يعرِشون]**[٦٩٥] وقال سبحانه: **[إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى]**[٦٩٦] إلى غير ذلك. أما الوحي بالمعنى الأخص وهو ما كان بتوسط جبرائيل عليه السلام بالنحو الخاص فهو خاص بالأنبياء عليهم السلام.

---

[٦٩٤] سورة الأحزاب: ٣٣.
[٦٩٥] سورة النحل: ٦٨.
[٦٩٦] سورة طه: ٣٨.

[إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً][٦٩٧].

عصمة المعصومين عليهم السلام

مسألة: يجب الاعتقاد بـعصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، وقد سبقت الإشارة إليه.

إشارة لآية التطهير

ولعلّ الإتيان بلفظ [إِنَّمَا] لإفادة أن إرادة الله سبحانه وتعالى منحصرة في ذلك، فلا يمكن أن يحيد عنه، كما أن لفظ [يُرِيدُ] يدل على أنه فعل مع الإرادة لإمكان انفكاك الإرادة عن الفعل، أو الفعل عن الإرادة في الممكن[٦٩٨] دون الواجب تعالى، إذ إرادته التكوينية تلازم فعلـه وهي العلة التامة لتحقق المراد، فـ (إرادته فعلـه).

و[يُرِيدُ] أولى من (يذهب) كما لا يخفى.

و(يذهب) يراد به الإذهاب حدوثاً وبقاءً، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً للقرائن الكثيرة الحالية والمقالية، ومنها أنه كان المجيء بالمضارع في [يُرِيدُ]

.....

[٦٩٧] سورة الأحزاب: ٣٣.

[٦٩٨] التقييد بـ (في الممكن) لدفع توهم إمكان الانفكاك في الواجب إذ إرادته تعالى علة تامة لحدوث المراد، وفعلـه بالإرادة كما ثبت بالبرهان.

و[لِيُذْهِبَ] لإفادة الاستمرارية، حيث ذكروا أن الفعل المضارع يدل على الاستمرار، أما الماضي فإنه يدل على الحدوث فقط دون دلالة على البقاء، فلو قال: طهّر نفسه، دل على حدث في الماضي فقط، ولذلك عدل سبحانه عن (أذهب) إلى [لِيُذْهِبَ]، فبهذا وبغيره تكون هذه الجملة دليلاً على ارتفاع الرجس بأبلغ لفظ، ولو قال: أنتم طاهرون مطهرون، وما أشبه ذلك لم تكن في الجملة تلك الفائدة البلاغية الرفيعة، والتفصيل في كتب الكلام والتفاسير[٦٩٩].

ولعل ذكر الآية في أثناء الآيات المرتبطة بنساء النبي ﷺ كان لإخفائها؛ حتى لا تمد إليها يد التحريف من المخالفين، و[**إِنَّا لَه لَحَافِظُون**][٧٠٠] لا يدل ولا يقتضي أن يكون كلـه غيبياً بل بالأسباب أيضاً.

لا يقال: إذا كان معنى (الإذهاب) التطهير، فما معنى [**وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا**][٧٠١]؟.

لأنه يقال: واسطة بين الأمرين، وليسا من الضدين اللذين لا ثالث لـهما؛ فإن (الرجس) قبح و(التطهر) جمال، وبينهما ما لا قبح لـه ولا جمال، وللتقريب نمثل بإذهاب السواد عن شيء حيث لا يلزم كونه أبيضَ، إذ من الممكن أن يكون لون آخر، وكذلك من يُذهب عن نفسه الجبن لا يستلزم أن يكون

شجاعاً، بل أمكن أن يصبح إنساناً عادياً، وكذا الأمر في البخل والكرم، وما إلى ذلك.

---

[٦٩٩] راجع (شرح التجريد)، و(تقريب القرآن إلى الأذهان) للإمام المؤلف قدس سره، و(العبقات) للسيد مير حامد حسين، و(البحار) للعلامة المجلسي، و(إحقاق الحق) للتستري، و(نهج الحق وكشف الصدق) للعلامة الحلي.

[٧٠٠] سورة الحجر:٩.

[٧٠١] سورة الأحزاب:٣٣.

وربما كان [**ويطهركم تطهيرا**][٧٠٢] للإشارة إلى عليا مراتب الطهارة.

إذهاب الرجس عن النفس

مسألة: يستحب للإنسان أن يسعى لإذهاب الرجس المعنوي والمادي عن النفس، ويكون ذلك واجباً في موارده.

ويستفاد من آية التطهير بضميمة الملاك في بعض المراتب، والفحوى من وجه، وأدلة التأسي وغير ذلك، فضل إذهاب الرجس المعنوي عن النفس من الشرك والعقائد الباطلة والملكات الرذيلة، وكذلك الرجس المادي عن البدن وسائر ما يتعلق بالإنسان عبر المطهرات، إلى غير ذلك.

تطهير الباطن والجوهر

مسألة: ينبغي التطهير والتطهر مادياً ومعنويا، استحباباً ووجوباً، كل في مورده. وقد ظهر مما تقدم ذلك.

ولا شك أن تطهير القلب والباطن أهم من تطهير البدن والظاهر؛ لأن الباطن هو المحور للإنسان، وهو الجوهر وهو محطة الإيمان والشرك وسائر أصول

.....

الدين، فإذا طهر باطنه من المعتقدات الفاسدة، والملكات الرذيلة، والنوايا السيئة ونحوها، يكون إنساناً كاملاً، وإلاّ كان منحرفاً عن منهج الله سبحانه.

---

[٧٠٢] سورة الأحزاب:٣٣.

فإذا كانت عقيدته فاسدة أوجبت لـه الـهلاك في الآخرة، بل وفي الدنيا أيضاً في كثير من الأحيان:

[ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ مِن السماءِ والأرضِ ولكِن كذبوا فأخذناهم][٧٠٣]..

وإذا كانت ملكاته رذيلة كالحسد والبخل وحب الدنيا وما أشبه ذلك أورثت لـه نكالاً ووبالاً في الدنيا والآخرة.

والإنسان ذو النية السيئة تترتب على نيته آثار وضعية، كما سينكشف أمره أيضاً..

قال علي عليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»[٧٠٤]، فيُفتضح بين الناس كما أنه مفضوح عند الله سبحانه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة»[٧٠٥].

وكما تكون الطهارة عن الرذائل تكون عن الدنايا أيضاً، مثل الكسل والضجر وحب الدنيا غير المحرم والشهوات الجائزة ونحو ذلك، فإن كل ذلك يوجب سقوط الإنسان أو تأخره ونقصان حظه.

.....

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من وقي شر ثلاث فقد وقي الشر كلـه: لقلقه وقبقبه وذبذبه»[٧٠٦]..

والمراد الأعم من الحرام والمكروه كـ: لغو الكلام ـ من غير أن يكون محرماً ـ

---

[٧٠٣] سورة الأعراف: ٩٦.
[٧٠٤] نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٦.
[٧٠٥] وسائل الشيعة: ج١٠ ص٣١٣ ب١٨ ح١٣٤٩٤.
[٧٠٦] مستدرك الوسائل: ج٩ ص٣٢ ب١٠٣ ح١٠١٢٤.

والإفراط في الأكل وفي قضايا الجنس؛ فإن كل ذلك يوجب الانحطاط، والإفراط في أمر البطن والفرج يوجب الأمراض كما هو معلوم[٧٠٧]، فـ: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء»[٧٠٨].

[٧٠٧] راجع: (الفقه: الواجبات والمحرمات)، (الفقه: الآدب والسنن)، (الفقه: الأطعمة والأشربة)، و(الفقه: النكاح).
[٧٠٨] مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٤٥٢ ب١٠٩ ح٢٠٥٢٥.

فَقالَ عَلِيٌّ عليه السلام لأَبِي: يا رَسُولَ الله، أَخبِرني

استحباب السؤال لتعليم الغير

مسألة: يستحب السؤال لتعليم الغير، كما يستحب السؤال عن فضائل أهل البيت عليهم السلام خاصة.

وقد كان علي (عليه الصلاة والسلام) يعلم ذلك، لكنه سأل كي يظهر ذلك للآخرين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

وبذلك يُستدل على استحباب سؤال العالم للتعليم، كما يدل على استحباب السؤال عن فضائل أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) بصورة خاصة.

والظاهر أن كلام علي (عليه الصلاة والسلام) كان بعد كلام جبرائيل عليه السلام؛ لأن كلام جبرائيل عليه السلام كان دليلاً على وجود فضل لـهذا الاجتماع، لوضوح أن تجمع المعنويات يوجب قوة وآثاراً تكوينية في المعنويات، بل وفي الماديات أيضاً، كما أن تجمع الماديات يوجب قوة وآثاراً في الماديات على ما سبق الإلماع إليه، فلا يقال: إن جلوس جماعة في مكان لا فضل لـه، كما أن مشي جماعة معاً لا فضل لـه، فما معنى سؤال علي (عليه الصلاة والسلام): «ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟».

هذا إضافةً إلى ما كان لـهذا الاجتماع من تعليم البشرية على مر العصور حقائق غيبية وكونية كبرى على ما سبقت الإشارة إليه، وسيأتي الحديث عنه

أيضاً.

مَا لِجُلُوسِنا هَذَا تَحتَ الكِساءِ مِنَ الفَضلِ عِندَ اللهِ؟.

اجتماع ذوي الفضل و ...

مسألة: يستحب اجتماع ذوي الفضل، والحضور في مجالسهم،والاستفادة من محضرهم، وهو مما تترتب عليه الفوائد والثمار.

ولذا قال علي عليه السلام: «يا رسول الله، أخبرني ما لجلوسنا هذا ... من الفضل عند الله؟».

ولا فرق بين أن يكون البعض أفضل من بعض، أو يكون لبعضهم فضل دون بعض، أو أن يكون للجميع فضل؛ فإنه إذا كان هناك إنسان عظيم واجتمع إليه الناس، ترشح إليهم من علومه أو معنوياته بحديثه بل بصمته أيضاً، وبهيئته وسمته وسلوكه، بل وبإشعاعاته أيضاً.

أما إذا كانوا كلهم عظماء ـ على درجات ـ فالترشح سيكون أكثر، والتجمع يسبب الفضل الأوفر..

واجتماع المتساويين في الفضل كذلك أيضاً، إذ البحث يقدح زناد الفكر، بل تجمعهم بحد ذاته يوجب قوة الروح والنفس أيضاً، وإطلاق «يد الله مع الجماعة»[٧٠٩] وملاكه أيضاً يدل على ذلك، كما يؤيده الاعتبار.

---

[٧٠٩] نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ ومن كلام له عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين.

الهدفية في الأعمال وقصد القربة

مسألة: ينبغي أن يقوم الإنسان بكافة أعمالـه بهدف الفضل والثواب والفائدة[٧١٠] وأن يتحرى عن ذلك، كما قال علي عليه السلام: «يا رسول الله، أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟».

فكل عمل وكل حركة وسكون للجوارح أو الجوانح يمكن أن تكون ذات فائدة أو ضرر بما هي هي، أو بالقصد[٧١١] وسائر العوارض، فإذا قام بالعمل لأجل الفضل والثواب والفائدة، وإذا تحرى عما يحقق ذلك ضمن سعادة الدنيا والآخرة، وإلاّ خسر نفسه وأضاع عمره، وضياعه خسارة لا تعوض إذ لا تعود للإنسان حتى ثانية من عمره الضائع، يقول الشيخ البهائي قدس سره[٧١٢]:

---

[٧١٠] قد يكون الفضل إشارة للقيمة الذاتية، والثواب للأجر الأخروي، والفائدة إشارة للمنفعة الدنيوية ـ راجع: (الفضيلة الإسلامية)، و(الفقه: الآداب والسنن) ـ.

[٧١١] المباح يتحول إلى مستحب بالقصد، فمثلاً شرب الماء وأكل الطعام بما هو هو مباح، وبقصد الاستعانة به على العبادة وقضاء الحوائج و... مندوب مثاب عليه.

[٧١٢] بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الجعبي المعروف بالشيخ البهائي، والحارثي نسبة إلى الحارث الـهمداني. ولد رحمه الله في بعلبك عام ٩٥٣هـ، ثم انتقل به والده وهو صغير إلى إيران فنشأ فيها. تتلمذ على يد والده وغيره في الفقه والأصول والعقائد والتفسير والنحو وغير ذلك من العلوم. بعدها ساح في البلدان ثلاثين عاماً، فسافر من أصفهان إلى الحجاز، ثم إلى مصر والقدس وحلب ثم رجع إلى أصفهان فشرع الكتابة والتأليف وانتهت إليه رئاسة المذهب. كان ماهراً في العلوم المختلفة بلا نظير، وقد اشتهر بعلم الرياضيات، كما تنسب إليه أشياء عجيبة في الـهندسة ما زالت آثارها باقيـة إلى الآن في العراق وإيران، ولـه شعر كثيـر جيـد ◄ ►بالعربية والفارسية. خلف آثاراً عديدة منها: (الحبل المتين في إحكام أحكام الدين)، (مشرق الشمسين وإكسير السعادتين)، (العروة الوثقى في تفسير القرآن)، (شرح الصحيفة السجادية)، (حاشية شرح العضدي على مختصر الأصول)، (الخلاصة في الحساب)، وغيرها. توفي رحمه الله

(العمر مضى وليس من بعدُ يعود).

ولذلك ولغيره ـ كالتعليم مثلاً ـ سأل علي عليه السلام عن فضل جلوسهم تحت الكساء.

وفيه تنبيه على لزوم إتيان الأعمال بهدف التقرب إلى الله، والتفكير في فضل عملـه عنده سبحانه، فإن للإنسان أن يعمل حتى الواجبات الجنسية وما أشبه قربةً إلى الله سبحانه، مما يوجب لـه الأجر والثواب، وإلى ذلك أشارت بعض الروايات.

وقد ورد في الحديث[٧١٣]: «إنه يفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربعة وعشرون خزانة ـ عدد ساعات الليل والنهار ـ فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً، فينالـه عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع على أهل النار لأدهشتهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربه.

ثم يفتح لـه خزانة أخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة، فينالـه عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربه.

ثم يفتح لـه خزانة أخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوؤه،

في خراسان في مشهد الإمام الرضا عليه السلام في شهر شوال سنة ١٠٣٠هـ، وقيل : ١٠٣١هـ، وقيل ١٠٣٥هـ، ودفن في بيته الذي هو الآن جزء من الحضرة الرضوية المقدسة.

[٧١٣] بحار الأنوار: ج٧ ص٢٦٢ ب١١ ح١٥.

وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فينالـه من الغبن والأسف على فواتها، حيث كان متمكناً من أن يملأها حسنات ما لا يوصف، إن هذا قولـه تعالى: [**ذلِكَ يومُ التغابنِ**][٧١٤]».

قال الشاعر:

أنفاس عمرك أثمان الجنان فلا تشري بها لهبا في الحشر تشتعل

أليس من الخسارة أن يخسر الإنسان نفسه ودنياه بالحرام؟!

قال تعالى: [**إِن الخاسِرِينَ الذِينَ خسِرُوا أنفسهم وأهلِيهِم**][٧١٥].

أليس من الخسارة أن يقضي الإنسان حياته فيما لا يدرّ عليه أرباحاً وجناناً عرضها السماوات والأرض؟ ومَثَلـه كمن يحرق أوراقه النقدية وإن لم يصرفها في الحرام الضار؟!

وحيث كان جلوسهم عليهم السلام للـّه سبحانه كان لـه فضل.

وكذا يعلّمنا الإمام عليه السلام كيف نصرف أوقاتنا في مرضاة الله تعالى.

---

[٧١٤] سورة التغابن: ٩.

[٧١٥] سورة الزمر: ١٥، سورة الشورى: ٤٥.

أقسام الجلوس

مسألة: الجلوس في مكان والاجتماع فيه ينقسم إلى الأحكام الخمسة:

فمنه: واجب، للتعليم والتعلم الواجبين، وما أشبه ذلك، كالمرابطة في الثغر ونحوها.

ومنه: مستحب، في التعليم والتعلم المستحبين، ومنه جلوسهم تحت الكساء، ولا يبعد كونه أحد مصاديق الواجب التخييري.

ومنه: مكروه، كما إذا كان من مجالس الباطل لا إلى حد الحرمة.

ومنه: محرم، وهو ما إذا كان إلى حد المحرم، أو ما أشبه ذلك، لذا قال سبحانه: **[فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره]**[٧١٦].

ومنه: مباح، إذا لم يكن أياً من الأربعة.

---

[٧١٦] سورة النساء: ١٤٠.

فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ نَبِيّاً وَاصطَفاني بِالرِّسالَةِ نَجِيّاً،

التأكيد على حقانية أفعاله تعالى

مسألة: يستحب التأكيد على حقانية أفعال الله تعالى، ولذا قال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق»[٧١٧] مع أن بعث الله سبحانه لا يمكن أن يكون بالباطل.

كما أنه يرجّح ـ إلى حدّ المنع من الترك في صورة التوقف ـ القسم بالله سبحانه وتعالى في الأمور المهمة، ولذا قال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبياً».

ومن الواضح الفرق بين النبوة والرسالة؛ لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، وإن كان أحدهما يطلق على الآخر في كثير من الأحيان.

التأكيد على نبوة الرسول ﷺ

مسألة: يستحب التأكيد على نبوة الرسول ﷺ حيث قال ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً».

.....

[٧١٧] للباء معنى واحد وهو الإلصاق على ما يراه الإمام المؤلف قدس سره في (الأصول) كما هو رأي سيبويه، وكل المعاني الأخرى المذكورة لـه من المصاديق، قال ابن مالك:

بالباء استعن وعد عوض الصق ومثل مع وعن ومن بها انطق

ومن الواضح أن الاستحباب في محلـه، والوجوب في محلـه ـ في هذا وفي سابقه ـ حسب مقتضيات الأحوال والظروف والشرائط.

وقولـه ﷺ: «نجياً» دليل على النجوى التي كانت بين الله تعالى وبين الرسول ﷺ، فلم يكن الوحي بحيث تظهر للناس علاماته في كل الأوقات، وهذا يدل على رفعة مكانة الرسول ﷺ؛ لأن النجوى بين اثنين تدل على اختصاص أحدهما بالآخر، فهو كالتأكيد على قرب منزلة الرسول ﷺ من الله سبحانه وتعالى حتى اتخذه نجياً.

ولا يخفى أن تأكيد الرسول ﷺ في هاتين الجملتين إنما هو لسائر الناس، وأما علي عليه السلام وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) فهم يعرفون ذلك حق المعرفة، فلا حاجة إلى أصل الذكر والتذكير فضلاً عن التأكيد والقسم.

ذكر الخبر في المحافل

مسألة: يستحب ذكر هذا الخبر في المحافل والمجالس.

و(هذا) في قول النبي ﷺ: «خبرنا هذا» إشارة إلى مجموعة القضايا التي قصتها السيدة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) لجابر.

وفي مثل ذلك يجوز تذكير الضمير باعتبار الحادث وتأنيثه باعتبار القضية ونحوهما.

وهل يتحقق الاستحباب بغير حالة التلاوة الإنسانية المباشرة لـهذا الخبر، كالتسجيل الصوتي وسائر وسائل الإعلام؟.

لا يبعد ذلك؛ فإن انصراف «ذكر خبرنا» إلى قراءة وتلاوة الإنسان لـهذا الخبر بدوي، والظاهر اختلاف مراتب الثواب والاستحباب، ثم إن المهم ذكر هذا الخبر ولو كان بسبب جماد أو حيوان.

لكن هل يشمل الكتابة كما إذا كُتب الحديث وعُلق على الحائط، وكان هناك جمع من الشيعة ينظرون إليه أو دون النظر؟.

احتمالان، لا يبعد أن يكون لـه فضل، لكن خصوص هذا الفضل الظاهر أنه ليس لـه للانصراف عنه، بل لو أُطلق عليه كان مجازاً.

فالفضل من باب الملاك لا الإطلاق، ولعمومات تعظيم الشعائر وشبهها.

عمومية المراد بـ: (مَحفِلِ)

قد سبق بيان استحباب ذكر أخبار أهل البيت عليهم السلام في جميع المحافل وذلك للإطلاق في (محفل).

والظاهر أن أهل الأرض ـ المنصرف منه الساكنون فيها ـ من باب المصداق، فإن كان هنالك في الأنجم الأخر جماعة من أهل الأرض أو من سكانها، ثم ذكروا هذا الحديث كان لـهم هذا الفضل، وإنما ذكر أهل الأرض لوقوعه في الأرض يومئذ، وكونه محل الابتلاء عندها، ومن باب أظهر المصاديق عند المنقول إليهم.

أما وهل ذكره في محافل أهل السماء وشبهها ممن هم من قبيل الملائكة والولدان والحور لـه هذا الفضل أم لا؟.

لا يبعد ذلك أيضاً بالنسبة إلى القابل يعني: نزول الرحمة، أما شفاء المريض ونحو ذلك من الآثار المادية المترتبة على هذا الخبر فليس هنالك محل هذه الأمور كما لا يخفى مما يفهم من الروايات، فإن الملائكة والولدان والحور عادة لاتمرض أو تضعف، أما الحزن فقد يفهم وجوده لدى العليين مما ورد بالنسبة إلى الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) من حزن الحور عليه[٧١٨]، لكن لا يبعد أن يكون حزن الحور بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام استثناءً.

.....

[٧١٨] راجع بحار الأنوار: ج٩٨ ص٣٢٣ ب٢٤ ح٨، وفيه: «وأقيمت لك المأتم في أعلى عليين، ولطمت عليك الحور العين».

استحباب مطلق تلاوة هذا الحديث

مسألة: يستحب تلاوة حديث الكساء للعمومات ولقوله ﷺ: «ما ذكر خبرنا هذا»، سواء كان في محفل أم لم يكن. إذ الظاهر عدم الانحصار بالمحفل، بل يشمله ـ بملاكه ـ حتى إذا ما قرأ هذا الحديث فرد من الأفراد لوحده وذلك من باب تعدد المطلوب.

وإنما يستحب باعتبار الآثار، إذ منها يفهم استحباب المؤثر عرفاً.

ثم إن الظاهر من «ذكر خبرنا هذا» هو ذكره بهذا التفصيل، وإن كان لايبعد وجود الملاك في ذكره إجمالاً، وعلى الملاك فهو من باب المستحب في المستحب.

ولا يخفى أن الآثار الإيجابية لتلاوة حديث الكساء لا تختص بالإنسان، بل تشمل غيره كالجن، ولذا قال النبي ﷺ:

«في محفل من محافل أهل الأرض».

وخاصة مع الانتباه إلى ما دل على أن الإنس والجن يشتركان في التكاليف الإلهية والأحكام الشرعية، فالقرآن المشتمل على كل هذه الأحكام لهما [**إنا سمعنا قرآنا عجبا ۞ يهدي إلى الرشد فآمنا به**][٧١٩] إضافة للروايات الدالة على أنه ﷺ مرسل للجن والإنس، وغير ذلك.

.....

وقد ذكرنا في بعض كتبنا الفقهية[٧٢٠] مسألة الزواج مع الجن والطلاق والإرث وما أشبه ذلك.

---

[٧١٩] سورة الجن: ١ـ٢.

[٧٢٠] راجع كتاب (ألف مسألة، المسائل المتجددة)، و(الفقه: المسائل المتجددة)، و(الفقه: النكاح).

كما أن ما جرى من أمر الثعبان الذي سأل علياً (عليه الصلاة والسلام) وهو على منبر الكوفة[٧٢١] يؤيد ذلك، إلى غيرها من الأحداث والقصص المذكورة في الأحاديث. وعلى أي حال فهو خارج عن محل الابتلاء عادة.

أما ما ورد من تزويج ابني آدم بحورية وجنية فالظاهر أن المراد كونهما كذلك في الأصل، إذ قد كانتا من البشر في وقت الزواج من ابني آدم، نظير ما قال سبحانه: **[وَلَو جَعَلنَاهُ مَلَكا لَجَعَلنَاهُ رَجُلا وَلَلَبَسنَا عَلَيهِم مَا يَلبِسُونَ]**[٧٢٢].

فكونهما جنيةً وحوريةً من باب كون الإنسان طيناً وكون المَلَك نوراً وكون الجن ناراً، وليس المراد الفعلية وهذا لا ينافي أن يكون الإنسان قد خُلق من إنسان واحد وهو آدم عليه السلام كما في بعض الآيات، أو من إنسانين آدم وحواء عليهما السلام كما في بعض الآيات الأخرى؛ لأن المراد هي النشأة الأولى وإلاّ فعيسى عليه السلام خُلق من نفخ جبرائيل عليه السلام.

أما ما احتملـه بعض العامة من أن آدم زوّج ابنيه ببنتيه وأنه كان حلالاً في ذلك الوقت حراماً فيما بعد، فترده الروايات الواردة عن أئمتنا (عليهم الصلاة والسلام)[٧٢٣].

---

(٧٢١) راجع الكافي: ج١ ص٣٩٦ باب أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم ... ح٦.
(٧٢٢) سورة الأنعام: ٩.
(٧٢٣) راجع قصص الأنبياء للجزائري: ص٥٢ ب١ ف٤.

استحباب التجمع والمراد بالمحب

مسألة: يستحب تجمع الشيعة والمحبين لأهل البيت عليهم السلام.

قد يكون المراد ـ كما يظهر من بعض الروايات ـ من المحبين: الأعم من الشيعة وغيرهم ممن كانوا محبين لـهم (عليهم الصلاة والسلام) ولم يكونوا من شيعتهم، فيكون من باب عطف العام على الخاص.

وقد يكون المراد منهم غير الشيعة؛ لأن التأكيد خلاف الأصل فهو تأسيس كما أن الأصل في القيود كذلك.

وربما يكون الشيعي والمحب متساوقين[٧٢٤] فليس غير الشيعي بمحب حقيقة، ولا إشكال في أن المحب الذي ليس بشيعي إذا لم يكن معانداً يكون لـه بعض الأجر كما تدل على ذلك جملة من الروايات.

نعم، من ليس بمحب لا يكون شيعياً، إذ الشيعي ـ على وجه ـ عبارة عمن يطابق لسانه وجوارحه قلبه بالنسبة لـهم (عليهم الصلاة والسلام)[٧٢٥] ولو في الجملة.

والظاهر أن الشيعي يشمل الفاسق أيضاً، وإن كان العادل هو الشيعي الكامل؛ لأن ما ذكرناه هو مقتضى الإطلاق.

---

[٧٢٤] التساوق غير الترادف، إذ المتساوقان هما المتطابقان في المصداق وإن اختلف المفهوم، والمترادفان المتطابقان في المفهوم.

[٧٢٥] في الاعتقاد بإمامتهم عليهم السلام إضافة إلى محبتهم عليهم السلام، أما الإتباع العملي فهو سبب لإطلاق الشيعي بالمعنى الأخص عليه.

وما في بعض الروايات من أن الشيعي هو الكامل يراد به الشيعي بالمعنى الأخص، فمثلـهما مثل المؤمن والمسلم حيث إن المؤمن والمسلم يطلق تارة على من في القمة منهما، وتارة على الأعم والأعم هو المتبادر من إطلاقهما لا من في القمة فقط.

وقد يفرق بين المعنى اللغوي للشيعي[٧٢٦] وبين المعنى الاصطلاحي[٧٢٧] وعلى الأول فقد يقال بالشمول للأتباع في الجملة فلا يشمل الفاسق بقول مطلق.

أقسام التجمع وأنواعه

وقد تقدم إن تلك الآثار وهذا الأجر إذا كان في الجمع يكون ـ بدرجة أو بأخرى ـ في الفرد والاثنين أيضاً، إذ لا تفهم الخصوصية هنا إلاّ في مراتب الثواب، وإن كان ظاهر الجمع الخصوصية فيما إذا لم تكن قرينة، والقرينة الملاك وغيره.

واللفظ يشمل النساء والأطفال ولو بالقرينة وإلغاء الخصوصية.

نعم الظاهر أن تكون تلاوة حديث الكساء بما يُسمِع لا بما لا يسمع إلاّ إذا كان الحاضرون صماً، أو كانت هناك ضوضاء تمنع من السماع، والتفريق إنما هو بلحاظ المقتضي وعدمه وبلحاظ منصرف (الذكر)، والإطلاق ـ على تقدير ـ يشمل ما لو كان بعضهم شيعة وبعضهم محبين بأن يكون الجمع متشكلاً منهما.

---

[٧٢٦] شايع أي تابع لغة، فالشيعي هو المتبع.
[٧٢٧] المعتقد بالإمامة.

... وعبر الأجهزة الحديثة

وهل يشمل ذلك مثل إذا ما كان الجمع في أماكن متعددة يتصل بعضهم ببعض بواسطة بعض الأجهزة الحديثة كالـهاتف ونحوه؟[٧٢٨].

الظاهر ذلك، وقد ذكرنا نظيره في باب الطلاق وباب البيع ونحوهما[٧٢٩]، فإذا كان هناك شاهدان كل منهما في غرفة منفصلة وكان الذي يتولى إيقاع الطلاق في غرفة ثالثة، وتم اتصال بعضهم ببعض بواسطة الـهاتف ونحوه وطلّق بحيث استمع الشاهدان كان كافياً في تحقيق الطلاق.

وهكذا يكون الأمر فيما إذا كانوا في غرف متعددة أو أماكن متعددة، يسمع كلـهم الحديث بواسطة مكبرات الصوت ونحوها.

أنواع الذكر والتلاوة

مسألة: يستحب جمعُ جمعٍ من الشيعة لإقامة ذكر حديث الكساء، كما يجتمعون لزيارة عاشوراء ودعاء كميل و... فإن هذا هو المفهوم من الكلام؛ لأنه يفهم من المسبب السبب عرفاً.

فإن ذكر الفضل والخير دليل على محبوبية تلاوة هذا الحديث عند الله

---

[٧٢٨] هناك مؤتمرات تعقد حالياً بالصوت والصورة بين العلماء في أماكن متباعدة عبر أجهزة بث واستقبال موجودة في منطقة وغرفة كل منهم فيرى كل منهم الآخر ويستمع إليه، وهناك أجهزة أخرى مثل الـ: فيديو ـ فاكس تقوم بدور مماثل من وجه آخر.

[٧٢٩] لمزيد التفاصيل يراجع (الفقه: المسائل المتجددة) للإمام المؤلف قدس سره.

سبحانه، وجمع جمعٍ مقدمة لـه. والظاهر أن الذكر كاف وإن لم يفهموا معناه، كما إذا لم يعرفوا اللغة العربية، والانصراف ـ لو كان ـ فبدوي، نعم لا إشكال في اختلاف درجات الثواب.

وهل يشمل ذلك إذا ما قُرئ حديث الكساء بلغة أُخرى؟. لا يبعد ذلك لشمول قولـه (عليه الصلاة والسلام): «ما ذكر خبرنا هذا» بالنسبة إلى التفسير والترجمة بلغة أخرى، إذ هو هو لباً وجوهراً، نعم استثني من ذلك الصلاة وصيغة الإحرام وقراءة القرآن والدعاء المأثور، بمعنى أنه لا يكون تفسير وترجمة دعاء كميل كميلاً وإن كان موجباً للثواب، فتأمل[٧٣٠].

وهكذا الكلام في الأذكار، مثلاً: (سبحان الله) و(لا الله إلا الله) و(الحمد للـه) إذا ذُكرت بلغة أُخرى فلا دليل على حصول الأثر الذي رتب عليها في الروايات. مثلاً ورد: أن من قال: لا الله إلا الله كان لـه كذا من الثواب[٧٣١]، فإنه إذا ذكر هذا الذكر بلغة أخرى لم يكن لـه خصوص هذا الأثر وإن كان لـه أثر في الجملة؛ لأنه ذكر للـه سبحانه وتعالى فيشملـه قولـه سبحانه: **[اذكروا الله ذِكرا كثِيرا]**[٧٣٢]، وقولـه تعالى: **[فاذكرونِي أذكركم]**[٧٣٣] وما أشبه.

---

[٧٣٠] قد يكون إشارة إلى إن الاستثناء حكمي لا موضوعي وبالدليل الخارجي، أي أن استثناء الصلاة بمعنى عدم جريان حكمها ـ من الإجزاء والوجوب ونحوهما ـ على ما كانت بلغة أخرى، لا أن المراد عدم إطلاق لفظ الصلاة عليها موضوعاً، أو إلى أن إيجابه للثواب في الجملة أو كليهما.

[٧٣١] راجع ثواب الأعمال للصدوق:ص٢ ثواب من قال: لا الله إلا الله.

[٧٣٢] سورة الأحزاب: ٤١.

[٧٣٣] سورة البقرة: ١٥٢.

لماذا هذا الأجر العظيم؟

مسألة: يستحب أن يفعل الإنسان ما يوجب نزول الرحمة، وأن يقوم بما ينفع غيره، كما في اجتماع أهل الكساء عليهم السلام؛ فإن معرفته وذكره والحديث به وعنه من قبل الموالين سبب نزول الرحمة و...

والسر في هذا التأكيد وفي عظيم المثوبة التي قررها الله تعالى لـ (ذكر هذا الحديث الشريف) أنه تأكيد على القيادة التي بها تصلح الدنيا والآخرة، كما قال عليه السلام: «ولم يناد أحد بشيء كما نودي بالولاية»[٧٣٤]. فإن القيادة الصحيحة هي التي تصلح حال البشر وتقوده إلى السعادة الدنيوية والأُخروية، ومن المعلوم ضرورة التأكيد على مثل هذه القيادة وتوفير كافة وسائل دعمها وتركيزها، ولذا يؤكد عقلاء العالم على الشعار وعلى ذكر القائد والقيادة ـ فردية كانت أم جماعية ـ ليل نهار في وسائل إعلامهم ومحافلـهم.

وحيث إن قيادة هؤلاء الأطهار عليهم السلام جاءت من عند الله تعالى الذي بيده الدنيا والآخرة، فإن من يلتف حولـها يفيض عليه سبحانه الخير في الدنيا والآخرة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نزلت عليهم الرحمة، وحفّت بهم الملائكة، واستغفرت لـهم إلى أن يتفرَّقوا»[٧٣٥].

---

[٧٣٤] راجع بحار الأنوار: ج٦٥ ص٣٢٩ ب٢٧ ح١.

[٧٣٥] تحدث المؤلف دام عزه تفصيلاً عن قيادة الأئمة عليهم السلام وولايتهم في كتاب (الفقه: البيع) ج٤ فليراجع.

التمهيد لنزول الملائكة

مسألة: يستحب أن يقوم الإنسان بتمهيد ما يوجب نزول الملائكة وحفها به كالاستقامة ـ كما في الآية الآتية ـ وكما في ذكر هذا الحديث الشريف ونحو ذلك؛ لأن نزول ملائكة الرحمة وحفّهم بالإنسان يوجب الرحمة والمغفرة والشخصية الإلـهية، كما هو معلوم لـها أيضاً فهو معلول لمراتب من الرحمة وعلة لمراتب أُخرى.

ويؤيده قولـه سبحانه: [**إِن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة**][٧٣٦] حيث يفهم منه أن تنزل الملائكة أمر مطلوب مرغوب شرعاً.

وقال سبحانه: [**إِذ يوحي ربك إِلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا**][٧٣٧]، فإن الملائكة بما أنها مخلوقات خيرة، وللّـه طيِّعة، وهي وسائط نعم الله سبحانه في الجملة، فإنها تفيض الخير، في غير ملائكة العذاب.

كما أن الشياطين على العكس، فبما أنها شريرة فإنها تترشح بالشر، ولذا قال سبحانه: [**على من تنزل الشياطين ۞ تنزل على كل أفاك أثيم**][٧٣٨] فإن

.....

(٧٣٦) سورة فصلت: ٣٠.
(٧٣٧) سورة الأنفال:١٢.
(٧٣٨) سورة الشعراء: ٢٢١ـ٢٢٢.

الجنس مائل إلى جنسه، كما قال الشاعر[٧٣٩]:

(إن الطيور على أشكالـها تقع).

ويؤيد ما ذكرناه من الاستحباب ما ورد من قول جبرائيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنا معاشر الملائكة لا ندخل بيوتاً فيها تصاوير»[٧٤٠] وما أشبه ذلك، مما يشير إلى أن فيها نوعاً من منع الخير الحاصل بدخولـها[٧٤١].

نوعية تواجد الملائكة

ولا يخفى أن الملائكة مخلوقات قابلة للتواجد على الحيطان والأبواب وغيره، كما دلت على ذلك أدلة عديدة، وكما يرشد إليه أن ذلك هو مقتضى (الحف) فيما إذا كان المجلس قد امتلأ بالحاضرين امتلاءً كاملاً، وذلك هو المستفاد من الروايات مثل ما ورد من أن المائدة إذا وضعت حضرها الكثير من الملائكة[٧٤٢]. ومن الواضح أن إطلاقه يشمل حتى ما إذا كانت المائدة لا تسع إلاّ لثلاثة أشخاص بل حتى الواحد، فإن الملائكة كالنور لا تزاحم بينها، وعلى فرض تجردها فالأمر أوضح، وإنا وإن لم نعرف حقيقة الملائكة وخصوصياتها ومزاياهـا

.....

إلاّ أن ما ذكرناه هو المستفاد من جملة من الروايات.

---

[٧٣٩] عمر بن محمد ديب بن عرابي الأنسي (١٢٣٧-١٢٩٣هـ) وصدر البيت هو: (فقلت: أحسنت يا هذا مشاكلة).

[٧٤٠] راجع تهذيب الأحكام: ج٢ ص٣٧٧ ب١٧ ح١٠٢.

[٧٤١] راجع (شرح التجريد)، و(توضيح نهج البلاغة) للإمام المؤلف قدس سره.

[٧٤٢] راجع الكافي: ج٦ ص٢٩٢ باب التسمية والتحميد والدعاء على الطعام ح١

أما ما ورد من أن الرسول ﷺ كان يمشي على أصابعه في جنازة (سعد)[٧٤٣] فذلك لجلب انتباه الناس على نزول الملائكة ومشاركتها في تشييع الجنازة، وإن احتمل كونها قد تشكلت بشكل يقتضي ذلك.

وما ورد من أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به[٧٤٤]، يراد به الإشارة إلى تواضعها لـه، فهو من قبيل قولـه سبحانه: **[واخفِض لهما جناحَ الذل مِنَ الرحمة]**[٧٤٥] وإن احتمل البعض إرادة المعنى الظاهري، أي أنهم يفرشون أجنحتهم تحت رجلـه.

ومن المعلوم أن حفّ الملائكة نوع التكريم للحاضرين، كالشخصية التي يحف بها عبيدها وحفدتها وخدمها ومن أشبههم.

... وعددهم

وأما عدد الملائكة فهم كما قال الشاعر[٧٤٦]:

(عدد الرمل والحصى والتراب)

.....

وقال علي عليه السلام: «فملأهن أطواراً من ملائكته»[٧٤٧]..

---

[٧٤٣] راجع بحار الأنوار: ج٦ ص٢٢٠ ب٨ ح١٤.
[٧٤٤] راجع الكافي: ج١ ص٣٤ باب ثواب العالم والمتعلم ح١.
[٧٤٥] سورة الإسراء: ٢٤.
[٧٤٦] عمر بن أبي ربيعة (٢٣-٩٣هـ)، وصدر البيت هو: (ثُمَّ قالوا: تُحِبُّها؟ قُلتُ: بَهراً).
[٧٤٧] نهج البلاغة، الخطب: ١ ومن خطبة لـه عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم.

ولا عجب فإن الإنسان إذا نظر إلى بستان من الأشجار لرأى فيها ملايين الأوراق والأغصان وما أشبه، أليس كل ذلك من صنع عليم حكيم قدير؟.

فإن من يخلق بمجرد الإرادة حتى أن لفظة (كن) إنما هي من باب المثال أو الإشارة إلى السرعة والسهولة ومطلق القدرة، لا مانع من أن يخلق ملايين الأكوان والعوالم، فكيف بأفواج الملائكة بلفظ (كن) أو دونه، فحيثما قرأ حديث الكساء ولو في ملايين الأماكن في ساعة واحدة حفت بكل مجلس الملائكة.

استحباب الاستغفار للآخرين

مسألة: يستحب الاستغفار للآخرين.

وفي الحديث: إن الإنسان لو دعا لأخيه بظهر الغيب، قالت لـه الملائكة: ولك ضعف ذلك[٧٤٨]، ومن المعلوم أن الاستغفار دعاء في حق الغير بغفران ذنبه وستر عيبه.

ولا يخفى أن هناك فرقاً بين الاستغفار والتوبة، فإن الغفران ستر، والاستغفار طلب للستر، والتوبة رجوع، ولذا ورد في الأحاديث: الاستغفار إلى جانب التوبة في عبارتين، مثل: (أستغفر الله) و (أتوب إلى الله) أو في عبارة واحدة مثل: (أستغفر الله وأتوب إليه)[٧٤٩].

الاستغفار

مسألة: يستحب الاستغفار مطلقاً وقد يجب، ولقد كان من لطفه تعالى وعموم فضلـه ورحمته أن جعل (الاستغفار) سبباً لمحو الذنوب والعودة إلى الله فوراً..

---

[٧٤٨] راجع الكافي: ج٢ ص٥٠٧ باب الدعاء للإخوان بظهر الغيب ح٤.
[٧٤٩] راجع وسائل الشيعة: ج٧ ص١٧٩-١٨٠ ب٢٥ ح٩٠٥٩.

بل إن للاستغفار أثر وضعي في هذه الدنيا أيضاً:

[فقلت استغفِروا ربكم إنه كان غفارا ۞ يرسلِ السماءَ عليكم مدِرارا ويمددكم بأموالٍ وبنِين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهارا][٧٥٠].

التسبيب للاستغفار

مسألة: يستحب التسبيب لاستغفار الملائكة بل مطلق الغير للإنسان، بأن يقوم بما يوجب ذلك، فإنه مستفاد عرفاً من هذه الجملة وإن لم تكن بالدلالات الثلاث المنطقية؛ لأن الدلالة لا تنحصر فيها، وقد تقدم الإلماع إلى أنه بدلالة الاقتضاء العرفي[٧٥١] لا الاصطلاحي.

هل الجزاء على السعي أم لا؟

وحيث إن التواجد والحضور[٧٥٢] من فعل الإنسان وسعيه فلا يستشكل على استغفار الملائكة لـه لأجلـه.

فلا يقال:إنه مناف لقولـه سبحانه: **[أن ليس للإنسانِ إلا ما سعى]**[٧٥٣]،

---

[٧٥٠] سورة نوح: ١٠-١٢

[٧٥١] ترتيب «واستغفرت لـهم الملائكة» على «ما ذكر خبرنا» معلول رجحان استغفار الملائكة وإرادة الله للمثوبة، والتسبيب مقدمة لـهذا الراجح.

[٧٥٢] المستفاد من: «وفيه جمع من شيعتنا».

[٧٥٣] سورة النجم: ٣٩.

أو قولـه تعالى: [**كل امرِئٍ بِما كسب رهِين**][٧٥٤] وما أشبه ذلك؟.

لا يقال: هذا تمام في من حضر اختياراً، فلا يتم في الذين حضروا اضطراراً، كما إذا كانوا في السجن وأحدهم قرأ حديث الكساء دون طلب من الحاضرين، بل ومع عدم رغبة منهم لاشتغالـهم بدراسة أو مطالعة أو ما أشبه ذلك.

لأنه يقال: ذلك يفهم بالملاك أو بالإطلاق، وحينئذ يكون الجواب عن الآية ما سيأتي من أحد الوجهين.

نعم، إذا كرِهَ الذكر فالظاهر أن الفائدة لا تشملـه وإن احتمل كون بعضها كالأثر الوضعي، بخلاف النائم والصبي والمغمى عليه وما أشبه.

وقد ذكرنا في بعض مباحث (الفقه): إن أمثال ذلك استثناء من الآيتين بالدليل الخاص تفضلاً منه تعالى، أو يقال: إن هذه الآثار الخيرية إنما هي ببركة أولئك الأطهار عليهم السلام، فهو امتداد لسعيهم عليهم السلام وذلك كما أن الإرث فائدة تتوجه للإنسان بسبب القرابة وإن لم يكن من سعي نفس الوارث، وهناك أجوبة أخرى ذكرناها في محلـها[٧٥٥].

---

[٧٥٤] سورة الطور: ٢١.

[٧٥٥] تحدث الإمام المؤلف قدس سره بالتفصيل حول الآية المباركة [**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**] ـ سورة النجم: ٣٩ ـ في (الفقه: الاقتصاد) وغيره.

استحباب اللبث في مجالس الخير

مسألة: يستحب البقاء في مجالس الخير واستدامة الجلوس فيها، فمجلس القراءة الحسينية ومجالس العلم والمصلى يستحب استمرار الجلوس فيه ولو بعد انتهاء القراءة والدرس والصلاة في الجملة.

فإن في ذلك تذكيراً أكثر بذلك الخير، وربطاً للمرء به أكثر فأكثر في مختلف شؤون حياته.

كما أن قولـه (عليه الصلاة والسلام): «إلى أن يتفرقوا» يرشد إلى ذلك مع لحاظ عدم الخصوصية في المورد من حيث أصل المثوبة وإن كان لـه خصوصية من حيث الخصوصية.

ومن المعلوم ـ كما أشرنا سابقاً ـ استحباب فعل الإنسان ما يوجب جلب الخير إلى نفسه من الرحمة والبركة واستغفار الملائكة وما أشبه ذلك.

ويجري هنا الكلام السابق فيمن كان كارهاً للبقاء أو مضطراً أو فاقداً للوعي أو الصحوة كالمجنون والمغمى عليه والطفل وما أشبه ذلك؛ لأن كلا البحثين بملاك واحد.

ولا يخفى أن التفرق هنا ليس كالتفرق في باب خيار المجلس حيث يوجب زوال الأثر هناك.

بل ظاهر المقام أنه بخلاف خيار المجلس، حيث إن مشي خطوات وشبهه يوجب سقوطه[٧٥٦]، فليس البابان بملاك واحد حتى يكون كلاهما في حكم واحد من هذه الجهة.

والظاهر أن «ما ذكر خبرنا... » يشمل ما إذا كانت مكبرات الصوت تبث حديث الكساء وهو يسير في الشارع ويسمعه..

أما إذا كان في السيارة أو الطائرة أو القطار وأحدهم يقرأ الحديث فلا إشكال في شمول «وفيه جمع... » لـه.

[٧٥٦] راجع (الفقه: الخيارات) للمؤلف دام ظله.

الحلف على عظائم الأمور

مسألة: يجوز الحلف على الأمور العظيمة[٧٥٧]، والجواز هنا بالمعنى الأعم ـ والمراد هنا [٧٥٨] الوجوب أو الاستحباب ـ وقولـه (عليه الصلاة والسلام): «إذاً» بمعنى أنه حيث كان الأمر كذلك تحقق الفوز. فإن أمثال هذا القسم، مستثناة من كراهة الحلف بالله سبحانه وتعالى كما قال: **[ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانِكم أن تبرّوا وتتقوا وتصلِحوا بين الناسِ]**[٧٥٩]، وكما قال الإمام زين العابدين (عليه الصلاة والسلام): «إني كرهت أن أحلف بالله»[٧٦٠] في قصة مهر زوجته[٧٦١].

التجاوب مع العظيم

مسألة: يرجح التجاوب مع العظيم إذا تحدث وتكلم، كما صنع علي عليه السلام بقولـه: «إذاً والله فزنا»، من غير فرق بين أن يكون التجاوب بالكلام أو بالإشارة، كأن يشير برأسه ذلك؛ لأن التجاوب هو نوع احترام.

---

[٧٥٧] وقد سبق الإشارة إليه.
[٧٥٨] أي في هذا الحديث.
[٧٥٩] سورة البقرة: ٢٢٤.
[٧٦٠] راجع الكافي: ج٧ ص٤٣٥ باب كراهية اليمين ح٥.
[٧٦١] حول الحلف والقسم ومختلف بحوثه يراجع كتاب (الفقه: العهد واليمين) للمؤلف قدس سره.

رجحان مدح النفس!

مسألة: يستحب مدح الإنسان نفسه وسرد فضائلـه وذكر مناقبه إذا كان في مقام التعليم أو دفع تهمة أو إحقاق حق، وقد يجب ذلك.

وهذا لا ينافي ما ورد عنه (عليه الصلاة والسلام) من أن تزكية المرء نفسه قبيح[٧٦٢]؛ لأن القبح بلحاظ العنوان الأولي، فإذا طرأ عليه عنوان مُحَسِّن صار مستحباً، بل قد يجب المدح فيما إذا توقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الدعوة إلى الواجب عليه، ولذا كان الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) يعرفون أنفسهم بما هو مدح لـها.

نعم، إنما يستحب مدح الإنسان نفسه إذا كان مدحاً صادقاً، أما المدح الكاذب فهو داخل في إطلاقات أدلة الكذب. ومما ذكر في باب مدح الإنسان نفسه يعلم الحكم في عكسه من ذم الإنسان نفسه في كونه مستحباً أو محرماً أو واجباً أو غير ذلك.

معنى فوز أولياء الله وانتصارهم

ثم إن قول علي (عليه الصلاة والسلام): «فزنا» إنما كان لأجل ما ذكره جبرائيل عليه السلام من مدحهم عليهم السلام عن لسان الله سبحانه وتعالى:

.....

[٧٦٢] نهج البلاغة، الرسائل: ٢٨ ومن كتاب لـه عليه السلام إلى معاوية جواباً. حول مدح النفس راجع: (الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف قدس سره.

[إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا][٧٦٣]، فإن كونهم عليهم السلام ممدوحين لله تعالى ومطهّرين بأمره وإرادته يوجب الفوز في الدنيا والسعادة في الآخرة. ومن المعلوم أن فوز الدنيا ليس خاصاً بالمأكل والمشرب والمسكن وما أشبه ذلك من الأمور المادية بل ذلك الفوز الأدنى، فإن الإنسان الهدفي إذا كان يسعى من أجل تحقيق هدفه يكون فائزاً ولو حرم من كل الملذات المادية، فالإمام الحسين عليه السلام فائز وهو قتيل ومجروح من رأسه إلى قدمه، ولهذا قال الراوي: «ما رأيت مكثوراً قط قد قُتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً وأقوى جناناً منه عليه الصلاة والسلام»[٧٦٤] فهو عليه السلام الفائز والمنتصر وهو صريع سليب على أرض المقتل؛ لأنه عليه السلام كان يعلم أنه بعين الله وفي سبيل الله سبحانه وتعالى مؤتمراً بأمره، وهذا هو الانتصار الحقيقي.

أليس (الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء)؟.

ولذا قال سبحانه: [إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد][٧٦٥]، فإن ميزان الانتصار والانكسار ليس بغلبة الجيش أو انهزامه أمام جيش العدو، بل إن ميزان انتصار الصالحين هو انتصار مبادئهم وانتصارهم على أنفسهم وانتصارهم في امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى.

وهذا بحث كلامي ذكرناه هنا إلماعاً لا استيعاباً.

---

[٧٦٣] سورة الأحزاب: ٣٣.
[٧٦٤] روضة الواعظين: ج١ ص١٨٩ مجلس في ذكر مقتل الحسين عليه السلام.
[٧٦٥] سورة غافر: ٥١.

التمسك بمذهب آل البيت عليهم السلام

مسألة: يجب التمسك بمذهب شيعة آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم هم الفائزون[٧٦٦]، وإنما فازت الشيعة لأنهم التفوا حول القيادة الإلـهية الصحيحة التي عيّنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأمره تعالى والتي لـها المكانة الرفيعة في الدنيا وفي الآخرة.

ومن المعلوم أن قائد الإنسان إذا كان على صراط مستقيم يكون متبعه فائزاً أيضاً.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره جبرائيل (عليه الصلاة والسلام) من: تنزل الرحمة عليهم، وأن الملائكة تحفُّ بهم وتستغفر لـهم، فإن هذا من أعظم الفوز.

بشارة الغير وإدخال السرور

مسألة: يستحب بشارة الآخرين خاصة بشارة شيعة أهل البيت عليهم السلام بالفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، وذلك من باب المصداق وإلاّ فهذا الكلي

[٧٦٦] راجع (القول السديد في شرح التجريد) للإمام المؤلف قدس سره، و(إحقاق الحق) للتستري رحمه الله، و(الغدير) للأميني رحمه الله، و(العبقات) لصاحب العبقات قدس سره، وغيرها.

صادق في كل إنسان يبشر بشارة سارة شرط عدم معارضتها للشريعة.

.....

بل يمكن أن يقال: بأن إدخال السرور حتى على قلب الكافر مستحب[٧٦٧] إلاّ في مورد قوله سبحانه: [وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً][٧٦٨]، وذلك لقوله ﷺ: «لكل كبد حرى أجر»[٧٦٩].

ولقوله (عليه الصلاة والسلام): «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[٧٧٠].

ولما نقرؤه في سيرتهم العطرة عليهم السلام من تفريجهم كرب الكفار والمنافقين، كما لم يمنع الرسول ﷺ الماء عن أهل خيبر[٧٧١]، وفسح الإمام علي عليه السلام المجال أمام جيش معاوية الذي جاء لحربه للتزود من ماء الفرات[٧٧٢]، ومن المعلوم أن الحرب مع الإمام علي عليه السلام حرب مع الرسول ﷺ[٧٧٣]، كما قال ﷺ: «يا علي حربك حربي»[٧٧٤].

---

[٧٦٧] راجع (الفقه: الواجبات والمحرمات)، و(الفقه: الآداب والسنن) للإمام المؤلف قدس سره.

[٧٦٨] سورة التوبة: ١٢٣.

[٧٦٩] جامع الأخبار: ص١٣٩ ف٩٩.

[٧٧٠] نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

[٧٧١] راجع بحار الأنوار: ج٢١ ص٣٠-٣١ ب٢٢ ح٣٢.

[٧٧٢] راجع وقعة صفين: ص١٦١ استيلاء أهل العراق على الماء ثم سماحهم به لأهل الشام.

[٧٧٣] راجع الأمالي للطوسي: ص٣٦٤ المجلس١٣ ح٧٦٣، والأمالي: ص٤٨٦ المجلس١٧ ح١٠٦٣.

[٧٧٤] وقد نظمه السيد الطباطبائي في قصيدته حيث قال:

لقوله حربك حربي واشتهر من الفريقين رواية الخبر

وكذلك أمر الحسين عليه السلام أصحابه بسقي الحر وأصحابه في الطريق[٧٧٥].

وفي سيرة الأئمة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) يشاهد ذلك بوفور وكثرة..

كما أن الإمام الهادي (عليه الصلاة والسلام) عالج المتوكل حتى برأ من مرضه[٧٧٦]، وهكذا مما هو كثير.

وقد يكون السبب في بعض تلك الموارد عناوين أخرى طارئة: كإلقاء الحجة على الخصم وإتمامها، وهداية الضال وإرشاد الجاهل، وشبه ذلك..

ولا مانعة من الجمع[٧٧٧].

الثواب والعقاب بسبب الآخرين

مسألة: يستحب بيان مدى مدخلية أهل البيت عليهم السلام في سعادة الإنسان فيما إذا اتبع منهجهم، بل هم عليهم السلام محور السعادة ومدارها، حيث إن الله تعالى لأجلهم قرر هذه النعمة العظمى.

فإن الإنعام على إنسان من أجل إنسان آخر دليل على عظمة ذلك المعطى من أجل النعمة[٧٧٨]..

---

[٧٧٥] راجع بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٧٦ ب٣٧.
[٧٧٦] راجع الكافي: ج١ ص٤٩٩ مولد أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام ح٤.
[٧٧٧] سيأتي في بحث (استحباب قضاء الحاجة) تتمة مفيدة لهذا البحث.
[٧٧٨] لأجل عين ألف عين تكرم.

(بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء)[٧٧٩].

أما في عكسه وهو العقاب، فلا يعاقب أحد بذنب إنسان آخر، فقد قال سبحانه: **[ولا تزر وازرة وزر أخرى]**[٧٨٠].

وقد ذكرنا في بعض الكتب الفقهية: إن المراد بهذه الآية العقوبات الأخروية كلـها، ومن العقوبات الدنيوية ما كان أمثال الحدود والقصاص وما أشبه، دون بعض الأمور الكونية الأخرى مثل ما ذكره سبحانه: **[واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة]**[٧٨١] مما لـه أثر وضعي، وكذا في بعض الأموال مثل ما على العاقلة، إذ ذلك داخل تحت قانون كوني وشرعي، فإن اطراد قوانين الكون يقتضي العموم، وكذا كونها دار امتحان واختبار، كما أن التكافل الاجتماعي يقتضي أن تكون الدية على العاقلة، وهذا ما يقوم به كافة عقلاء العالم إلى اليوم، حيث يأخذون المال من الأغنياء بعنوان أو آخر ويصرفونه على الفقراء من ناحية، ويشركون جماعة في نتيجة لأجل غرض أهم وهدف أسمى، كما في كون «عمد الصبي خطأ تحملـه العاقلة»[٧٨٢].

---

[٧٧٩] مفاتيح الجنان: ص٦٣ ب١ ف٦ دعاء العديلة.
[٧٨٠] سورة الأنعام: ١٦٤، سورة الإسراء: ١٥، سورة فاطر: ١٨، سورة الزمر: ٧.
[٧٨١] سورة الأنفال: ٢٥.
[٧٨٢] راجع حول هذا المبحث: (الفقه: الديات)، و(الفقه:القانون).

وَرَبِّ الكَعبَةِ.

القسم بالله وبمخلوقاته

مسألة: يجوز القسم بأسماء الله تعالى وصفاته، مثل: رب الكعبة، وإله الكون، وخالق السماوات، إلى غير ذلك، وينعقد الحلف به بحيث يوجب حنثه الكفارة.

أما الحلف بغير الله سبحانه كالأنبياء والأئمة عليهم السلام والآيات الكونية فالظاهر جوازه، لكن لا ينعقد بهم الحلف، مثل:

قوله سبحانه: **[لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون]**[٧٨٣].

وقوله تعالى: **[والضحى ۞ والليل إذا سجى]**[٧٨٤].

وقوله سبحانه: **[ونفسٍ وما سواها]**[٧٨٥]، فهو جائز تكليفاً غير منعقد وضعاً.

أما ما ورد في الحديث: «من كان حالفاً فليحلف بالله»[٧٨٦]، فالمراد: الحلف الجامع للشرائط ذو الأثر الوضعي، ولا دليل على تحريم ما عداه.

---

[٧٨٣] سورة الحجر: ٧٢.
[٧٨٤] سورة الضحى: ١-٢.
[٧٨٥] سورة الشمس: ٧.
[٧٨٦] مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٦٤ ب٢٤ ح١٩١٦٣.

وسيرة المتشرعة ـ قديماً وحديثاً ـ بالإضافة إلى دليل البراءة وغيرهما، تدل على الجواز.

ووجه قسمه عليه السلام برب الكعبة، كونها موضع عناية الله تعالى، فإنه سبحانه كما خلق الأشياء حسناً وأحسنَ، كذلك جعل بعض الأزمنة والأمكنة محطة ومورداً لعنايته، وذلك مثل الكعبة والمساجد، ومثل يوم الجمعة والأعياد الإسلامية وما أشبه.

كما أنه تعالى جعل بعض الأماكن محطة أمان، وبعض الأزمنة كذلك، وذلك كمكة المكرمة كما قال الله تعالى: **[ومَن دخله كان آمِنا]**[٧٨٧] والأشهر الأربعة الحرم.

---

[٧٨٧] سورة آل عمران: ٩٧.

فَقالَ أَبي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: يَا عَلِيُّ،

توجيه الكلام للمَشاكل

مسألة: يرجح توجيه العظيم كلامه إلى من يقاربه في العظيمة ويشابهه مع وجود غيره.

ولذا نرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجّه كلامه إلى علي عليه السلام فقال: «يا علي»، ولم يقل: (يا فاطمة، أو يا حسن، أو يا حسين عليهم السلام).

فلا يقال: إن فاطمة عليها السلام كعلي عليه السلام في العظمة، كما يدل على ذلك بعض الأحاديث التي ذكرها السيد البحراني قدس سره[٧٨٨] في (معالم الزلفى)،

---

[٧٨٨] السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد بن علي بن سليمان ابن السيد ناصر الحسيني البحراني التوبلي الكتكاني، كان رحمه الله من أولاد السيد المرتضى علم الهدى (رضوان الله عليه). ولد رحمه الله في كتكان من توابع بلدة توبلي من أعمال البحرين في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري القمري، رحل إلى النجف الاشرف وأقام فيها مدة من الزمن طلباً للعلم. انتهت إلى السيد رحمه الله رئاسة البلد بعد الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحراني الماحوزي، فقام بالقضاء في البلاد وتولى الأمور الحسبية وقام بذلك أحسن قيام، وقمع أيدي الظلمة والحكام، ونشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالغ في ذلك وأكثر ، ولم تأخذه لومة لائم في الدين، وكان من الأتقياء المتورعين، شديداً على الملوك والسلاطين. صنف رحمه الله كتباً عديدة تشهد بعمق تتبعه وسعة اطلاعه تبلغ خمسة وسبعين مؤلفاً بين صغير ووسيط وكبير، منها: إثبات الوصية، احتجاج المخالفين على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، الانصاف في النص على الأئمة الأشراف من آل عبد مناف، إيضاح المسترشدين في بيان تراجم الراجعين إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وقد يعبر عنه بـ (هداية المستبصرين)، البرهان في تفسير القرآن، ◀ ▶البهجة المرضية في إثبات الخلافة والوصية، بهجة النظر في إثبات الوصاية والإمامة للأئمة الاثني عشر، تبصرة الولي فيمن رأي المهدي عليه السلام في زمان أبيه عليه السلام وفي أيام الغيبة الصغرى والكبرى، التحفة البهية في إثبات الوصية لعلي عليه السلام، ترتيب التهذيب، وغيرها. توفي رحمه الله سنة (١١٠٧) أو

فـــــإن

.....

الترتيب ـ حسب ما يستفاد من بعض الأحاديث ـ:

الرسول صلى الله عليه وآله أولاً في الفضيلة، ثم علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام معاً، ثم الحسن عليه السلام، ثم الحسين عليه السلام، ثم القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ثم من بعد الأئمة الثمانية عليهم السلام قبلـه عليه السلام، وهذا باعتبار سمو الجوهر في مختلف مجالات الارتفاع.

لا يقال: كيف يكون القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أفضل من أبيه عليه السلام مع أن أباه كان إماماً عليه مدة؟.

لأنه يقال: الأمر تابع لجعل الله سبحانه وتعالى، والجعل كما ذكرناه حسب دلالة بعض الروايات، ويوضحه قضية موسى عليه السلام ـ وهو من أولي العزم ـ والخضر عليه السلام ، فتأمل.

ومن المحتمل أن يكون الخطاب لعلي (عليه الصلاة والسلام) نظراً لأنه كان هو الذي قام بطرح السؤال أولاً، فأراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يجيب على سؤالـه مرة ثانية.

(١١٠٩) من الـهجرة في قرية نعيم، ونقل جثمانه الشريف إلى قرية توبلي، ودفن في مقبرة ماتيني من مساجد القرية المشهورة، وقبره مزار معروف.

فسح مجال الحديث للأكبر أو الأعظم

مسألة: ينبغي ترك زمام الحديث للأكبر أو الأعظم مع وجوده، ولذا نرى أن الزهراء والحسنين عليهما السلام لم يسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما سأله علي عليه السلام.

والزهراء عليها السلام وإن كانت عِدل علي عليه السلام في العظمة ـ لما سبق من الروايات، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما كان لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه»[٧٨٩] ولغير ذلك ـ إلاّ أن علياً (عليه الصلاة والسلام) حيث كان إماماً على الزهراء عليها السلام اقتضى الأمر أن يكون هو المتكلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الحسنان عليهما السلام فهما في الرتبة بعدهما عليهما السلام، لذا قال الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام):

فأبي شمس وأمي قمر فأنا الكوكب وابن القمرين[٧٩٠]

وقال عليه السلام: «أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني»[٧٩١]

هذا بالإضافة إلى الاحتمال الأخير المذكور أنفاً.

---

[٧٨٩] راجع تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٧٠ ب٤١ ح٩٠.
[٧٩٠] بحار الأنوار: ج٤٥ ص٤٨ ب٣٧.
[٧٩١] بحار الأنوار: ج٤٥ ص٣ ب٣٧ ضمن ح٢.

وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ نَبِيّاً وَاصطَفاني بِالرِّسالَةِ نَجِيّاً،

ما ذُكِرَ خَبَرُنا هذا في مَحفِلٍ مِن مَحافِلِ أَهلِ الأَرضِ وَفِيهِ جَمعٌ مِن شِيعَتِنا وَمُحِبّينا

التأكيد في البحوث العائقدية

مسألة: يستحب التكرار والتأكيد في البحوث العقائدية ومطلق المطالب الـهامة[٧٩٢]، كما أكد النبي ﷺ ها هنا قائلاً لمرة ثانية: «والذي... ».

والتأكيد يكون للإبلاغ وتركيز الموضوع في الذهن أكثر فأكثر، وإتماماً للحجة، وقطعاً للعذر.

دور التكرار في الأمور الغيبية

وكما أنه ينبغي سقي الأشجار كل يوم حتى تثمر بعد حين، كذلك يلزم التكرار في الإرشاد والتوجيه والـهداية، حتى يثمر خيراً في النفس أو في البدن لنفسه أو للغير.

ولذا كرّر في القرآن الحكيم: **[فبأيّ آلاء ربكما تكذبان]**[٧٩٣] وشبهه.

ولذا كان التوجيه نحو تكرار الدعاء الكذائي أو الذكر المعين حتى تتحقق

---

[٧٩٢] وقد سبق الإشارة إليه.

[٧٩٣] وردت هذه الآية المباركة ٣١ مرة في سورة الرحمن ابتداءً من الآية ١٣ وحتى الآية ٧٧.

النتيجة المطلوبة، كما ورد في الروايات.

وفي حالة عدم إمكان التكرار أو صعوبته أو ما أشبه ذلك فالظاهر الاكتفاء بالممكن ولو لمرة وستتحقق كل الآثار أحياناً وبعضها أحياناً أخرى.

فقد ورد: «أن نوحاً عليه السلام لما خاف على السفينة من الغرق أمره الله سبحانه أن يقول: (لا الله إلا الله) ألف مرة، ولما أشرفت السفينة على الغرق ورأى أن الوقت لا يسع لتكرار الألف، علّمه الله سبحانه أن يقول: لا الله إلا الله ألف مرة»[٧٩٤]، [٧٩٥].

وورد في حديث في باب زيارة عاشوراء، أن يقرأ الإنسان اللعن والسلام مرة واحدة، ثم يقول بعد كل منهما: (مائة مرة)[٧٩٦].

ومنها ـ ملاكاً وإلغاءً للخصوصية ولإرشاد العقل لذلك ـ يفهم العموم.

وقد ورد في الحديث: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربما كرّر الكلام للسائل ونحوه ثلاث مرات[٧٩٧].

وفي حديث أن فاطمة عليها السلام كررت الإجابة على سؤال السائل إلى عشر مرات[٧٩٨].

---

[٧٩٤] أي يقول مرة واحدة (لا إله إلاّ الله) ثم يعقبها بقوله (ألف مرة).
[٧٩٥] راجع بحار الأنوار: ج٩٢ ص١٦٧-١٦٨ ب١٠٥ ضمن ح٢٢.
[٧٩٦] راجع البلد الأمين: ص٢٧١ المحرم.
[٧٩٧] راجع بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٤ في الرفق بأمته.
[٧٩٨] راجع مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣١٧-٣١٨ ب١١ ح٢١٤٦٠.

وقال ابن سينا [٧٩٩]:

طالعت الكتاب الفلاني أربعين مرة حتى فهمته[٨٠٠].

---

[٧٩٩] أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، المشهور بـ)ابن سينا) ويعرف بـ (الشيخ الرئيس). كان أبوه من الشيعة الإسماعيلية ومن أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى، فتزوج هناك فولد لـه أبو علي في أفشنه من قرى بخارى عام ٣٦٩ هـ. وكان أبوه والياً على سامان، فتعهده بالتربية والتعليم، فحفظ القرآن الكريم وهو دون العشر. اتجه نحو الفلسفة فرعاه الفيلسوف أبو عبد الله الناتلي فدرسه المنطق. ثم مال إلى الطب فأخذه عن عيسى بن يحيى، فأصبح طبيباً حاذقاً وهو في سن السادسة عشر، يقول أبو علي عن نفسه: (في هذه المدة ـ مدة اشتغالـه بالدرس ـ ما نمت ليلة واحدة بطولـها، ولا اشتغلت النهار بغيره). كان في المشاكل العلمية ومعضلات المسائل يصلي ويبتهل إلى الله حتى يفتح لـه المنغلق وييسر لـه المتعسر. ثم تعمق بالعلوم الشرعية والـهندسية، يقول: كنت أرجع بالليل إلى داري، وأضع السراج بين يدي، واشتغل بالقراءة والكتابة، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها، حتى إن كثيراً من المسائل أتضح لي وجوهها في المنام، ويقول أيضاً: فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلـها، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ولكنه اليوم معي أنضج، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء. برع ابن سينا في الشعر أيضاً ولـه قصيدة في (النفس) مشهورة. تجاوزت مصنفاته المائة، ومن أشهرها كتاب القانون في الطب، وقد نقل إلى اللغة اللاتينية، والشفاء، والنجاة، والإشارات والتنبيهات، والحدود في الفلسفة والمنطق. توفي في همدان عام ٤٢٨ هـ.

[٨٠٠] راجع سير أعلام النبلاء للذهبي: ج١٧ ص٥٣٢ ترجمة ابن سينا تحت رقم ٣٥٦.

تجمع المهمومين لأجل الدعاء

مسألة: يستحب تجمع المهمومين والمغمومين وأصحاب الحوائج لأجل الدعاء، وإطلاق «يد الله مع الجماعة»[٨٠١] يشمله، ولا وجه للانصراف.

وهو أقرب لانكسار القلب وأدعى للإجابة، ولذلك لما دعا أصحاب يونس عليهم السلام وتضرعوا وهم مجتمعين استجاب الله تعالى دعاءهم.

والفرق بين الهمّ والغمّ:

أن (الهمّ) ما يهمّ ويهتمّ الإنسان بفعله مما هو لصالحه أو لصالح غيره، وربما يعمم كزواج ولده وتأسيس معمل ومكسب له أو لنفسه، وطلب العلم وشبه ذلك، ومنه ما يهم بفعله للوصول إلى مقصده.

و(الغمّ) ما يغمه كأنه غطاء على قلبه، ويطلق على ما ابتلي به الإنسان من المشاكل، وذلك كغم المريض وكغم الفقير وكغم المسجون وما أشبه ذلك.

ولقد كان من المتداول سابقاً وكنا نرى كثيراً مجالس عامة تعقد للدعاء عند حلول بلية نازلة سماوية أو أرضية، بحيث كان يظهر على البلاد ذلك كطابع عام، وكان ذلك من أسباب انكشاف الهموم والغموم، ولعل من أسباب زيادتها الآن قلة مجالس الدعاء والتضرع العامة.

---

[٨٠١] نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ ومن كلام له عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين ويكشف للخوارج الشبهة وينقض حكم الحكمين.

التفريج عن المهموم

مسألة: يستحب التفريج عن المهموم، وهو الذي يهمّ بأمر ولا يتمكن عليه، أو هو بحاجة إلى من يعينه، فيكون الإنسان عونه في أن يفرج همّه، وهذا من المستحبات الأكيدة ويدل عليه بالإضافة إلى هذا الحديث، أحاديث متعددة[٨٠٢].

فإن الله سبحانه خلق الإنسان وجعل لـه حاجات واهتمامات روحية وجسمية فردية واجتماعية، ولا يستطيع أن ينال كثيراً منها بمفرده فجاء الأمر الإلـهي بمساعدة الإنسان في الوصول إليها، فمن ساعد كان لـه أجران: أجر أخروي وأجر مساعدة الناس لـه في التفريج عن همومه أيضاً كأثر وضعي لعملـه، «فمن كفّ يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيادي كثيرة»[٨٠٣] كما في كلام علي عليه السلام.

والحياة بالتعاون تتقدم إلى الأمام في مختلف أبعادها [٨٠٤]، ولذا قال سبحانه: **[تعاونوا على البرِ والتقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوان]**[٨٠٥] والمراد أن يعين بعضهم بعضاً.

والفرق بين (أعان) و(عاون) و(تعاون)، أن الأول من جانب واحد، والثاني من الجانبين مع تقدم أحدهما على الآخر، والثالث من الجانبين بشكل متزامن

---

[٨٠٢] راجع (الفقه: الآداب والسنن).
[٨٠٣] راجع بحار الأنوار: ج٧٢ ص٥٣ ب٤٢ ح٩.
[٨٠٤] راجع: (الفقه: الاجتماع)، و(الفقه: السياسة).
[٨٠٥] سورة المائدة: ٢.

دقةً أو عرفاً.

ولا يخفى أن كل الأقسام الثلاثة من المستحب، وإن كان الثالث أفضل.

والبر: عمل الإنسان بالنسبة إلى الغير.

والتقوى: عملـه بالنسبة إلى نفسه.

وربما يستفاد من الحديث أن غير الإنسان ـ كالجن ـ أيضاً قد يبتلى بالـهمّ والغم والحاجة؛ لأنه ﷺ قال: «وفيهم» ومرجع الضمير إلى من هو من أهل الأرض، وقد علمت شمول أهل الأرض لغير الإنسان.

كشف الغمة وأقسامها

مسألة: يستحب كشف غم المغموم.

وقد ذكرنا الفرق بينه وبين الـهمّ، وأنه يسمى (غماً) لأنه كالشيء الذي يغطي شيئاً آخر، ومنه (الغمام) للسحاب، و(الأغم) لمن غطى شعر رأسه جبهته إلى غير ذلك.

و(الغم) يغطي قلب الإنسان بغطاء من الحزن.

ثم لا يخفى أن (الغم) قد يكون سببه الإنسان نفسه، وقد يكون سببه الأمور التكوينية الطبيعية التي لابد وأن تعتري الإنسان مهما كان، ولكشف كليهما أجر وأهمية إلاّ أن الثاني أهم، وأما لو كان الإنسان بنفسه سبباً وكان حلّـه بيده فلا يكن لكشف كربه تلك المنزلة.

فإن الدنيا «دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة»[٨٠٦] كما قالـه علي عليه السلام، والأقسام أربعة:

إذ الإنسان بطبيعته يمرض ويهرم ويفتقر، أو يكون جاره جار سوء، أو تكون لـه امرأة أو لـها زوج غير صالحين، إلى غير ذلك وهذه طبيعيات.

كما قد يكون هو بنفسه سبب وقوعه في المشكلة.

---

[٨٠٦] نهج البلاغة، الخطب: ٢٢٦ ومن خطبة لـه عليه السلام في التنفير من الدنيا.

وفي هاتين الصورتين قد لا يكون قادراً بنفسه على حل المعضلة، فيتأكد حينئذ استحباب مساعدته.

وقد يكون قادراً على حلـها، بأن كان الحل بيده من أي الصورتين كان، كما إذا تمرض بسبب موجة برد فجائية أو بحادث اصطدام، وكان بإمكانه علاج نفسه، وكذلك لو عرض نفسه اختياراً للاستبراد أو الوباء بمعرفة واختيار حتى تمرض وكان العلاج بيده، فإنه وإن استحب مساعدته، إلاّ أن الاستحباب أضعف مما لو لم يكن قادراً. وهذا التقسيم ـ بلحاظ الشدة والضعف في الاستحباب ـ يفهم عرفاً من نفس النصوص بالإضافة إلى بعض الملاكات:

مثل «إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله»[٨٠٧]، فالأمر أشد في هذه الصورة للاضطرار وعدم قدرته على الدفع عن نفسه.

ومثل ما ورد من أن جماعة لا يستجاب لـهم دعاء[٨٠٨]؛ لأن علاج مشكلتهم بأيديهم إلى غير ذلك، وكيف كان فإن كشف الغم وإن كان مطلقاً مستحباً إلاّ أن بعضه آكد من بعض.

---

(٨٠٧) الكافي: ج٢ ص٣٣١ باب الظلم ح٥.

(٨٠٨) راجع مستدرك الوسائل: ج٥ ص٢٥٣ ب٤٧ ح٥٨٠٨ وفيه: (الْقُطْبُ الرَّاوَنْدِيُّ فِي دَعَوَاتِهِ، قَالَ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: أَرْبَعَةٌ لا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دُعَاءٌ، رَجُلٌ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ يَقُولُ يَا رَبِّ ارْزُقْنِي فَيَقُولُ لَهُ أَ لَمْ آمُرْكَ بِالطَّلَبِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فَدَعَا عَلَيْهَا فَيَقُولُ لَهُ أَلَمْ أَجْعَلْ أَمْرَهَا بِيَدِكَ، وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ مَالٌ فَأَفْسَدَهُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ ارْزُقْنِي فَيَقُولُ لَهُ أَ لَمْ آمُرْكَ بِالاقْتِصَادِ، أَلَمْ آمُرْكَ بِالإِصْلاحِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً﴾ وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ مَالٌ فَأَدَانَهُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ فَيَقُولُ: أَلَمْ آمُرْكَ بِالشَّهَادَةِ).

سوق الناس إلى الله

مسألة: ينبغي سوق الناس إلى الله تعالى، وبيان أن الله سبحانه هو الذي يفرج الـهمّ (وفرّج الله همه) ويكشف الغمّ (وكشف الله غمه).

فإن أزمة الأمور طراً بيده تعالى:

[وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى][٨٠٩].

[والذي هو يطعمني ويسقين ۞ وإذا مرضت فهو يشفين ۞ والذي يميتني ثم يحيين ۞ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين] [٨١٠].

[وهو القاهر فوق عباده] [٨١١].

---

[٨٠٩] سورة الأنفال: ١٧.
[٨١٠] سورة الشعراء: ٧٩ ـ ٨٢.
[٨١١] سورة الأنعام: ١٨و٦١.

طلب الحاجة وأنه مقتضٍ

مسألة: يستحب طلب الحاجة من الله سبحانه والالتجاء إليه في كشف الـهمّ والغمّ بالتوسل بأهل البيت عليهم السلام الذين هم الوسائط إلى الله تعالى والوسائل إليه **[وابتغوا إليهِ الوسيلة]**[٨١٢]، ولذلك كان «وقضى الله حاجته» نتيجة طبيعية لقراءة هذا الحديث الشريف الذي يدور محوره حول منزلة أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى.

وقد ذكرنا في بعض مباحث هذا الكتاب أن أمثال هذه القضايا من القضايا الطبيعية التي لا يلزم أن تكون كلية، بل أن حالـها حال كثير من الأمور الأخر، كقولـهم: إن العقار الفلاني دواء للمرض الكذائي، أو أن فلاناً مهندس للبناء، أو خبير اقتصادي، أو أخصائي في الزراعة،أو ما أشبه ذلك حيث لا يلزم الكلية.

وكثيراً ما يستعمل الدواء ولا يرفع الداء، وكثيراً ما يقدم المهندس خريطة للبناء، أو الخبير الاقتصادي مخططاً للبلاد، ولا يكون مصيباً، وهكذا، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للأمور الدنيوية شرائط وعلل معدّة وموانع وخصوصيات إذا حققها الإنسان جميعها تحققت النتيجة وإلاّ فلا، والدعاء ونحوه من هذا القبيل فهو مقتضٍ للإجابة لا علة تامة.

---

[٨١٢] سورة المائدة: ٣٥.

فلا يقال: كيف يُدعى عند رأس الحسين عليه السلام ولا يُستجاب[٨١٣]، مع أنه ورد: استجابة الدعاء تحت قبته[٨١٤]، أو تستعمل تربته الشريفة ولا يتحقق الشفاء[٨١٥] مع أنه ورد «الشفاء في تربته»[٨١٦]، إلى غير ذلك من الأسباب الواقعية والأسباب والأسباب الظاهرية.

وغير خفي أن السعادة الدنيوية ـ بل الأخروية ـ قوامها: تفريج الهمّ، وكشف الغمّ، وقضاء الحاجة، وقد تكفلها الله تعالى جميعاً ببركة حديث الكساء.

استحباب قضاء الحاجة

مسألة: يستحب قضاء حاجة المحتاج، فإذا قال: اسقني الماء، وهو على المائدة كان سقيه قضاءً للحاجة، وإن لم يسم تفريج الهمّ ولا كشف الغمّ[٨١٧].

وقضاء الحاجة أعم من الأمرين السابقين (كشف الهمّ والغمّ)، ولا فرق في ذلك بين الحاجات الدنيوية والأخروية.

---

[٨١٣] أي أحياناً.
[٨١٤] راجع وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥٣٧ ب٧٦ ح١٩٧٧٣.
[٨١٥] أي أحياناً.
[٨١٦] راجع وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥٣٧ ب٧٦ ح١٩٧٧٣.
[٨١٧] النسبة بينهما عموم من وجه.

ولا يبعد أن يكون قضاء حاجة غير المسلم ـ كإدخال السرور على قلبه[٨١٨] ـ أيضاً مندوباً، وإن كان في المسلم أولى، ويؤيده الإطلاقات، أما التقييد بالمؤمن ونحوه في بعض الروايات فلا يقيدها لأنهما مثبتان على الاصطلاح الأصولي[٨١٩].

كما يؤيده قضاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام حاجات غير المؤمنين، كما ورد في تفسير سورة المنافقين من أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعطى بعض ملابسه لعبد الله بن أُبي لما طلب منه ذلك[٨٢٠]..

وفي موارد أخرى دلالة على ذلك ولو بتنقيح المناط.

---

[٨١٨] قد سبق بعض البحث عن إدخال السرور تحت عنوان: (بشارة الغير وإدخال السرور).

[٨١٩] المطلق والمقيد إذا كانا متخالفين بالسلب والإيجاب قيّد أحدهما الآخر كما في: (أكرم العالم)، و(لا تكرم العالم الفاسق)، أما إذا كانا متوافقين في السلب والإيجاب فلا، بل يكون المقيّد أشد في المطلوبية كما لو قال: (أكرم العالم)، و(أكرم العالم الفقيه)، و(أقم الصلاة)، و(أقم صلاة الظهر)، راجع (الأصول) للإمام المؤلف قدس سره.

[٨٢٠] بحار الأنوار: ج٣٠ ص٥٧٢ ب٢٣ الأول.

فَقالَ عَلِيٌّ عليه السلام: إذَنْ وَالله فُزنا وَسُعِدنا، وَكَذلِكَ شِيعَتُنا

السعي للفوز

مسألة: يستحب وقد يجب ـ حسب المراتب ـ السعي لتحقيق الفوز، للنفس وللغير.

ففوزهم عليهم السلام كان ـ إضافة للجانب الذاتي ـ لأجل أنهم واسطة الخير والفيض.

وفوز شيعتهم؛ لأنهم بسبب تمسكهم بالأئمة الهداة عليهم السلام ينالون خير الدنيا والآخرة وحوائجهم فيهما.

فإن علمهم عليهم السلام بفوزهم وفوز شيعتهم ببركة هذا الاجتماع الرباني أوجب عقدهم ذلك الاجتماع التاريخي، لما ورد من «أنهم عليهم السلام عالمون بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة»[٨٢١] بتعليم الله سبحانه لهم.

علم الغيب وتأثيره في سلوك المعصومين عليهم السلام

لا يقال: إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بأن اللحم مسموم فلماذا مضغه؟.

ولماذا ذهب الإمام علي عليه السلام للصلاة وهو يعلم بأن ابن ملجم يريد قتله؟.

ولماذا شرب الإمام الحسن عليه السلام السم؟ إلى غير ذلك.

.....

[٨٢١] راجع الكافي: ج١ ص٢٦٠ باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء (صلوات الله عليهم).

لأنه يقال: علمهم الغيبي وقدرتهم الغيبية لا تغيِّر سلوكهم وبرنامجهم الفردي والاجتماعي، وإلاّ لم يكونوا أسوة، ولَما تحقق الامتحان، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان قادراً ـ بإذن الله تعالى ـ على أن يقلب الحصى جوهراً ويخرج بذلك نفسه وأصحابه من الفقر، إلى غير ذلك من الأشباه والنظائر.

وكذا لو كان المقرر أن يؤثر علمهم الغيبي وقدرتهم الغيبية في تغيير المقدرات الإلـهية ومقتضيات عالم الإمكان لكان الإمام الحسين عليه السلام قد أوجد الماء لأصحابه وأهل بيته عليهم السلام، بل حتى لو أُشربوا السم وضُربوا بالسيف كانوا سيجدون الحل الناجح غيبياً، وكذلك لما بكى الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) لفقد ولده عليه السلام وهو يرى أنه دخل جنات عرضها السماوات والأرض.

وكذا حال الأنبياء عليهم السلام ..

وإلاّ لكان إبراهيم عليه السلام قضى على نمرود بإشارة من يده، ولأحدث عيسى عليه السلام بينه وبين اليهود سداً حتى لا يتمكنوا منه، ولم تكن حاجة لأن يرفعه الله تعالى إلى السماء، وكذلك كان يقضي موسى عليه السلام على فرعون بادئ ذي بدء دون حاجة إلى إيقاع النفس في مخاطر ومتاعب جسيمة، والجهاد لعشرات السنين قبل التيه ومعه وبعده.

ولكان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يظهر ولا يتمكن عدو من النيل منه، مما يضطره إلى التستر، كما في الأحاديث من أنه عليه السلام تستر تحفظاً على نفسه من الطغاة[٨٢٢].

.....

[٨٢٢] راجع بحار الأنوار: ج٥٢ ص٩٠ ب٢٠.

أما ما ظهر من المعجزات والكرامات فكان بقدر معين بحيث يكفل إقامة البرهان على ارتباط هذا الرسول ﷺ ووصيه عليه السلام بإلـه الكائنات، وبحيث يتم الحفاظ على أصل الرسالة دون أن تمحى نهائياً وشبه ذلك، وأما ما عدا ذلك فيدخل في عالم الأسباب والمسببات الطبيعي.

وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر.

أبواب الجنة والنار

لا يخفى أن التشيع كالإيمان، يؤثر ويتحكم ويرتبط بثمانية مواضع من الإنسان، وهي:

١ ـ الباصرة.

٢ ـ السامعة.

٣ ـ الذائفة.

٤ ـ اللامسة[٨٢٣].

٥ـ الفرج، حيث إنه وإن شملته اللامسة من وجه، لكنه لكثرة الابتلاء به وخطورته وصعوبة التحكم به عدّ واحداً في قبالـها[٨٢٤].

٦ ـ البطن.

.....

٧ ـ الاعتقاد والفكر.

---

(٨٢٣) أما الشامة فلا مدخلية لـها إلا نادراً جداً ـ كشم الطيب في الحج ـ.

(٨٢٤) قال تعالى في وصف المؤمنين: [وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ] ـ سورة المؤمنون: ٥، سورة المعارج: ٢٩ ـ.

٨ ـ النية.

فإن كل واحد من هذه يمكن أن يستخدم للخير أو الشر، وكلـها باستثناء الأخير يمكن أن تُدخل الإنسان في الجنة أو في النار، ولعل السر في أن للجنة ثمانية أبواب وللنار سبعة أبواب هو هذه الجهة، حيث إن نية السوء بما هي هي لا تؤدي بالإنسان إلى النار، كما حقق في بابه وذكرناه في الأصول، أما الأبواب السبعة الأُخر فمن الممكن أن تؤدي بالإنسان إلى النار، ونية الخير من أبواب الجنة.

وأما الاعتقاد: فمن الواضح أن التفكر والاعتقاد قد يجر إلى النار، كالاعتقاد بالباطل في الأصول[٨٢٥]، وقد يؤدي بالإنسان إلى الجنة، وذلك كالتفكر في أمور الخير ولأجلـها، وفي أصول الدين والاعتقاد بها.

والإنسان الذي يرغب في دخول الجنة وسعادة الدنيا والآخرة، لابد من أن يجنِّد كل المجالات الثمانية في الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، وأوامر أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) والتي تنبثق من أوامر الله تعالى أيضاً، بل هي هي لقولـه تعالى:

[وما ينطقِ عنِ الهوى ۞ إن هو إلا وحيٌ يوحى][٨٢٦].

ولما ورد: «أهل بيت النبوة وموضع الرسالة»[٨٢٧].

.....

وأما العقل فليس علة مباشرة، بل بسبب إحدى السوابق، وإن كان هو

---

[٨٢٥] أي في أصول الدين.
[٨٢٦] سورة النجم ٣ ـ ٤.
[٨٢٧] زيارة الجامعة الكبيرة.

لايتوجه بذاته إلاّ إلى الله وإلى أوامره.

أما من يصرف بعض مواضعه السبعة في معصية الله ومعصية أوامر رسله وأوصيائهم (عليهم الصلاة والسلام) فهو يفتح على نفسه باباً أو أكثر إلى النار، أعاذنا الله منها.

هذا كله حسب الاحتمال.

ولكن في بعض الروايات إشارة إلى ما يظهر منه توزع أبواب الجنة حسب الصفات النفسانية، إذ ورد أن أبواب الجنة منها باب الرحمة، ومنها باب الصبر، ومنها باب الشكر، ومنها باب البلاء، والباب الأعظم لأهل الزهد والورع والراغبين إلى الله عز وجل المستأنسين به[٨٢٨].

وهناك روايات أُخرى تشير إلى أن أبواب الجنة الثمانية متعددة بلحاظ أصناف الأفراد:

«إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا ... وباب يدخل منه سائر لمسلمين ممن شهد أن لا الله إلا الله، ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغض أهل البيت »عليهم السلام[٨٢٩]، ولعل ذلك بعد امتحانه في الآخرة.

وهناك طائفة ثالثة من الروايات من أمثال:

«من صام من رجب يوماً واحداً من أوله أو وسطه أو آخره أوجب الله له الجنة وجعله معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن صام يومين من رجب قيل له:

[٨٢٨] راجع الأمالي للصدوق: ص٢١٠ المجلس٣٨ ح١.
[٨٢٩] الخصال: ج٢ ص٤٠٧-٤٠٨ باب الثمانية ح٦.

استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى، ومن صام ثلاثة أيام قيل لـه: قد غفر لك ما مضى وما بقي فاشفع لمن شئت من مذنبي إخوانك وأهل معرفتك، ومن صام سبعة أيام من رجب أُغلقت عليه أبواب النيران السبعة، ومن صام ثمانية أيام من رجب فتحت لـه أبواب الجنة الثمانية فيدخلـها من أيها شاء»[٨٣٠].

وغير خفي أن أمثال هذه إنما هي بنحو المقتضي.

وروايات تقوم بالتوزيع حسب نوعية الوظيفة والمسؤولية التي قام بها الشخص، فمثلاً: «إن للجنة باباً يقال لـه باب المجاهدين ... »[٨٣١]، و«إن في الجنة باباً يدعى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون»[٨٣٢].

وهناك روايات تشير إلى أعداد أكبر، فقد قال رسول الله ﷺ: «... إن للجنة أحدى وسبعين باباً ... وطبقاتها ثمانية»[٨٣٣].

وقد يجمع بين هذه الروايات بأنحاء:

منها: إن هنالك أبواباً رئيسية وأخرى فرعية، فالأبواب الرئيسية ثمانية في كل واحد منها العديد من الأبواب الصغيرة.

ومنها: إن الأبواب الثمانية وكذا السبعة يراد بها طبقات بعضها فوق بعض كما في بعض الروايات ولكل منها أبواب.

ومنها: إن للأبواب جهات عديدة وحيثيات مختلفة، أو مراتب متعددة.

ومنها: إن ما كان بلحاظ الصفات أو الأعضاء يتطابق مع ما كان بلحاظ

---

[٨٣٠] الأمالي للصدوق: ص٥ المجلس٢ ح١.
[٨٣١] الكافي: ج٥ ص٢ باب فضل الجهاد ح٢.
[٨٣٢] وسائل الشيعة: ج١٠ ص٤٠٤ ب١ ح١٣٧٠٣.
[٨٣٣] راجع الأمالي للطوسي: ص٣٦٨-٣٦٩ المجلس١٣ ح٧٨٤.

الأفراد ولو باعتبار أبرزها، فباب المجاهدين يتطابق مع باب الصبر مثلاً، فالتعدد في العناوين والتطابق عموماً وخصوصاً مطلقاً أو من وجه في المصاديق.

ويمكن إدراج ما ذكرناه من التقسيم بلحاظ الأعضاء في تلك العناوين الأخرى أيضاً[٨٣٤] فتأمل.

[٨٣٤] مثلاً الصبر يشمل صبر اللامسة والسامعة والباصرة و... عن معصية الله وهكذا هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإن الملامسة محطة للشكر والبلاء والصبر و... فكل من مفردات الطرفين تصلح محطة لكل أو غالب مفردات الطرف الآخر.

الضلالة والشر وضدهما ودور الله أو الإنسان فيها

مسألة: من المعلوم أن الاهتداء والفوز والسعادة الأُخروية بل وحتى الدنيوية وعكسها بيد الإنسان نفسه بعد هداية الله سبحانه.

قال جل وعلا: [**ظهرَ الفسادُ فِي البرِّ والبحرِ بِما كسبت أيدِي الناسِ**][٨٣٥].

وقال تعالى: [**ومن يتقِ الله يجعل له مخرجا**][٨٣٦].

وقال سبحانه: [**لو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهِم بركاتٍ مِن السماءِ والأرضِ ولكِن كذبوا فأخذناهم**][٨٣٧].

وقال تعالى: [**مَن يهدِ الله فهو المهتدِ ومن يضلِل فلن تجِد له ولِيا مرشِدا**][٨٣٨].

ومعنى إضلالـه سبحانه تركه وشأنه، من قبيل: أفسد الوالدُ ولدَه والحكومةُ الناسَ، إذا تركت الحكومة الناس وشأنهم حتى يفســدوا وإن لم تقــم

.....

[٨٣٥] سورة الروم: ٤١.
[٨٣٦] سورة الطلاق: ٢.
[٨٣٧] سورة الأعراف: ٩٦.
[٨٣٨] سورة الكهف: ١٧.

هي بالتخطيط للإفساد بل كان مجرد تركهم، وترك الوالد ولده حتى يفسد، ولكن إنما يكون ذلك بعد هداية الله وعدم قبول الإنسان للـهداية كما فصلناه في بعض كتبنا الكلامية في بابي الضلال والـهداية.

ثم إن الله سبحانه وتعالى لا يريد بأحد شراً أو سوءً، بل يريد الخير للجميع، كما لا يريد مشكلةً لأحد بما هو هو وبما هي هي، ولذا ورد في سورة القدر [**سلامٌ هِيَ حتى مطلعِ الفجرِ**][٨٣٩]، فإن كل ما ينزل من السماء إلى الأرض هي السلامة، وإنما الناس ـ بسوء تصرفاتهم ـ يجلبون لأنفسهم الشر كالفقر والمرض وما أشبه ذلك، فإنها بيد الإنسان نفسه أو بيد بني نوعه، وإنما يوقع الإنسان نفسه في الشر بهذه الأسباب.

نعم، قد يكون السبب في إيقاع الإنسان في مشكلة: التكفير عن ذنوبه كي لا يبتلى بالعقاب الأشد في الآخرة، أو رفعة درجاته، كمن يوقع نفسه في مشاق السفر رغبة في الربح والتجارة.

وربما كان السبب في الوقوع في المشكلة الأثر الوضعي لتصرفاته هو، فتكون المصائب التي تترى عليه نتيجة لذلك، وإن لم يعلم هو بالترابط بين الأمرين، فـ (من زرع حصد) حنظلاً كان أم ورداً.

لا يقال: فماذا تقولون فيما ورد في الدعاء: «أكرمني بهوان من شئت من خلقك ولا تهني بكرامة أحد من أوليائك»؟ [٨٤٠].

---

[٨٣٩] سورة القدر: ٥.

[٨٤٠] الكافي: ج٤ ص٧٥ باب ما يقال في مستقبل شهر رمضان ح٦.

فإنه يقال: مثالـهما مثال من يطلب من قائد الجيش أن لا يرسلـه في المهمات الصعبة بل يكلف غيره بها فيما لابد من خوضه لنجاة الجيش أو الشعب، فإذا كان هنالك هوان لابد منه فإن هذا الداعي يطلب من الله سبحانه أن لا يكون هو الذي يُهان وغيره يُكرم، بل يكون هو المكرم وإن كان غيره يُهان.

والتعبير بـ (من شئت) قد تكون حكمته الإشارة إلى أن انتخاب البديل حيث كان من الله تعالى فإن من الطبيعي أن يحل الله سبحانه الـهوان في المحل القابل، وفيمن يستحق ذلك أو فيمن تقتضي الحكمة ذلك وإن لم يكن مستحقاً، وهذا الداعي وإن كان يستحق ذلك إلاّ أنه بالدعاء يريد أن يرفع ذلك الاستحقاق أو تغيير وجه الحكمة فيما كان من قبيل ما هو مكتوب في لوح المحو والإثبات لا اللوح المحفوظ.

وتفصيل هذه المباحث في الكتب الكلامية[٨٤١] وإنما أردنا الإلماع إليها حسب ما يقتضيه المقام.

[٨٤١] راجع: (شرح المنظومة)، و(القول السديد في شرح التجريد) للمؤلف ﷺ.

وَرَبِّ الكَعبَةِ.

الكعبة ومكانتها

مسألة: يستحب التركيز على الكعبة المكرمة ومكانتها وتوجيه الناس إليها، وبيان أن للكعبة ـ زادها الله شرفاً ـ حرمةً ومنزلةً خاصة، ولذا أقسم علي عليه السلام برب الكعبة مرتين، ولم يقسم برب الصفا والمروة أو المزدلفة مثلاً.

والقسم برب الكعبة تركيز عليها وتوجيه إليها وتحريض على احترامها وبيان لعظمتها، وبذلك يلتف الناس حولـها ويكونون بذلك قياماً في طاعة الله تعالى في مختلف شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والدينية وغيرها، ولذا قال سبحانه:

[**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس**][٨٤٢]، [٨٤٣].

وقال تعالى: [**ليشهدوا منافع لهم**][٨٤٤].

---

[٨٤٢] سورة المائدة: ٩٧.

[٨٤٣] راجع أيضاً كتاب (خواطري عن القرآن: ج١ ص٤١٩ فصاعداً) لأخ الإمام المؤلف آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره.

[٨٤٤] سورة الحج: ٢٨.

خاتمه

وفي ختام هذا الفصل نشير إلى أن الأحكام والعِبَر التي استنبطناها من حديث الكساء كانت عَبر الاستناد إلى الدلالة المطابقية والتضمنية والالتزامية ونحوها، كما ألمعنا إليه في المقدمة.

التدبر والتفكر والاستنباط في القرآن

ويمكن أن يستخرج أكثر ما ذكرناه من الأحكام عبر (التدبر) و(التفكر) و(الاعتبار).

فقد ذكر الأول في القرآن الحكيم في أربع آيات[٨٤٥].

والثاني في ثمانية عشر موضعاً [٨٤٦].

---

[٨٤٥] قال تعالى ﴿ليدّبّروا﴾ في آية واحدة (سورة ص ٢٩). وقال سبحانه ﴿يتدبّرون﴾ في آيتين (سورة النساء: ٨٢ وسورة محمد: ٢٤). وقال تعالى ﴿يدّبّروا﴾ في آية واحدة (سورة المؤمنون ٦٨).

[٨٤٦] قال تعالى ﴿تتفكّروا﴾ في آية واحدة (سورة سبأ: ٤٦). وقال ﴿تتفكرون﴾ في ثلاث آيات (سورة البقرة: ٢١٩، سورة البقرة: ٢٦٦، سورة الأنعام: ٥٠)، وقال ﴿فكّر﴾ في آية واحدة (سورة المدثر: ١٨)، وقال ﴿يتفكّروا﴾ في آيتين (سورة الأعراف: ١٨٤، سورة الروم: ٨)، وقال ﴿يتفكرون﴾ في إحدى عشرة آية (سورة آل عمران: ١٩١ والأعراف ١٧٦ ويونس ٢٤ و.الرعد ٢٣، والنحل ١١، والنحل ٤٤، والنحل ٩٦، والروم ٢١، والزمر ٤٢، والجاثية ١٣، والحشر ٢١).

والثالث في سبع آيات[٨٤٧].

والقرآن يؤكد على الاجتهاد والاستنباط، قال سبحانه: **[لعلِمهَ الذِين يستنبِطونهَ منِهم]** [٨٤٨].

ولذا أكثر من حديث (العقل) و(التعقل) وجاءت الإشارة إلى ذلك في تسع وأربعين آية[٨٤٩].

وتحدث عن (القلب) ـ والمراد به ذلك أيضاً ـ في مائة واثنتين وثلاثين آية[٨٥٠].

وعن (اللب) ـ وهو جوهر الإنسان وحقيقتة والمراد به العقل أيضاً، مع اختلافهما في اعتبار أن العقل من العقال واللب هو جوهر الشيء معرى عن الحواشي وشبهها ـ في ستة عشر موضعاً [٨٥١].

وعن (النهى) ـ بمعنى العقل لأنه ينهى الإنسان عن الرذائل ـ في اثنتين[٨٥٢]، وعن (الفقه) في عشرين[٨٥٣]، وعن (الحكمة) في تسع عشرة آية[٨٥٤]، إلى غير ذلك.

---

[٨٤٧] قال تعالى ﴿عبرة﴾ في آية واحدة (سورة يوسف ١١) وقال ﴿فاعتبروا) في آية واحدة (سورة الحشر ٢) وقال ﴿لعبرة﴾ في خمس آيات (سورة آل عمران ١٣، النحل: ٦٦، المؤمنون ٢١، النور: ٤٤، النازعات : ٢٦).

[٨٤٨] سورة النساء: ٨٣.

[٨٤٩] راجع المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

[٨٥٠] راجع المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

[٨٥١] راجع المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

[٨٥٢] راجع المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

[٨٥٣] راجع المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

[٨٥٤] راجع المعجم المفهرس للقرآن الكريم.

تجسم الأعمال

ولا بأس أن نشير ها هنا إلى أن ما ورد من أن الفكرة السيئة تفوح منها رائحة خبيثة، وما ورد من تجسم الأعمال في الآخرة وفي القبر وما أشبه ذلك، واضح حتى حسب الموازين الطبيعية المتعارفة، فكيف بغيره.

فإن كل عمل يصدر من الإنسان حتى تفكره وسماعه ورؤيته وشمه وذوقه ولمسه إنما يكون من تحول المادة إلى الطاقة ـ على الاصطلاح ـ أي عبر تحول جزء من الطعام والشراب إلى قوة وطاقة تنشر في أرجاء الجسد وتعد وقود الأعمال والأفكار، فإن الأذن تأخذ نصيبها من الطاقة حتى تسمع، والعين كذلك حتى تبصر، واللسان حتى يتكلم، والجسم حتى يلمس، وهكذا.

ومن المعلوم أن تلك الأطعمة أجسام والجسم قابل للتقلص والتمدد والتشكل والتلون والتغير والتحول، كما نشاهد في الفواكه وسائر المواليد[٨٥٥] حيث إن الماء والتراب والنور والهواء تتشكل من مليارات من المواد أو الجزيئات[٨٥٦] والأطعمة والروائح والخواص.

ولذا ورد أن المغتاب تقيأ من فمه، وأن العمل يتجسم كلباً إذا كان سيئاً، ومانع الزكاة يتشكل ثعباناً..

---

[٨٥٥] المواليد اصطلاح متداول في كتب الفلسفة سابقاً ويعني النبات والحيوان والإنسان.

[٨٥٦] كالـ (فوتون) ـ حسب العلم الحديث ـ.

وقد قال سبحانه: [**إِنَمَا تجزون ما كنتم تعملون**] [٨٥٧]، فـ (ما) هو الجزاء لا سبب الجزاء، ولذا لم يقل (بما) فهو هو جزاء، إلى غير ذلك من الآيات والروايات والمؤيدات.

وأولياء الله تعالى من الأنبياء والأئمة عليهم السلام وصالحي العباد، أمثال سلمان رحمه الله وربما مؤمن آل فرعون[٨٥٨] يرون تلك الأشكال الواقعية، ولذا أحس الإمام علي عليه السلام بالرياح الشديدة من حركة الملائكة في ليلة بدر[٨٥٩].

ويمكن بإرادة الله تعالى تبدل الأجسام اللطيفة والواقعيات إلى أجسام كثيفة وشبهها، كما جمع الإمام عليه السلام زغب الملائكة[٨٦٠].

وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر تقريباً لرؤيتهم وسماعهم واستشمامهم عليهم السلام لما لا ندرك.

ولذا قال النبي يعقوب عليه السلام رغم كون البون بعيداً والمسافة شاسعة: [**إِنِي لأجِدُ رِيحَ يوسف**][٨٦١].

---

[٨٥٧] سورة الطور: ١٦، سورة التحريم: ٧.
[٨٥٨] قال تعالى: [يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ] - سورة يس: ٢٦-٢٧ - والذي فسرته بعض الروايات بأنه رأى مكانه في الجنة.
[٨٥٩] راجع المناقب: ج٢ ص٢٤٢ فصل في محبة الملائكة إياه.
[٨٦٠] راجع الكافي: ج١ ص٣٩٣-٣٩٤ باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم ح٣.
[٨٦١] سورة يوسف: ٩٤.

للحواس والإدراكات درجتان

ومما ذكرنا يتلخص ما يلي:

الأول: إن الحواس الظاهرة والفهم والإدراك لها درجتان:

الأولى: الدرجة الطبيعية المعهودة كرؤية الأشياء إلى مقدار محدد، وسمع الأصوات إلى مسافة وقدر معين، وهكذا، ويلحق بهذا القسم تطوير الحاسة بالمباشرة أو الواسطة كرؤية الأبعد بواسطة النظارة والتلسكوب مثلاً، وسماع الأبعد بواسطة المكبرة الصوتية السمعية والإذاعية.

الثانية: الدرجة الغيبية كرؤية باطن الإنسان وحقيقتة، وسماع أصوات الملائكة والأموات، وهذه الدرجة تختص بأولياء الله سبحانه ممن أراد الله تعالى لـه ذلك، وهكذا حال الفهم الطبيعي العادي والفهم الغيبي، فللفهم درجتان.

ظاهر الإنسان وباطنه

الثاني: إن الإنسان لـه ظاهر وباطن، فظاهره هذا الذي نشاهده وندركه بالآلة أو بدون الآلة، وباطنه هو قالبه المثالي الداخل في هذا الجسم، كدخول الماء في النباتات والحيوانات وشبهها، والزجاج في الحجر.

وذلك الباطن قد يكون متطابقاً مع الظاهر وقد يكون متخالفاً معه، بأن يكون ظاهره إنساناً وباطنه قرداً أو كلباً أو خنزيراً حسب صفاتـه النفسيـة، ولـذا

رأى أبو بصير جملة ممن وقف بعرفات على غير صورتهم الإنسانية، وقال لـه الإمام عليه السلام: «ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج» [٨٦٢]، إلى غيرها من الروايات المتواترة.

ويستفاد من بعض الروايات: إن الناس يحشرون يوم القيامة بتلك الصورة الباطنية حسب صفاتهم التي اكتسبوها في هذه الدنيا [٨٦٣].

ومثال هذين الأمرين: مثال من يقرأ الحمد وهو يفكر في تجارته أو دراسته، فظاهره شكل وباطنه شكل آخر، أو بالعكس يتاجر في محل تجارته وباطنه مشغول بالله سبحانه، حيث يكون ظاهره عادياً وباطنه نورانياً، ولعل ما ورد من «إن الله لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم» [٨٦٤] إشارة إلى هذين الأمرين.

✿✿✿

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد والله الطاهرين.

محمد الشيرازي

قم المقدسة

١٤١٤هـ

---

[٨٦٢] راجع بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢٩-٣٠ ب١٣ ح٢.
[٨٦٣] راجع بحار الأنوار: ج٦ ص٢٢٩ ب٨ ح٣٢.
[٨٦٤] راجع بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٤٨ ب٥٤ ضمن ح٢١.

الفهرس

المقدمة ٥
لمحة عن عظمة الزهراء عليها السلام ١١
الولاية التكوينية والتشريعية و... ..... ١٣
أ: الكتابة على ساق العرش والجنة ١٦
ب: والخلقة قبل آدم عليه السلام ١٧
ج: قصة سفينة نوح ١٨
د: تعليم أسمائهم عليهم السلام للأنبياء عليهم السلام ١٨
هـ: ما ورد في يوم القيامة ومقامها عليها السلام ١٩
و: وما أشبه ذلك. ١٩
مثل ما دل على أفضليتها عليها السلام من الأئمة عليهم السلام ١٩
الولايات التكوينية للأنبياء والصالحين عليهم السلام ٢٠
العلة للحدوث والبقاء ٢٣
الولاية التشريعية ٢٧
الأمر بين الأمرين في التشريع ٢٨
من الأدلة على ولايتهم عليهم السلام ٣٠
ماذا تعني الأولوية؟ ٣٢
سلطة الهدم والبناء ٣٢
من معاني التفويض ٣٤
عود على بدء ٣٥
بين التصرّف والصلاحية ٣٦
التوقيع الشريف ٣٧

لا فرق بين حياتهم ومماتهم عليهم السلام ٣٨
رفعة منزلتهم عليهم السلام ذاتية ٤٠
مجالات ستة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٤١
شمولية علمهم وقدراتهم عليهم السلام ٤٥
بين العلم الغيبي والسلوك العملي ٤٧
الأحكام المستفادة ٤٩
دروسٌ من سيرتها عليها السلام ٥٠
وفي الختام ٥٥

الفصل الأول أحكام مستفادة من حديث الكساء

متن حديث الكساء ٥٩
استحباب الرواية ٦٦
رواية النساء ٦٨
رواية الرجال عن النساء ٧٠
رواية حديث الكساء ٧٢
تسمية المرأة ٧٢
صوت الأجنبية ٧٣
استحباب التلقيب ٧٥
توقيت الأمور ٧٨
ترتيب المطالب ٨٠
استحباب الابتداء بالسلام ٨١
السلام على فاطمة عليها السلام ٨٣
سلام الرجل على المرأة ٨٤
رد السلام ٨٦
الإخبار عن الحالة الجسدية والنفسية ٨٦
الدعاء للمريض ٨٨

الاستعاذة بالله تعالى ٩٠
رفع الضعف الجسمي والنفسي ٩١
أمر الغير بإنجاز الحاجة ٩٣
قضاء الحاجة ٩٤
طاعة الأب ٩٥
النظر إلى وجه الأب ٩٦
النظر إلى وجه المعصوم عليه السلام ٩٧
ذكر الكرامات ٩٨
التشبيه في الكلام ٩٩
مزيد البيان ١٠٠
تحديد الأحداث ١٠١
ما هي حقيقة الزمان؟ ١٠٢
السلام على الأُم و... ..... ١٠٥
التسمية ١٠٧
خطاب الأم ١٠٨
صيغ السلام المختلفة ١٠٩
مدح المؤمن وتوقيره ١١١
إظهار المحبة للأولاد والأقرباء ١١٢
استحباب السؤال والتحقيق ١١٣
استعمال الطيب ١١٥
عدم التسرع في الحكم ١١٨
الإتيان باللقب ١١٩
بحث في مؤاخاته صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام ١١٩
الإجابة على الأسئلة ١٢١
الوضوح والتعجيل والإيجاز ١٢١
التوجه نحو العظيم ١٢٥

بحث في معنى السلام و... ١٢٨
الاستئذان ١٣٠
حق السبق ١٣٢
شمول الولد للسبط ١٣٥
إظهار العطف للسبط ١٣٧
بحث عن حوض الكوثر ١٣٧
توقير الطفل وذكر فضائله ١٣٨
... والكبير أيضاً ١٤٠
ذكر فضائل المعصومين عليهم السلام ١٤١
الاستجابة للطفل ولغير المسلم ١٤٢
رجحان التأكيد ١٤٣
اجتماع الأقرباء ١٤٥
استيفاء البيان ١٤٧
تفضيل الولد الأصغر ١٤٩
الإعلام بالواقع ١٥١
تكرار السلام ١٥٣
التفنن والتنوع في الكلام ١٥٥
إفراد الضمير وجمعه ١٥٧
الاعتقاد بالشفاعة ١٥٨
الثناء بالحق ١٥٩
الشفاعة للناس ١٦١
استحباب التكنية ١٦٣
استحباب السلام على الزوجة ١٦٥
احترام الزوج ١٦٧
التعرف على حياة المعصومين عليهم السلام ١٦٩
التواجد بمحضر أولياء الله ١٧٢

الاعتقاد بالولاية ١٧٤
التركيز على الاعتقاديات ١٧٦
انتقاء الكلمات المحببة ١٧٧
إعادة السلام ١٧٨
الاستئذان مع العلم بالإذن ١٧٩
البَضعة وأقسام الخطاب ١٨١
اجتماع القلوب والأجسام ١٨٢
الإشارة في الأمور الهامة ١٨٥
أنواع الإشارة وأحكامها ١٨٧
رفع اليد حين الدعاء ١٨٨
تقديم الميامن ١٨٨
استحباب الدعاء في كل الأحوال ١٩٠
الدعاء للغير ١٩٢
التوجه إلى الله عند اجتماع الأسرة ١٩٤
معنى (أهل البيت) وإطلاقاته ١٩٥
تعميم الأدعية ١٩٧
من هم الحامّة؟ ١٩٧
التذكير بوشائج القربى ١٩٨
دفع الأذى عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ١٩٩
مشاطرة العائلة همومهم وأحزانهم ٢٠٠
ما هو ماء الولاية؟ ٢٠١
مواجهة أعداء آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٢٠٢
مناصرة أولياءهم عليهم السلام ٢٠٢
تحقيق في معنى العداء والمسالمة ٢٠٢
معاداة أهل البيت عليهم السلام ٢٠٤
تعاضد الأرحام ٢٠٤

محبة أهل البيت عليهم السلام ٢٠٦
المحبة ودورها في التكوين والتشريع ٢٠٧
توثيق الترابط بين الأقرباء ٢١٠
الاحتمالات في معنى (إنهم مني وأنا منهم) ٢١١
الولاية التشريعية والتكوينية ٢١٤
التمهيد للدعاء ٢١٦
الصلاة على النبي وآله عليهم السلام ٢١٧
التنويع في الدعاء ٢١٨
الدعاء لأهل البيت عليهم السلام ٢٢٠
علّة تخصيصهم عليهم السلام بالدعاء هنا ٢٢٢
بحث في معنى الرجس والعصمة ٢٢٣
الطهارة والتطهير ٢٢٦
اتصافهم عليهم السلام بجميع الفضائل ٢٢٧
كلام الله سبحانه ٢٢٨
معنى العزة والجلالة ٢٣٠
بيان الحقائق ٢٣٢
سكان السماء ٢٣٢
التذكير بعظمة الله ٢٣٤
التأنيث في (مبنية) ٢٣٥
دحو الأرض وحركاتها ٢٣٦
التفصيل عند الخطاب ٢٣٨
معنى الفلك ٢٣٩
جريان البحر ٢٤١
المؤثر في الوجود هو الله ٢٤٢
الغاية من الخلقة ٢٤٣
محبة أهل البيت عليهم السلام ٢٤٦

محبة ذويهم عليهم السلام ٢٤٧
امتداد أصحاب الكساء عليهم السلام ٢٤٩
إتباع الموضوع بذكر وصفه ٢٥٠
الاعتقاد بأمانة جبرائيل ٢٥٠
استحباب النعت بالفضائل ٢٥١
الإذن في السؤال والدعاء ٢٥٣
العلم والاستعلام ٢٥٤
تقديم أكبر القوم ٢٥٥
الجواب على مقتضى الحال ٢٥٨
أهل البيت أم الدار؟ ٢٦٠
فاطمة عليها السلام حجة الله ٢٦٠
لماذا جعلها الله محوراً ٢٦٢
الحركة الدورانية للمخلوقات والمحور الرئيسي لها ٢٦٣
معادن الثروات المعنوية ٢٦٦
العلّة في بكاء يعقوب والزهراء عليهما السلام ٢٦٦
الجمع والجماعة ٢٦٨
الاستئذان من ذي الحق ٢٦٩
نوعية الهبوط ٢٧١
الالتحاق بركب المتقدمين ٢٧٢
أهمية هذا الاجتماع الرباني ٢٧٣
الإذن من ذي الحق ٢٧٥
هل الأصل التخلق بأخلاق الله؟ ٢٧٥
وصف الله بالعلي الأعلى ٢٨٠
تعظيم الله سبحانه ٢٨١
إرسال السلام عبر الواسطة وأحكامه ٢٨٢
جواز حذف بعض الحديث المنقول ٢٨٣

التحية والتكريم ٢٨٥
القسم وموارده ٢٨٧
النقل باللفظ أو بالمعنى ٢٨٩
التذكير بالتكرار ٢٩٠
المعصومون عليهم السلام أجل وأعظم من الكون ٢٩١
الاستئذان طولياً ٢٩٤
سلام غير الإنسان ٢٩٥
التأكيد ٢٩٥
التجمع قوة وفائدة ٢٩٦
التمايز بين القرآن وغيره ٢٩٧
عصمة المعصومين عليهم السلام ٢٩٩
إشارة لآية التطهير ٢٩٩
إذهاب الرجس عن النفس ٣٠١
تطهير الباطن والجوهر ٣٠١
استحباب السؤال لتعليم الغير ٣٠٤
اجتماع ذوي الفضل و ٣٠٥
الهدفية في الأعمال وقصد القربة ٣٠٦
أقسام الجلوس ٣٠٩
التأكيد على حقانية أفعاله تعالى ٣١٠
التأكيد على نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣١٠
ذكر الخبر في المحافل ٣١٢
عمومية المراد بـ: (مَحْفِل) ٣١٣
استحباب مطلق تلاوة هذا الحديث ٣١٤
استحباب التجمع والمراد بالمحب ٣١٦
أقسام التجمع وأنواعه ٣١٧
... وعبر الأجهزة الحديثة ٣١٨

أنواع الذكر والتلاوة ٣١٨
لماذا هذا الأجر العظيم؟ ٣٢٠
التمهيد لنزول الملائكة ٣٢١
نوعية تواجد الملائكة ٣٢٢
... وعددهم ٣٢٣
استحباب الاستغفار للآخرين ٣٢٥
الاستغفار ٣٢٥
التسبيب للاستغفار ٣٢٦
هل الجزاء على السعي أم لا؟ ٣٢٦
استحباب اللبث في مجالس الخير ٣٢٨
الحلف على عظائم الأمور ٣٣٠
التجاوب مع العظيم ٣٣٠
رجحان مدح النفس! ٣٣١
معنى فوز أولياء الله وانتصارهم ٣٣١
التمسك بمذهب آل البيت عليهم السلام ٣٣٣
بشارة الغير وإدخال السرور ٣٣٣
الثواب والعقاب بسبب الآخرين ٣٣٥
القسم بالله وبمخلوقاته ٣٣٧
توجيه الكلام للمُشاكل ٣٣٩
فسح مجال الحديث للأكبر أو الأعظم ٣٤١
التأكيد في البحوث العائقدية ٣٤٢
دور التكرار في الأمور الغيبية ٣٤٢
تجمع المهمومين لأجل الدعاء ٣٤٥
التفريج عن المهموم ٣٤٦
كشف الغمة وأقسامها ٣٤٨
سوق الناس إلى الله ٣٥٠

طلب الحاجة وأنه مقتضٍ ٣٥١
استحباب قضاء الحاجة ٣٥٢
السعي للفوز ٣٥٤
علم الغيب وتأثيره في سلوك المعصومين عليهم السلام ٣٥٤
أبواب الجنة والنار ٣٥٦
الضلالة والشرّ وضدهما ودور الله أو الإنسان فيها ٣٦١
الكعبة ومكانتها ٣٦٤
خاتمه **٣٦٥**
التدبر والتفكر والاستنباط في القرآن ٣٦٥
تجسم الأعمال ٣٦٧
للحواس والإدراكات درجتان ٣٦٩
ظاهر الإنسان وباطنه ٣٦٩
الفهرس ٣٧١